دار ومكتبة الرواق

لقمان عبد الرحيم الفيلي

الشخصية العراقية

بين أجواء المقاهي والقصور والمآذن

لفهم العلاقة بين الثقافة والدولة والدين

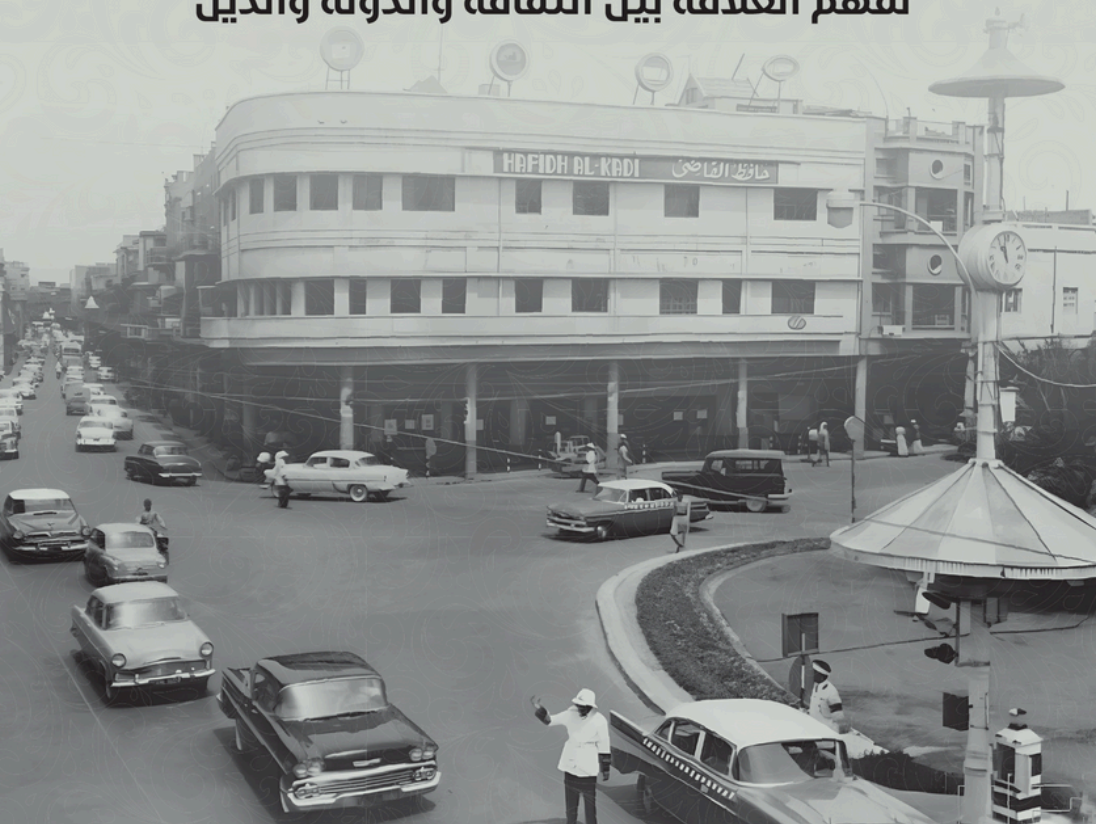

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الشخصية العراقية

بين أجواء المقاهي والقصور والمآذن

لفهم العلاقة بين الثقافة والدولة والدين

لقمان عبد الرحيم الفيلي

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

دار ومكتبة الرواق

الشخصية العراقية

بين أجواء المقاهي والقصور والمآذن
لفهم العلاقة بين الثقافة والدولة والدين

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

لقمان عبد الرحيم الفيلي

REWAQ BAGHDAD
center for publicy policy
dar@rewaqbaghdad.org
www.rewaqbaghdad.org
07835774081
بغداد / العرضان

٢ر ١٥٥
ف ٩٨٩ الفيلي ، لقمان عبد الرحيم
الشخصية العراقية بين أجواء المقاهي والقصور
والمآذن/ لفهم العلاقة بين الثقافة والدولة والدين – ط ١. – بغداد :
دار الرواق ، ٢٠٢٤
(٢٥٤) ص ؛ (١٤,٥ * ٢١) سم ،
١– الشخصية ٢–علم نفس الاجتماع – أ – الفيلي ، لقمان عبد الرحيم
رقم الايداع: ٣١٠١ / ٢٠٢٤

دار ومكتبة الرواق

مركز رواق بغداد للسياسة العامة

عنوان الكتاب: **الشخصية العراقية**
بين أجواء المقاهي والقصور والمآذان
تأليف: لقمان عبد الرحيم الفيلي

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الطبعة الأولى :2024
ISBN: 978-9922-893-05-1
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (3662) لسنة 2024

جميع الحقوق محفوظة لدار ومكتبة الرواق
يمنع نسخ أو أستعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو أية وسيلة نشر
أخرى من دون إذن خطي من الناشر

Legal Note:
Publishing this material has been funded by Rewaq Baghdad Center of Public Policy; however the views expressed in this document do not reect the Center's offcial policies nor its opinions.

الفهرس

مقدمة..... ٧
الفصل الأول: الأبعاد الثلاثة: الثقافة والدولة والدين ٢١
١-١- التعريفات: ٢٣
١-١-١ الثقافة: ٢٣
١-١-٢ الدولة: ٢٤
١-١-٣ الدين: ٢٥
١-٢ تفاعل الأبعاد الثلاثة – الثقافة والدولة والدين: ٢٦
١-٢-١ الأبعاد الثقافية: ٣٠
١-٢-٢ بُعد الدولة: ٣٣
١-٢-٣ البُعد الديني: ٣٦
١-٣ تفاعل الأبعاد الثلاثة – تكامل أم تناحر؟ ٤١
١-٤ خصائص الشخصية العراقية – لمحة عامة: ٤٣
١-٥ أين المشكلة؟ ٤٦
١-٦ أسباب شح القيادات التاريخية: ٥٤

الفصل الثاني : العراق المعاصر ٦٣
٢-١. منظور تاريخي للعراق: ٦٦
٢-٢ تأثيرات الحكم العثماني على العراقيين – أنموذجًا: ٧٠
٢-٣ آثار الديكتاتورية: ٧٣
٢-٣-١ على الثقافة: ٧٣
٢-٣-٢ على الدولة ٧٤
٢-٣-٣. على الدِين: ٧٤
٢-٤. التحديات المعاصرة وأسبابها: ٧٩
٢-٥. توسع دائرة النفوذ الديني: ٨٧
٢-٦. زيادة نفوذ العشائرية والقبلية في المجتمع: ٨٩
٢-٧. الشيعة بين المعارضة والمشاركة بالحكم وتأثيراتها: ٩٢
٢-٨. تأثيرات الأبعاد الثلاثة وممارسة الدكتاتورية ٩٦
٢-٨-١. متطلبات تكوين الأمم ونضجها: ٩٩
٢-٨-٢. متطلبات المواطنة ١٠٣
٢-٨-٣. تأثيرات الأبعاد الثلاثة وممارسة الدكتاتورية ١٠٦
٢-٨-٤. ما الأمّة العراقية؟ ١٠٩

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الفصل الثالث: آفاق عدَّة للمستقبل والطريق نحو التقدم..... ١١٣
٣-١. الطريق نحو التقدم – فهم الأبعاد الجيوسياسية للعراق ١١٧
٣-١-١. العراق والدولة الحديثة: ١١٨
٣-١-٢. الحاجة إلى فهم جيوسياسي كامل: ١٢٠
٣-٢. الطريق نحو التقدم – العمل الجماعي:..... ١٢٧
٣-٣. الطريق نحو التقدم – دول الجوار، أصدقاء وشركاء أم ماذا؟..... ١٣٢
٣-٣-١. أسباب استمرار التوتر مع دول الجوار:..... ١٣٢
٣-٣-٢. مقترحات ومعالجات لظاهرة التوتر مع دول الجوار:..... ١٣٧
٣-٤. الطريق نحو التقدم – التماسك الاجتماعي: ١٤١
٣-٥. الطريق نحو التقدم – الزيادة السكانية: ١٤٦
٣-٦. الطريق نحو التقدم – أهمية خلق سرديات إيجابية ١٥٢
٣-٧. الطريق نحو التقدم – الإصلاح تدريجي ام ماذا؟ ١٥٥
٣-٧-١. الإصلاح التدريجي يكفي؟..... ١٥٥
٣-٧-٢. الجمهورية الجديدة- حاجة أم ترف؟ ١٥٩
٣-٨. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والهندسة المجتمعية: ١٦٠
٣-٨-١. المسؤولون عن الهندسة الاجتماعية..... ١٦١
٣-٨-٢. آليات التأثيرات للهندسة الاجتماعية:..... ١٦٦
٣-٨-٣. أسباب الحاجة الملحة للهندسة المجتمعية في العراق: ١٧٠
٣-٩. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والدولة: ١٧٢
٣-٩-١. أسباب الاعتماد على الدولة:..... ١٧٣
٣-٩-٢. الأطراف البديلة عن الدولة:..... ١٧٦
٣-٩-٣. معالجات لتقليل الاعتماد على الدولة: ١٧٨
٣-١٠. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والقيادة المرجوة:..... ١٨١
٣-١٠-١. القيادة المرجوة: ١٨١
٣-١٠-٢. السيستاني والقيادة التاريخية – أنموذجًا: ١٨٢
٣-١١. الطريق نحو التقدم – المركزية مقابل اللامركزية والوحدة الوطنية: ١٨٦
٣-١٢. الطريق نحو التقدم – المسار المستقبلي للعراق: ١٩٢
خاتمة وعقيدتي ٢٠١
المراجع ٢٣١

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

مقدمة

يواجه عراق ما بعد ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، وانهيار نظام صدام، وسقوط الجمهورية، تحديات معاصرة في إعادة بناء المجتمع، وتحديد هوية عراقية واضحة، سعياً إلى بناء امةٍ واضحة المعالم، وأهدافٍ طموحةٍ ومستدامة وممكنة في الوصول اليها، وتتطلب هذه المهمة السعي الجاد إلى فهم الأبعاد والأدوار التي تشارك في تطور أشكال التعابير الثقافية والحكومية والدينية عند الشخصية العراقية، في أعقاب الصراعات والتحولات الكبيرة الجيوسياسية، والجيو- اقتصادية، والجيو-اجتماعية، التي مر بها العراق في العقود الأخيرة، وعليه من المفيد جداً السعي إلى فهم شامل لديناميكيات الجاذبية والتأثير لهذه الأبعاد الثلاثة: (الثقافة والدولة والدين) على الشخصية العراقية.

إنَّ دراسة صيرورة معالم الشخصية العراقية، وديناميكية نشأتها وتطورها، يتطلبُ منا السعي إلى فهم ماضيها وواقعها بعمق، وكذلك التحولات المحتملة في المستقبل لميزان النفوذ والتفاعل والقوى بين الثقافة والدولة والدين، ومفيدٌ أن نذكر أنَّ العولمة والعوامل الخارجية، وتعقيدات الشرق

الأوسط وصراع القوى الإقليمية والدولية جميعاً، مارست _ أيضًا _ دورًا في تشكيل الماضي والحاضر، وستؤثر _ حتماً _ على المستقبل، ما يتطلب منا تسلط الضوء والنظر في ديناميكيات التطور المجتمعي والوطني.

ولا بد من التنقل عبر محطات التاريخ التي نحتت كل مدَّة منها جزءًا على هوية المجتمع؛ لفهم الشخصية العراقية المعاصرة وتعقيداتها، ابتداءً من الحضارات القديمة مثل سومر وبابل وآشور التي وضعت الأساس للفسيفساء الثقافية في العراق؛ إذ إنَّ كُلَّ لبنةٍ في جدران أور وبابل، وكل نقش مسماري، وكل قطعة أثرية مكتشفة في حوض دجلة والفرات، تحكي قصة الابتكار والحكم والروحانية وكيف كان الفرد والمجتمع في جغرافيا العراق وتاريخه (ومنها الحكم العثماني لقرون عدة وما تبعها من احتلال وانتدب غربي) يتطور مع أحداث زمانه من طبيعة الشخصية العراقية.

لقد أحدث القرن العشرون تغييرات جوهرية في العراق، بدءاً من نهاية الحكم العثماني، وتأسيس دولة حديثة في العام ١٩٢١، وتحديات الحكم الملكي، ولاسيما أثناء حكم الملك فيصل الأول، في بناء أمة في مرحلة ما بعد الاستعمار، مروراً بالإرث الذي تركه حزب البعث ولاسيما خلال المدَّة التي قاد فيها صدام حسين (١٩٦٨-٢٠٠٣)، بمزيجه من الحكم العلماني والاستبداد، هذه الأحداث والتغييرات الكبيرة والدراماتيكية أحدثت أثراً عميقاً، سيحتاج إلى هندسة مجتمعية كبيرة؛ لكي تمحى أو يأفل تأثيرها من ذاكرة المجتمع العراقي.[١]

إنَّ تركيبة الشخصية العراقية هي في الأكثر نتاج تداخل قوى الأبعاد

---

(١) للاطلاع على التفاصيل ينظر:

T. Dodge 2023; A.A. Allawi 2014.

الثلاثة الثقافة والدولة والدين، وهذه القوى، مثل الأجرام السماوية في المدار، تتشكل وتتأثر ببعضها، لتخلق توازناً دقيقاً فيما بينها يحدد الهوية الجماعية للمجتمع والشعب العراقي[٢]، وفي المقابل هناك من يقول إنَّ الشخصية العراقية هي ـ في أكثر الأحيان ـ نتاج قوى الجاذبية التي تمارسها الثقافة والدين، وفي حدود ضيقة ومحدودة الدولة إذ يتفوق تأثير القبيلة والعشيرة والمناطقية على الشخصية العراقية، وعليه ستبقى الدولة عندنا ضعيفة، ما لم يعالج هذا الاختلال في موازين القوى داخل المجتمع.

إن أشكال التعبير الثقافي، مثل اللغة والتقاليد، تعمل بمنزلة مرايا ومحفزات تعكس القيم المجتمعية، وتعمل، في الوقت نفسه، على تشكيلها وتطويرها. إن فهم ديناميكيات الجاذبية هذه أمر ضروري، ليس للتحليل التاريخي فقط؛ بل لاستيعاب التحديات والفرص المعاصرة التي يواجهها العراق أيضًا، وهو يتنقل في التضاريس المعقدة لإعادة الإعمار بعد الصراع والحروب والاحتلال، والتحولات السياسية مثل الحملة الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، وما أسمته بالحرب على الإرهاب، وتأثيرات العولمة وآليات التواصل الاجتماعي وآثار التغيرات المناخية والديموغرافية في العقود الأخيرة.

من جانب آخر، فإن الثقافة والدولة والدين، بتطورها التاريخي، وديناميكيتها السياسية، وتفاعلها فيما بينها، تتحول لتكون مصدرًا للسلطة، ومع مرور الزمن تتطور وتكون انعكاسًا للقيم المجتمعية، ولقد تركت السياسات التي نفذها القادة السياسيون بشتى توجهاتهم السياسية، منذ

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: ل. الفيلي ٢٠١٦؛ ا. الحيدري ٢٠١٥؛ هـ. وهولبورن ٢٠١٠؛ W. Mühlberger 2023; F. Fukuzama 2018.

العصر الاستعماري وحتى الوقت الحاضر، علامة لا تمحى على شخصية المجتمع العراقي، ما أثر على مسارها كثيراً.

وأخيراً، كان الدين، ولاسيما التعايش بين طوائفه لاسيما بين الشيعية والسنية، قوة أساسية توجه الممارسات الفردية والمجتمعية العراقية، ولاسيما بعد العام ٢٠٠٣، هذه النظرة الأعمق لدور الدين في المجتمع، ستساعد في فهم البحث بشكل أكبر وأوضح، وستوفر تحليلاً أعمق لتأثير بُعد الدين على الشخصية العراقية.

سنشرع في هذا البحث بإجراء استكشاف شامل لديناميكيات التفاعل داخل الشخصية العراقية، ونتعمق في الأبعاد الثقافية والتاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية، التي تحدد وتؤثر كثيراً على هذا النسيج المعقد، ونهدف ـ من خلال هذه الرحلة ـ إلى تسليط الضوء على التفاعل الدقيق بين الثقافة والدولة والدين، وفك رموز الآثار المترتبة على حاضر العراق ومساره المستقبلي.

تتجلى الشخصية العراقية بين أجواء مختلفة تشكل الهوية الوطنية، وتعبّر عن تنوع الثقافة والتاريخ العريق لهذا البلد، إذ تعكس الأماكن مثل المقاهي والقصور والمآذن عينات تعكس جوانب مختلفة من الشخصية العراقية، وتؤثر بشكل كبير في تشكيلها وتطويرها، وسنستكشف في هذا البحث العلاقة العميقة بين تلك الأماكن، وبين الثقافة والدولة والدين، وكيف تؤثر هذه العلاقة تأثيراً كبيراً على الشخصية العراقية.

بوصفها تعابير مجازية، استُعملت كلمة (المقهى) بوصفها مكانًا يعبر عن تجمع أفكار أبناء المجتمع فيما بينهم وتلاقيها وتلاقحها عامّةً، وفي

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الجانب الآخر جرت الإشارة إلى القصور بعدِّها رمزًا إلى شريحة السلطة من سياسيين وتجار والطبقات الحاكمة، أما المآذن فترمز إلى طبقة رجال الدين، ودرجة تأثيرهم الكبيرة على أبناء المجتمع العراقي، هنا نحن لا نحصر الدين بالمسلمين فقط؛ بل بالمشارب الدينية العراقية المختلفة؛ لأنّ أبناء هذه المشارب يتأثرون أيضاً بأديانهم كثيراً.

وسنركز على استكشاف العلاقة بين الثقافة والدولة والدين، والكيفية التي تتفاعل بها هذه الأبعاد الثلاثة معاً في تشكيل الشخصية العراقية، فضلا عن البحث في الأثر الذي تتركه الثقافة على مؤسسات الدولة، والمنظومة الدينية والطريقة التي يتجاوب بها الأفراد مع هذه الديناميكيات، وسنبحث أيضاً في كيفية تأثير الدولة على الممارسات الثقافية والدينية والتأثير المعاكس أيضاً.

كما سنسعى إلى استكشاف واقع المجتمع العراقي وتحدياته المعاصرة، والكيفية التي بوساطتها يتعامل الشعب معها، وسننظر إلى التاريخ العراقي المعاصر، والوسيلة التي أثرت فيها الأحداث الماضية على هوية الشخصية العراقية، وعلى تشكيل الثقافة والدين في البلاد.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

سننظر أيضاً في العوامل الجيوسياسية التي تؤثر على العراق، وكيفية تأثيرها على الشخصية العراقية، وسنستكشف الكيفية التي يؤثر بها السياق الإقليمي والدولي، على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق، وكيفة تتفاعل الشعب مع هذه العوامل.

أخيراً، سنحاول في هذا البحث استشراف مستقبل العراق، والطرق التي يمكن أن يسلكها لتحقيق التطور والتقدم، وسنبحث في أهمية العمل

الجماعي، والتماسك الاجتماعي، والإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها من عوامل تطور في تحقيق ذلك.

يتكون البحث من ثلاثة أقسام وخاتمة، نتناول في القسم الأول الأبعاد الثلاثة: الثقافة والدولة والدين والطريقة التي تتفاعل بها الثقافة والدولة والدين فيما بينها في العراق، والكيفية التي يتشابك بها هذا التفاعل في تشكيل الشخصية العراقية، والبحث فيما إذا كان هذا التفاعل تكاملاً أم تناحراً؟ أي سنقرأ في هذا القسم النقاط التي تتجانس فيها الثقافة والدولة والدين، والمواضيع التي تتعارض فيها، وكيف يؤثر ذلك على الهوية العراقية، كما سنتطرق إلى خصائص الشخصية العراقية وسماتها الرئيسة وكيف تشكلها هذه الأبعاد الثلاثة، ونختم القسم الأول بمراجعة أسباب شح القيادات التاريخية في التاريخ العراقي المعاصر.

في القسم الثاني الذي نحدد فيه طبيعة الداء وهو تحت عنوان العراق المعاصر، سنتطرق إلى المنظور التاريخي للعراق، وكيفية تأثير الأحداث الماضية، مثل حكم العثمانيين على هوية الشخصية العراقية. بعدها سنعرج على التحديات المعاصرة التي تواجه العراق، والكيفية التي يتفاعل بها الشعب مع هذه التحديات. ثم سنسعى إلى كشف آثار الدكتاتورية على الثقافة، وعلى الدولة، وعلى الدِين، ومدى تأثيرات الأبعاد الثلاثة والدكتاتورية على مفهوم المواطنة، وأثر ازدياد نفوذ العشائرية والقبلية في المجتمع العراقي، وسنتطرق إلى سردية علاقة الطائفة الشيعية بالحكومات السابقة، ومدى استعدادهم للمشاركة من عدمها، وتأثيرات ذلك عليهم وعلى المشهد السياسي والمجتمعي العراقي عامةً، ونختم القسم بالتمعن في موضوعات الأمّة العراقية والمواطنة، وما متطلبات تكوين الأمم ونضجها؟

وهل لدينا الآن في العراق كيان حقيقي اسمه الأمّة العراقية؟

في القسم الثالث والأخير، المعنون آفاق عدَّة للمستقبل والطريق (الدواء)، سنتناول احدى عشرة طريقة يمكن أن يسلكها العراق؛ لتحقيق التطور والتقدم، وكيف يمكن للشعب والحكومة ومؤسساتها المساهمة في هذه العملية التنموية، ونعرض في هذا القسم مجموعة من القضايا المهمة التي تؤثر على مستقبل العراق، وطريقة النهوض به نحو التقدم والازدهار.

سنبدأ بالحديث عن أهمية فهم الأبعاد الجيوسياسية للعراق، وكيفية تأثيرها على العراق الحديث، واهميتها وتأثيرها على الشخصية العراقية، وبعدها سنحاول ان نفصل الحاجة إلى فهم جيوسياسي كامل، وإمكانيّة أن يؤثر ذلك على التطورات الداخلية، وبعدها التطرق إلى أهمية العمل الجماعي، بعدِّه مقدمة أساسية لتحقيق التغيير والتطوير في المجتمع العراقي، ثم سنناقش علاقة العراق بدول الجوار، ومدى تأثير هذه العلاقات على السياسة الداخلية والخارجية للبلاد، كما سنعالج التماسك الاجتماعي، وأهميته في بناء مجتمع مترابط ومتعاون، ثم بعد ذلك، سنناقش التحديات والفرص المتعلقة بالزيادة السكانية، وإمكانية استغلال العراق هذه الفرص بفاعليَّة، سنتحدث عن أهمية خلق سرديات جديدة تعكس تطلعات الشعب العراقي، وتسهُم في بناء مستقبل أفضل، وكذلك سنبحث عن طبيعة الإصلاح والهندسة المجتمعية وكيفية ممارستها، بعدها سنعرج على أهمية دور القيادة، والحاجة إلى قيادة تاريخية، وعن أهمية فهم الفروق بين آثار المركزية واللامركزية في الحكم، وبعدها نبين المسارات المحتملة لمسيرة العراق، في حالة قدرته على إدارة أموره من عدمه، وعن الحاجة إلى التخطيط الاستراتيجي تبعاً، وأخيراً نتطرق إلى أهمية فهم حجم التحديات ونطاقها وحلولها.

فضلاً عن العناوين العامة أعلاه، وسعينا إلى استكشاف جوانبها المختلفة، سنسعى، كذلك، في بحثنا هذا إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة التفصيلية؛ لتساعدنا في التعمق في التفاعل المعقد والدقيق بين مؤسسات الدولة والتأثيرات الديناميكية للدين والثقافة في العراق؛ أي نُسلط الضوء على الطبيعة متعددة الأوجه للشعب العراقي، وللقوى الجاذبة المجسدة للشخصية العراقية وتشكيل هويتها، بمحاولة الإجابة على الأسئلة أدناه:

١. **كيف يمكن معالجة إرث الصراع والصدمات بالمبادرات التي تركز على المصالحة والشفاء والدعم النفسي والاجتماعي؟**
٢. **ما الآثار المحتملة للتحولات الديموغرافية، بما في ذلك التحضر والهجرة، على الديناميكيات الاجتماعية المستقبلية والنمو الاقتصادي في العراق؟**
٣. **ما الطرائق التي تتفاعل بها المؤسسات الدينية مع هياكل الدولة وديناميكيات السلطة السياسية؟ وكيف يؤثر ذلك على النفسية والهوية العراقية؟**
٤. **ما الدور الذي تؤدّيه التقاليد الثقافية والتراث في تشكيل تصورات الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية بين العراقيين؟**
٥. **كيف شكلت الأحداث التاريخية مثل الاستعمار والاحتلال والحروب العلاقة بين سلطة الدولة والمؤسسات الدينية والممارسات الثقافية في العراق؟**
٦. **كيف حُوفظ على التقاليد الثقافية والطقوس والعادات أو تكيَّفت مع مرور الوقت استجابة للديناميكيات السياسية والدينية المتغيرة؟**

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٧. كيف تؤثر العوامل الجيوسياسية والعلاقات الدولية على ديناميكيات القوة الداخلية والتماسك المجتمعي داخل العراق، لا سيما فيما يتعلق بالهويات الدينية والثقافية؟

٨. إلى أي مدى تؤثر السياسات الاقتصادية وقرارات تخصيص الموارد من الدولة على الحراك الاجتماعي، والوصول إلى الفرص، والتفاوت في الثروة والسلطة بين شرائح المجتمع العراقي عامّة؟

٩. كيف تعكس وتديم الأطر القانونية القيم المجتمعية والأعراف وهياكل السلطة التي يشكلها الدين والثقافة وممارسات الدولة التاريخية؟

١٠. ما الآفاق المتاحة لتعزيز الحوار بين الأديان والتبادل الثقافي ومبادرات المشاركة المدنية التي تعزز العدالة الاجتماعية والتسامح والتعددية في المجتمع العراقي المتنوع؟

١١. هل وجود هوية جماعية لمجتمعات ما في دولة ما، العراق كحالة، ضروريّ لقيام هذه الدولة ونجاحها؟

١٢. هل يمكن توظيف تنوع العراق بأديانه وقومياته بوصفه عنصر قوة له أو بوصفه مصدر ضعف؟

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

تهدف الإجابات على هذه الأسئلة إلى التعمق في جوانب المشهد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي المختلفة في العراق، وتوفير إطار إضافي لبحثنا هذا، وتقديم رؤى أعمق عن التعقيدات والمسارات الحالية الموجودة في العراق.

قبل الانتقال إلى مادة البحث، من الضروري أن نوضح هنا إنَّ منهج الباحث ومنطلقاته في كتابة هذه الدراسة، قائمة على مقاربة ذات بعد عملي وفكري وعملياتي، كأي مواطن عراقي اتيحت له الفرصة من خلال العمل للوطني المراقبة والتشخيص عن قرب، وليس من منطلقات بناء ذهني ونظري أكاديمي أو بحثي كلاسيكي، كما أنّ الباحث سيقدِّم تعريفات لبعض المفاهيم والحالات، التي تعكس وجهة نظره الخاصة، اعتمادًا على تجربته، بوصفه ممارسًا ومراقبًا ومواطنًا عراقيًّا، عمل في أجهزة الدولة المختلفة، على مدار الخمسة عشرة سنة الماضية.

يرى كاتب البحث، ومن واقع تجربته العملية، بأنَّ أبعاد الدولة والثقافة والدين قد أثرت في الماضي، وما يزال يؤثر كثيراً في تشكيل الهوية العراقية، وهي بمنزلة فرضية تقدم بها الكاتب، وسيحاول توضيحها وشرحها في الأقسام المختلفة لهذا البحث.

Al-Rewaq Publishing House

برغم أنَّ هذا البحث لا يخضع إلى معايير كتابة البحث العلمي المستند إلى المناهج العلمية بالطريقة الكلاسيكية؛ ولكن، مع ذلك، فقد عكف الكاتب على الاستعانة ببعض من هذه المناهج ولاسيما المنهج التحليلي، والتاريخي، والاستشرافي، والمقارن، إذ لا غنى عنها، بهدف منح هذه الدراسة نوعاً من التنظيم المعرفي، والتوظيف المعلوماتي الصحيح، وما يتضمنه أحياناً من الاستعانة ببعض المفاهيم والتفسيرات المقدمة مسبقاً في مجالات البحث

المذكور؛ من أجل دعم رصانته ومصداقيته.

ومـن الـضروري أنْ نشـير إلى أنَّ هـذا البحث هو تكملة لبحث سـابق، أعده الباحث ونشره مركز الشرق الأوسـط في جامعة كلية لندن الاقتصادية في تشرين الثاني ٢٠١٦ بعنوان «الوئام الاجتماعي: منظور عراقي».[٣]

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

(٣) ل. الفيلي ٢٠١٦.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الفصل الأول

الأبعاد الثلاثة:
الثقافة والدولة والدين

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

١-١- التعريفات:

تحمل مصطلحات الثقافة والدولة والدين في السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي لمنطقتنا معانيَ محددة، نوجز في أدناه معاني كل مصطلح وسياقه العراقي:

١-١-١. الثقافة:

تشير الثقافة إلى المجموعة المشتركة من المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والسلوك، التي تميز مجموعة بشرية صغيرة أو مجتمعًا. وتشمل الطريقة التي يعبر بها الناس عن أنفسهم وفنهم ولغتهم وطقوسهم وممارساتهم الاجتماعية والجوانب المادية لحياتهم؛ إذ إنَّ الثقافة هي جانب ديناميكي ومتطور للمجتمعات البشرية، وتؤثر على تصورات الأفراد، وتفاعلاتهم، والطريقة التي يفهمون بها، ويفسرون العالم من حولهم[1].

في العراق تعدُّ الثقافة نسيجاً غنياً من تاريخ طويل من الحضارات المتنوعة، وتشمل التقاليد، والعادات، والفنون، والأدب، واللغة، والممارسات الاجتماعية التي تطورت على مرّ القرون، وتأثرت الثقافة العراقية بحضارات بلاد ما بين النهرين القديمة، والتقاليد الإسلامية، والتفاعلات مع المجموعات العرقية والدينية المختلفة داخل المنطقة، وتعكس ثقافة العراق توليفة من

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: م. فيبر ٢٠١١؛ ج. سكوت ٢٠٠٦؛ خ. خليل ١٩٨٤؛ ج. فيريول ٢٠١١؛ الوردي ١٩٩٦.

التأثيرات العربية، والكردية، والتركمانية، والأرمنية، والآشورية، وغيرها، ما يخلق فسيفساء تساهم في تحديد الهوية الفريدة للشخص والمجتمع العراقي وتطويرها، ولعلَّ كثرة التحولات السياسية والاجتماعية والديموغرافية في المئة وخمسين سنة الماضية، قد آثرت وغيَّرت في ماهية الثقافة العراقية[٢].

١-١-٢ الدولة:

الدولة بوصفها كيانًا سياسيًّا يتميز بحدود جغرافية محددة، وحكومة، ونظام من القوانين والمؤسسات التي تمارس السلطة على السكان داخل تلك الحدود، وتتمتع _ عادةً _ بسلطة إنفاذ القوانين، والحفاظ على النظام، وتنظيم العلاقات الداخلية والدولية ومنها تنفيذ السياسة الخارجية، وكثيرًا ما ترتبط الدولة بالسيادة والقدرة على سن القوانين وإنفاذها، وتمارس دوراً حاسماً في تنظيم المجتمع وإدارته وتوفير الخدمات العامة وصياغة السياسات الوطنية[٣].

لقد تطور مفهوم الدولة في العراق عبر مُددٍ تاريخية مختلفة، إذ ظهر العراق الحديث في أعقاب الحرب العالمية الأولى، مع تفكك الإمبراطورية العثمانية، وشهدَ طوال تاريخه المعاصر، تقلبات في أنظمة الحكم ودساتيرها، بما في ذلك الملكية، والجمهوريات، ومراحل الحكم الاستبدادي، والانقلابات العسكرية، والحروب. لقد تأثر المشهد السياسي في العراق بعوامل عدة

---

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: ا. الحيدري ٢٠١٥؛ هـ. وهولبورن ٢٠١٠؛ مقال في صحيفة الـ Economist نشر بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠١٩؛

W. Mühlberger 2023.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: عـ. بلقزيز ؛٢٠٠١ س. القمودي ؛١٩٩٩ جـ. سكوت ٢٠٠٦.

مثل الموروثات الاستعمارية، والصراعات الإقليمية والعالمية، والصراعات الداخلية على السلطة وثروات البلاد[٤].

١-١-٣ الدين:

الدين: مجموعة معقدة من المعتقدات والممارسات والطقوس والقيم الأخلاقية، التي تتمحور حول قوة أعلى، أو قوة ميتافيزيقية _ قوة ما وراء الطبيعة. وكثيراً ما يتضمن إطاراً لفهم طبيعة الوجود، والغرض من الحياة، والمبادئ الأخلاقية التي تحكم السلوك البشري الفردي والجماعي. وعادةً ما يكون للأديان والمذاهب الدينية هياكل منظمة، بما في ذلك المؤسسات ورجال الدين والنصوص المقدسة، ويمكنهم توفير الشعور بالهوية والمجتمع، والتوجيه الأخلاقي لأتباعهم، مع تعزيز ممارسات دينية ترسخ قوة الدين في مجتمعاتها[٥].

يحتل الدين أهمية كبيرة في العراق، وأكثريَّة السكان من المسلمين الذين يؤمنون بالله وتعاليمه، ويتعايش المذهبان الرئيسان للإسلام (السنة والشيعة) في العراق مع أكثريَّةٍ للأخير. ولقد أدى المشهد الديني دوراً عميقاً في تشكيل الأعراف المجتمعية، والديناميكيات السياسية، والممارسات الثقافية، ومن المنظور التاريخي كان للزعماء والمؤسسات الدينية تأثيرٌ مهمٌّ على جوانب الحياة العراقية المختلفة، ومع ذلك يُعدُّ العراق أيضاً موطناً للتنوع الديني، بما

---

(٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: ا. الحيدري ٢٠١٥؛
Z.E. Preston 2000; A. Rohde 2010.

(٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: ج. فيريول ٢٠١١؛ جـ. سكوت ٢٠٠٦؛ فيبر ٢٠١١؛ خـ. الماجدي ٢٠١٦
F. Fukuzama 2018.

في ذلك الطوائف المسيحية، والأيزيدية، والصابئة، فضلا عن اليهود سابقاً، وغيرها من الطوائف الدينية، إذ تساهم كل طائفة، بدرجة معينة، في النسيج الديني للمجتمع العراقي[٦].

١-٢ تفاعل الأبعاد الثلاثة – الثقافة والدولة والدين:

السلوك البشري مُعقد، ويتأثر بجمٍّ من العوامل، وعندما يتخذ الأفراد قرارات أو يتصرفون بشأن شيء ما، فإنَّهم كثيرًا ما يضعون بعدِّهم مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية. وتعدُّ المقبولية الثقافية، وقانونية قراراتهم، والقيم الأخلاقية، والشرعية الدينية، من العوامل الجذرية التي يضعها البشر في الاعتبار قبل تصرفهم.

إنَّ سعينا إلى فهم ديناميكيات الجاذبية للثقافة والدولة والدين، الأساسُ أو المفتاح لفهم الشخصية العراقية، فهي توفر منظورًا مميزًا يمكن بوساطته استكشاف الجذور التاريخية، والتحديات المعاصرة، والمسارات المستقبلية للهوية المجتمعية في العراق، ولعلَّ إدراك الترابط بين هذه العناصر أمرٌ بالغ الأهمية؛ لفهم أهم العوامل التي تشكل معتقدات أفراد وجماعات الشعب العراقي وقيمهم وسلوكهم[٧].

وسنتطرق إلى عشرة عوامل رئيسة يمكن أن تساعدنا في فهم هذه التفاعلات المعقدة:

١. يشكّل تفاعل الثقافة والدولة والدين بصورة جماعيَّة أساسَ الهوية

(٦) للمزيد من التفاصيل ينظر: ا. الحيدري ؛٢٠١٥ عـ. الوردي ١٩٩٤: ص ٢٥١-٢٩٣.
(٧) للمزيد من التفاصيل ينظر: عـ. الوردي ١٩٩٤: ص ٢٥١-٢٩٣ عـ. بلقزيز ٢٠٠١.

العراقية، وإنَّ الطريقة التي تتفاعل بها هذه العناصر، وتؤثر على بعضها، تخلـق كيفية إدراك الأفراد لأنفسـهم، ومكانتهـم في المجتمع، ولعلَّ فهم هـذا التفاعـل يوفر نظرة ثاقبة للجوانب والأبعاد الأساسـية للشـخصية العراقية.

٢. كثر ما يكون الدين بمنزلة المصدر الأساس للتوجيه القيمي والأخلاقي، ويسـاهم التفاعل بين الثقافة والدولة والدين في إرسـاء الأعراف والقيم المجتمعية، ويؤثر هذا الإطار الأخلاقي على السلوك الفردي والتفاعلات الاجتماعية والضمير الجماعي للشعب العراقي.

٣. انعكاسـات العلاقة بـين الدين والدولـة على طبيعة الحكـم وفي العراق، سـاهمت الديناميكيـات والمفاصـل التاريخية والمعاصرة بين المؤسسـات الدينية والسـلطات السياسـية في طبيعـة الحكم، إذ إنَّ فهـم هذا التفاعل ضروري لفهـم ديناميكيـات السـلطة، وعمليـات صنـع القـرار داخـل الدولة.

٤. كثُر ما تشابكت أشـكال التعبير الثقافي والممارسات الاجتماعية بعمق مع المعتقدات الدينية، ومن ثَمَّ فإنَّ دراسـة التفاعل بين الدين والثقافة، توفر نظرة كاشـفةً للعادات والطقوس والأعـراف المجتمعية التقليدية، وهذا الفهـم أمر بالغ الأهمية لتقديـر الثراء والتعقيد، والتناقضـات أحياناً، في الحياة اليومية في العراق.

٥. يؤثر التفاعـل بين الثقافة والدولة والدين على الأنظمة القانونية وإنشـاء القوانـين، وفي العـراق، يحتـل الإسـلام مكانـة مركزيـة في المجـالات القانونيـة والاخلاقيـة والثقافية، فإنَّ فهم كيفية تأثـير المبادئ الدينية على

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الأطـر القانونية والأعراف المجتمعية، أمر ضروري لفهم بنية الشـخص والمجتمع العراقي.

٦. إنَّ فهـم كيفيـة تفاعـل الثقافة والدولة والدين، يسـاعد في تفسـير كيفية اسـتجابة المجتمع العراقي للتغيرات والصراعات والتحديات الداخلية والخارجية.

٧. يسـاهم الدين، ومجريات الدولة اليومية، والسرديات الثقافية، في تكوين الذاكرة الجماعية، ويسـاعد تعريف التفاعل بينها، في الكشـف عن كيفية تذكُّـر الأحـداث التاريخية، وإحياء ذكراها، ودمجها فيها للنسـيج الثقافي والديني للمجتمع العراقي.

٨. يتميـز التفاعل بين الثقافة والدولة والديـن بتقاطعات معقدة، وتوترات عرضيـة، ففهـم هذه التقاطعات أمـرٌ بالغ الأهمية لفـك رموز الولاءات والانتـماءات والصراعـات الدقيقة التي قد يواجهها الأفراد، ولاسـيما في المواقف التي تتقاطع فيها القوى الثقافية والسياسية والدينية.

٩. يتميـز العراق بتنوع سـكاني من خلفيـات ثقافية وعرقيـة ودينية مختلفة، ففهـم التفاعـل بين هذه العناصر يسـاعد على تقديـر الوحدة أو الخلاف ضمن هذا التنوع، وهو يسـلط الضوء على طرائق التعايش، من عدمها للمجتمعـات والمكونـات والجماعـات المختلفـة، وتسـاهم في تشـكيل الشخصية العراقية الأوسع.

١٠. إنَّ الاعـتراف بالتفاعـل بين الثقافة والدولة والدين، يوفر الأسـاس لتحديـد المسـارات نحـو التقدم الاجتماعـي، وضم الأطـراف المختلفة، والقدرة على الصمود، فهو يسمح بتطوير مناهج دقيقة تعترف بالعناصر

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

المترابطة التي تشكل الشخصية العراقية وتحترمها.

وعليه فإنَّ فهم التفاعل بين الثقافة والدولة والدين، أمرٌ بالغ الأهمية لفهم الشخصية العراقية؛ لأنَّها تكشف الخيوط المعقدة التي تنسج الهوية وأنظمة المعتقدات والأعراف المجتمعية، في السياق التاريخي والثقافي والديني الفريد للعراق، وعليه نحتاج إلى أنْ نُحلل بدقة، ونستكشف بعمقٍ، كل بعد وماهيته، عسى أن يساعدنا في رسم معالم منهج التعاطي الواضح والغني، ويساعد على زيادة الوئام والألفة بين أبناء مكونات المجتمع العراقي المختلفة[٨].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

(٨) ل. الفيلي ٢٠١٦ ؛ ا. الحيدري ٢٠١٥ ؛ عـ. الوردي ١٩٩٤: ص ٢٥١-٢٩٣ ؛ عـ. بلقزيز ٢٠٠١ ؛ F. Fukuzama 2018; Z.E. Preston 2000; W. Mühlberger 2023.

١-٢-١ الأبعاد الثقافية:

إن المشهد الثقافي في العراق عبارة عن نسيج نابض بالحياة، منسوج من العادات والتقاليد الموروثة، وإنَّ اللغة العربية في مناطق العراق في الوسط والجنوب والغرب والشرق وأجزاء من الشمال هي قوة موحدة، وهي بمنزلة الوسيط الذي به تُسرد قصص العراق، ومن أبيات الشعر القديم البليغة إلى النثر المعاصر، وتعدُّ اللغة مستودعاً للذاكرة الجماعية، والشيء نفسه مع اللغة الكردية لسكان إقليم كردستان العراق أو للأكراد الفيليين، الذين يسكنون في وسط العراق وجنوبه أيضاً.

والأدب متجذر بعمق في الروايات التاريخية والسرديات المجتمعية، ويوفر نافذة على تعقيدات الهوية العراقية، وتقدم أعمال مؤلفين من المشاهير باستكشافهم للتجارب الإنسانية العراقية، نظرة ثاقبة للفروق الاجتماعية الدقيقة التي تشكل الشخصية العراقية.

لقد أثرى العصر الإسلامي النسيج الثقافي للعراق لأنَّه بمنزلة رابطة لكل من الطائفة السنية والشيعية، وشهدت البلاد ازدهار المساعي الفكرية والفنية والعلمية، ما ساهم، بشكل كبير، في الحضارة الإسلامية الأوسع. ولقد عززت بغداد التي كانت ذات يومٍ مركزاً للعصر الذهبي الإسلامي، بيئة يتعايش فيها العلماء من خلفيات دينية مختلفة ويتبادلون معارفهم، تاركين إرثاً دائماً.

كما تساهم الفنون، التي تمتد من الخط التقليدي إلى التعبيرات البصرية الحديثة في تنوع الثقافة العراقية، وتشكل منحوتات بلاد ما بين النهرين القديمة، والتصميمات الهندسية الإسلامية، واللوحات المعاصرة، طبقات

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

من الهوية الفنية التي تعكس الطبيعة متنوعة الأوجه للمجتمع العراقي.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ العادات والطقوس التقليدية جزء لا يتجزأ من نسيج الثقافة العراقية، التي صمدت أمام اختبار الزمن. وسواء أكان ذلك في التصاميم المعقدة للملابس التقليدية، أم أنغام الموسيقى الشعبية، أم الرقص، أم الطقوس القبلية والعشائرية التي تميز أحداث الحياة، فإنَّ هذه العادات هي شهادة على استمرارية الممارسات الثقافية. كما أنَّ مناسبات الزواج والمأتم والاحتفالات الدينية والمذهبية غارقة في التقاليد التي تربط الأجيال. وتعزز الطبيعة الجماعية لهذه الطقوس الشعور بالانتماء والاستمرارية، ما يعزز ارتباط الأفراد بتراثهم الثقافي.

إنَّ مرونة العراق الثقافية تتألق بشكل أوضح في مواجهة الشدائد، ونجح المجتمع، طوال تاريخه، في النجاة من الصراعات والغزوات والصراعات الداخلية، إلا أن التعبيرات الثقافية ما تزال قائمة، كما أنَّ الحفاظ على التحف القديمة، واستمرار ممارسة الفنون التقليدية، ومرونة المهرجانات الثقافية في أوقات الشدة، يسلط الضوء على الطبيعة الدائمة للثقافة العراقية.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

وعلى الرغم من التحديات التي فرضتها الحروب والاحتلالات، واصل العراقيون من فنانين وكتّاب وأدباء الإبداع، وغرسوا في أعمالهم روايات تعكس مرونة الروح الإنسانية. وهذه القدرة على الصمود هي مصدر فخر للعديد من العراقيين، إذ تعزز التصميم الجماعي على حماية تراثهم الثقافي والاحتفاء به.

كما تؤدي أشكال التعبير الثقافي، سواء في شكل رسم أو نحت أو فن أو موسيقى أو رقص أو رواية القصص، دوراً عميقاً في تشكيل النفس

الوطنيـة. وفي أوقـات الصراع، لا تصبح هذه التعبيرات شـكلاً من أشـكال المقاومة فحسـب، بل تصبح، أيضاً، وسيلة للحفاظ على الهوية الجماعية تحت الإكـراه. إنَّ تأثير أشـكال التعبير الثقافي على النفـس الوطنية متعدد الأوجه، وتعمل المسـاعي الفنية بوصفها متنفسًـا في أوقات الشـدة، ما يسمح للأفراد بمعالجة الصدمات وإيجاد العزاء في الإبداع. فضلا عن ذلك، تصبح أشكال التعبير الثقافي وسـيلة للتضامن، ما يعزز الشـعور بالوحدة بين الناس الذين يواجهون الشدائد[٩].

بينما نستكشـف الأبعـاد الثقافيـة للعراق، فمـن الواضح أن ثـراء لغاته، (هنـاك في العـراق لغات رسـمية ثـلاث، هي العربيـة والكرديـة والتركمانية فضلا عن لغات أخرى خاصة بالمكونات)، وآدابه، وفنونه، وتقاليده ليسـت مصدراً للهوية الثقافية فحسـب، بل قوة جبـارة تصمد أمام تحديات التاريخ أيضاً، أو كردِ فعلٍ على المناخ السياسي المضطرب[١٠].

عندما نتعمق في الجذور التاريخية للعراق، يصبح من الواضح أن التفاعل بين الحضارات القديمة، وأسسـها الدينية، قـد زرع بذور الهوية الثقافية التي تسـتمر في التطـور إلى يومنـا هـذا. وتظهر جاذبية هـذه التأثـيرات المبكرة في الطقـوس والسرديات والهياكل المجتمعية التي ما تزال قائمة، ما يوفر سـياقاً لفهم الديناميكيات المعقدة للشخصية العراقية[١١].

---

(٩) ا. الحيدري ٢٠١٥.

(١٠) للمزيـد مـن التفاصيـل ينظـر: ا. الحيـدري ٢٠١٥؛ هـ. وهولبـورن ٢٠١٠؛ مقـال في صحيفة الـ Economist نشر بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠١٩؛

F. Fukuzama 2018; G. Liden 2014.

(11) F. Fukuzama 2018.

١-٢-٢ بُعد الدولة:

تأثرت معالم الدولة العراقية بشدة بماضيها الاستعماري، تاركةً إرثاً دائماً يتردد صداه عبر صفحات التاريخ. فبعد انهيار الإمبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أصبح العراق تحت الانتداب البريطاني، وهي المدَّة التي شهدت بداية التأثيرات الخارجية الجلية على تشكيل الدولة.

نفذت الإدارة الاستعمارية البريطانية، سياسات أرست الأساس للانقسامات العرقية والطائفية، التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا. وقد أدى ترسيم الحدود التعسفي، والمحسوبية تجاه مجموعات معينة، وفرض هياكل الحكم الخارجية، إلى زرع بذور التوترات الداخلية، ما مهد الطريق للتحديات المستقبلية اللاحقة في بناء الدولة[١٢].

وصلت رحلة العراق نحو الدولة إلى منعطف حرج، مع التغييرات الكبيرة والسريعة والمتقطعة، مع إنشائها الرسمي في العام ١٩٣٢ وحدوث التغيير الاجتماعي من خلال قفزات كبيرة؛ ولكن الاستقلال الجديد لم يمحُ الآثار المتبقية للتدخلات البريطانية، فقد واجهت الملكية الدستورية الناشئة صراعاً داخلياً، وافتقارًا للاستقرار السياسي، وعكست توازناً دقيقاً بين المصالح المتنافسة[١٣].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

استمر تطور هيكل الدولة العراقية مع سنوات الحكم العسكري، والانقلابات، وتأسيس نظام الحكم البعثي في العام ١٩٦٨. وشكلت السلطة المركزية للدولة، إلى جانب الأيديولوجية العلمانية، المشهد السياسي

(12) Z.E. Preston 2000; A. Rohde 2010.

(13) Z.E. Preston 2000; A. Rohde 2010

عـ. الوردي ١٩٩٤: ص ٢٥١-٢٩٣.

لعقود من الزمن، إذ لم يقتصر تأثيرها على الحكم فحسب، بل على الشخصية الوطنية أيضاً.

لقد مارس الحكام السياسيون منذ تأسيس الدولة العراقية دوراً محورياً في تشكيل الشخصية الوطنية للعراق، تاركين بصمة لا تمحى على النفس الجماعية للسكان. وساهم كل من أمثال الملك فيصل الأول، الذي واجه تحديات الدولة في السنوات الأولى، واللاحقين مثل صدام حسين وشخصيات ما بعده، في سرد الهوية العراقية[١٤].

لم يوجِّه الحكام السياسيون سفينة الحكم فحسب، بل أثروا أيضاً على القيم المجتمعية، والانتماءات الأيديولوجية، وتصور «الأمّة المرجوة» على المسرح العالمي. وكانت سياساتهم وقراراتهم ورواياتهم الشخصية تتشابك مع النسيج التاريخي الأوسع، ما يؤثر على مسار الشخصية العراقية[١٥]. وهنا من الإنصاف أن نعكس تفاوت دور الحكام السياسيين في تشكيل الشخصية الوطنية للعراق، ولم تكن بصمتهم متطابقة، فهناك من ترك بصمة إيجابية ساهمت بإعلاء شأن العراق، وآخرون انحدروا به إلى القاع ودمروا كثيرًا ما قدمه السابقون.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

لقد كان لسياسات الدولة، من مبادرات بناء المجتمع إلى المهام الثقافية، تأثير عميق على الهوية الثقافية للعراق. على سبيل المثال: سعت حملات التعريب في زمن نظام صدام إلى تجانس المشهد الثقافي، وفقاً لرؤية النظام

---

(١٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: هـ. وهولبورن ٢٠١٠ ؛ا. الحيدري ٢٠١٥ ؛
W. Mühlberger 2023; A.A. Allawi 2014.

(١٥) ا. الحيدري ٢٠١٥ ؛ عـ. الوردي ١٩٩٥: ٥٥–٧٠ ؛ م. الخاقاني ٢٠١٣: ١٧٥–١٧٧ ؛ جـ. سلطان ٢٠١٣.

الدكتاتوري آنذاك، على حساب الأقليات وهوياتها المميّزة في كثير من الأحيان. فضلاً عن ذلك، فإنَّ تركيز النظام البعثي على العلمانية، بينما يحاول قمع الاختلافات الطائفية ساهم، عن غير قصد، في تأسيس الهوية، وقد أدّت سياسات الدولة _ سواء أكانت تعزز خطاباً ثقافياً معيناً أم تحاول قمع المعارضة _ دوراً في تشكيل كيفية إدراك العراقيين لهويتهم، ومكانتهم في السياق الإقليمي الأوسع.

بينما نتعمق في تعقيدات تأثير الدولة، يصبح من الواضح أن التطور التاريخي للدولة العراقية، إلى جانب تصرفات القادة السياسيين، وسياسات الدولة، قد ترك علامة لا تمحى على شخصية المجتمع والأمّة المرجوة، ويضيف التفاعل بين الديناميكيات السياسية والهوية الثقافية، طبقات من التعقيد إلى قوى الجاذبية التي تشكل السرد العراقي.

شرعت بداية تشكيل الدول، مطلع القرن التاسع عشر، وفقاً لتعريف الأمّة، بالاعتماد على أكثرية الانتماء الديني أو القومي، وهذا النهج يعني تعريف الأمّة العراقية بأنَّها متعددة القومية (كردية – عربية – تركمانية الخ)، وفي الوقت نفسه متعددة الأعراق. في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الشعوب عادة ما تسعى جاهدة إلى أن تكون لها دولتها الخاصة التي تعكس هويتها، وهذه ظاهرة طبيعية، ومع ذلك، يمكن أن تؤدي ليس فقط إلى إنشاء دول على أساس هيمنة شعب واحد، ولكن على تكافل شعبين أو أكثر أيضاً، وهذا يمكن أن يؤدي، أيضاً، إلى تكوين شعبين أو أكثر من مجموعة عرقية واحدة؛ (مثل الحالة النمساوية أو البلجيكية). وعادةً ما تكون الدول والشعوب متعددة القوميات بصيغة فيدراليات، كما في حالة العراق وهو أيضا فيدرالي (اتحادي)، فضلا عن وجود مستويين اتحاديين، فالمستوى الثاني

يقتصر على وجود إقليم كردستان، مع وجود دعوات ضعيفة بشأن إنشاء فدراليات أخرى في الجنوب أو الغرب، وهنا ضروري أنْ نشخّص إنْ كان هذا التنوع العراقي بأديانه وقومياته وأعراقه ومذاهبه، يمكن توظيفه بوصفه عنصرَ قوة له أو إن لم يُدَرْ بدقة يتحول إلى مصدر ضعف[١٦].

١-٢-٣. البُعد الديني:

نستطيع القول: إنَّ مفاهيم العقيدة الإسلامية وتراثها متجذران في المشهد الديني في العراق، وهو عامل مهم يساعد كثيراً في تشكُّل الهويات الفردية والجماعية للشعب، ولقد أصبح الإسلام في وادي الرافدين في القرن السابع، جزءاً لا يتجزأ من الثقافة والفكر والسياسة والحياة الاجتماعية العراقية.

يُمثّل العراق مركزاً مهماً لكل من المذهبين الإسلاميين السني والشيعي في الخارطة الإسلامية، حيث يستضيف مواقع ومؤسسات دينية مهمة، على سبيل المثال: تعد مدينة النجف التاريخية مركزاً رئيساً للحوزات الشيعية، في حين تعد بغداد ومناطق أخرى موطناً ومركزاً لمجتمعات سنية متنوعة، ويضيف هذا التعايش بين السكان السنة والشيعة بُعداً فريداً للنسيج الديني في العراق.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

كما يحتل التشيُّع مكانة واضحة بشكل خاص في العراق، حيث يلتزم جزء كبير من السكان بتعاليمه وتراثه. ويمكن ملاحظة تأثير المذهب الشيعي في الطقوس الدينية والاحتفالات والتعبيرات الثقافية، مثل موسم عاشوراء ومحرم، التي تميِّز حياة جمٍّ غفير من العراقيين، وهنا من المفيد ان نذكر تعاظم

(16) Z.E. Preston 2000.

الثقافة الشـيعية وليس فقط العقيدة الشـيعية. وأدى التفاعل الديناميكي بين الطائفتين الشـيعية والسـنية، في بعض الأحيان، إلى توتـرات وصراعات، ما أثر على المشهدين الاجتماعي والسياسي، وإن فهم هذا التنوع الديني أمر بالغ الأهمية لفهم تعقيدات الشخصية العراقية[١٧].

لقد كانت للانقسـام الطائفي بين المذهبين الشـيعي والسـني في مناسبات تاريخيـة عـدَّة، آثـارٌ عميقةٌ على الشـخصية العراقية، لاسـيما عندما يسـتغلها الحكام لتقوية حكمهم، على حساب التعايش والتجانس المجتمعي. ويستمر الانقسـام التاريخـي المتجذر في النزاعـات المبكرة حول القيـادة والخلافة، في تشكيل الممارسات الدينية والانتماءات السياسية والأعراف المجتمعية.

إنَّ العـراق، الذي يُصنَّف _ في كثير من الأحيان _ بوصفه مركزًا للتراث والثقافـة الإسـلامية، يمتلك، أيضـاً، أهمية لـدى المجتمعات غير المسـلمة، ما يسـاهم في هويتـه المتنوعة ومتعددة الأوجـه، وعمومًا فـإن مكانة العراق بوصفـه مركـزًا لغـير المسـلمين متجـذرة في تراثه التاريخـي الغنـي، والتنوع الديني، والتبادل الثقافي، وبالنسـبة للعديد من غير المسـلمين، يحمل العراق أهمية عميقة بعدِّهِ وجهة دينية مهمة غارقة في التاريخ والروحانية. فضلاً عن ارتباطه بالإسلام، فإن جذوره القديمة، وتراثه الديني المتنوع، يجذب الزوار من التقاليد الدينية المتغايرة، الذين يسعون إلى التواصل بالموروثات التاريخية والحج إلى الأماكن المقدسة.

عـلى سـبيل المثـال؛ ينجـذب الحجـاج المسـيحيون إلى المعـالم التوراتية في العـراق، مثـل مدينة بابل القديمـة، التي يعتقد أنها مرتبطة بشـخصيات مثل

(١٧) ا. الحيدري ٢٠١٥ ؛ إ. نقاش ١٩٩٦.

دانيـال. كـما أنَّ آثـار مدينـة أور المرتبطة بالنبـي إبراهيم في التقاليـد اليهودية والمسيحية، هي بمنزلة تذكير مؤثر بالروابط القديمة والروايات الروحية.

ومماثلـة للسـابق، فـإن أتبـاع الديانـة الإيزيدية يجـدون في العـراق أرضاً مقدسـة ازدهرت فيها تقاليدهـم ومعتقداتهم الدينية على مدى قرون طويلة، كـما أَن الأماكن المقدسـة في «لالش» (القلـب الروحي للمجتمـع اليزيدي) تدعـو المصلين والباحثين معًا لتجربـة الروحانية الفريدة، والغنى الثقافي لهذا الإيمان القديم.

وللـتراث اليهـودي، أيضاً، جذور عميقة في العراق، إذ تعكس المواقع التاريخيـة مثل قبر حزقيال في الكفل، والحي اليهودي القديم في بغداد، قروناً من الوجود اليهودي وأسهاماتهم في المجتمع العراقي. وفي حين تضاءل عدد السـكان اليهود في العراق بشـكل كبير جداً على مر السـنين، فإنَّ هذه المواقع تقف شاهداً على تاريخ مشترك من التعايش والتبادل الثقافي.

ينظـر الزوار القادمون من خلفيات متنوعة، بما في ذلك المؤرخون وعلماء الآثـار والباحثـون الروحيـون والانثروبولجيـون، إلى العراق بعـدِّه كنزاً من الحضارات القديمة والموروثات الدينية، وبرغم التحديات والصراعات، ما تـزالُ جاذبية التراث الثقـافي، والمناظر الطبيعية، والمواقع المقدسـة في العراق يـتردد صداهـا، ويُلهم رحلات الاكتشـاف والتأمـل والتواصل عبر الحدود الدينية، ويسـاهمُ غير المسـلمين، مـن خلال هذه الزيـارات، في سرد العراق بوصفـه مركزًا متعـدد الأوجه للحـج الروحي والاستكشـاف التاريخي، ما يثري فهمهم للتراث العميق والدائم للمنطقة.

إلى جانـب المجموعـات الدينيـة الرئيسـة المذكـورة آنفاً، يشـمل المشـهد

دار وهج للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الديني في العراق مجتمعات وتقاليد روحية أصغر، وقد يشمل هؤلاء أتباع المندائية، وهي عقيدة قديمة، فضلا عن ممارسي الطرائق الصوفية النقشبندية أو القادرية مثلاً داخل الإسلام، وقد يجد الباحثون والممارسون المهتمون بالدراسات الدينية المقارنة والتصوف والتقاليد الباطنية، أنَّ العراق وجهة مقنعة للبحث الأكاديمي والاستكشاف الروحي.

في جوهر الأمر، فإن الأهمية الدينية للعراق تتجاوز أي عقيدة منفردة، وتقدم نسيجاً من التجارب الروحية والثقافية للأشخاص من المعتقدات المختلفة، وتعمل المواقع القديمة، والمعالم الدينية، والروايات التاريخية في البلاد، بوصفها نقاطًا محورية للحوار بين الأديان والبحث العلمي ورحلات الحج، ما يعزز فهمًا أعمق للتراث الديني متعدد الأوجه في العراق، وأهميته العالمية في عالم الروحانية والإيمان.

يتمتع الزعماء _ الدينيون بمعزل عن الديانة _ في العراق بنفوذ كبير، ليس في المسائل الدينية فقط، بل في تشكيل الشخصية الأوسع للمجتمع أيضًا، وللمؤسسة الدينية، ولاسيما عند الشيعة، دورٌ محوريٌّ في توجيه الاتباع والتأثير على الرأي العام.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

شهدت مرحلة ما بعد حكم نظام صدام عودة النفوذ الديني، وتحديدًا داخل الطائفة الشيعية، واكتسب الزعماء الدينيون (السنة والشيعة) شهرة سياسية، ما أثر على حكم الدولة والأعراف المجتمعية، وقد سلط صعود الديناميكيات الطائفية الضوء _ بشكل أكبر _ على التحديات التي تواجه التوفيق بين وجهات النظر الدينية المتباينة، ضمن الإطار الوطني الأوسع[١٨].

(١٨) إ. نقاش ١٩٩٦.

من آيات الله العظمى في النجف، إلى علماء السنة في المحافظات الأخرى، كثُر ما يعمل الزعماء الدينيون بوصفهم سلطات أخلاقية، ويقدِّمون التوجيه بشأن مسائل تتراوح بين السلوك الشخصي والمشاركة السياسية. ويمتد تأثيرهم إلى ما هو أبعد من الشؤون الدينية، ويتغلغل في مجالات الحكم والقيم المجتمعية.

إن الممارسات الدينية متأصلة بعمق في الحياة اليومية للعراقيين، وتؤثر على كل شيء، بدءاً من الهياكل الأسرية، وحتى التفاعلات المجتمعية. إن الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، والمناسبات الدينية عند الشيعة مثل محرم وعاشوراء وكذلك السنية المختلفة، والحج إلى الأماكن المقدسة وزيارات المراقد المقدسة، ليست مجرد عبادات؛ بل هي عناصر متضامَّة لا تتجزأ من النسيج الثقافي والاجتماعي العراقي. كما تشكل الممارسات الدينية القيم الأخلاقية والمعنوية، وتؤثر، بشكل مباشر أو غير مباشر، على عملية صنع القرار في مجالات الحياة المختلفة، فضلاً على أنَّ مراعاة الطقوس الدينية تكون بمنزلة قوة موحدة، وتعزيز الشعور المشترك بالهويات المختلفة بين العراقيين[١٩].

مع ذلك، فإن تأثير الممارسات الدينية ليس موحداً، وقد يفسر الأفراد عقيدتهم، ويتعاملون معها بطرائق مختلفة، ويضيف هذا التنوع تعقيداً إلى الأبعاد الدينية للشخصية العراقية، ما يعكس التفاعل الدقيق بين المعتقدات الشخصية والتأثيرات المجتمعية الأوسع.

(١٩) المصدر أعلاه.

١-٣ تفاعل الأبعاد الثلاثة – تكامل أم تناحر؟

يتسم التقاطع بين الثقافة والدولة والدين في العراق، بمستويات معقدة من الصراعات والتوترات، ما يعكس التأثيرات المتنوعة التي تشكل المجتمع ومن ثم الأمّة. ويتجلى الصراع بين القوى الدينية والعلمانية في الحوار المستمر بشأن دور الإسلام أو الدين في الحكم والأعراف المجتمعية.

تاريخياً، شهد العراق مراحل سعت فيها الدولة بعد نشؤها عقب الحرب العالمية الأولى، إلى تأكيد سلطتها العلمانية، وتحدي تأثير المؤسسات الدينية، وعلى العكس من ذلك، تنافس الزعماء والجماعات الدينية على القيام بدور أكثر أهمية في تشكيل سياسات الدولة، ما أدى إلى تفاعل معقد بين القوى الدينية والعلمانية.

كما أنَّ لهذه الصراعات آثارًا بعيدة المدى على الشخصية العراقية، إذ لا تؤثر على نظام الحكم فقط، بل على الديناميكيات الثقافية والاجتماعية التي تحدد الأمّة وماهيتها أيضًا، وما يزال تحقيق توازن دقيق بين التأثيرات الدينية والعلمانية يشكل تحدياً مستمراً، ما يؤثر على مسار هوية العراق، ولعلَّ الإجابة على سؤال مهم عن دور الدين في المجتمع والدولة العراقية غير واضحة، أو لم ينل الإجابة الوافية الواضحة.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

وتعد أشكال التعبير الثقافي بمنزلة انعكاس واستجابة للتوترات الناشئة عن التفاعل بين الثقافة والدولة والدين، في أوقات الصراع، أو التحولات المجتمعية، تصبح أشكال التعبير الثقافي وسيلة قوية يتفاوض بوساطتها الأفراد والمجتمعات على هويتهم.

كثيراً ما تتخذ أشكال التعبير الثقافي شكل المقاومة ضد الاضطهاد أو

الإمـلاءات، ويتسـلح الفنانـون والشـعراء والمدونـون والكتـاب والأدبـاء بمسـاعيهم الإبداعية لتحدي الأعراف المجتمعية، وانتقاد سياسات الدولة، وتأكيـد اسـتقلاليتهم، سـواء مـن خـلال الفـن التخريبـي (من وجهـة نظر الحاكـم)، أم الأدب المنشـق، أم العـروض الاسـتفزازية، وتصبـح المقاومـة الثقافية أداة للدفع ضد تحييدهم.

عـلى العكس من ذلـك، يمكن لأشـكال التعبـير الثقافي أيضـاً أن تكون بمنزلـة وسـيلة للامتثـال للأيديولوجيات السـائدة، وفي محاولـة للتنقل عبر المشهد المعقد للحساسـيات الدينية والسياسية، قد تتماشى بعض الإنتاجات الثقافية مع المعايير الراسـخة، وتتجنب المعارضة الصريحة، ويمكن أن يكون هـذا الشـكل من الامتثـال خيـاراً اسـتراتيجياً للتغلب على التحديـات التي تفرضها الدولة أو المؤسسات الدينية[٢٠].

ويعكس _ أيضًا _التفاعل بين المقاومة والامتثال، أشكال التعبير الثقافي والحوارات والمناقشـات الدقيقة التي تجري داخل المجتمع العراقي، وتصبح عملية ديناميكية يتنقل بها الأفراد والمجتمعات في شبكة معقدة من التأثيرات ما بين الثقافة والدولة والدين.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

بينما نستكشف التوترات والتفاعلات عند تقاطع الثقافة والدولة والدين، فمـن الضروري أن ندرك الطبيعة المتغيرة لهـذه الديناميكيات، إذ إنَّ التفاعل بين القـوى المتصارعة، ودور التعبـيرات الثقافية بوصفهـا عوامل للمقاومة والامتثال، يسـاهم كثيرًا في تطور السرد للشـخصية العراقيـة، وعليه يمكن أنْ نقـول إنَّ عمليـة التفاعل بين الثقافة والدولـة والدين في العقود الأخيرة،

(٢٠) عـ. بلقزيز ٢٠٠١ ؛ ن. عبدالفتاح ٢٠١٠.

أصبحت عملية تناحر تنعكس سلباً على يوميات العراقي، بدلاً من أن تكون عملية تكامل وخلق مناخات وفضاءات إيجابية، لبناء معالم أمةٍ واضحة ذات هوية وطنية جلية[٢١].

١-٤ خصائص الشخصية العراقية - لمحة عامة:

مـن المهمِّ ملاحظـة أنَّ محاولة تعميم خصائص مجموعة سـكانية متكاملة مثل الشـخصية العراقية، يمكن أن تكون صعبة، وقد تبالغ في تبسـيط التنوع داخل البلاد، فالعراق موطن لمزيج متنوع من الأعراق والمجموعات الدينية والخلفيات الثقافية، ما يؤدي إلى نسيج غني من الهويات الفردية، أو الجماعية المكوناتية، أو المذهبية، أو المناطقية، أو الحزبية... الخ. فضلاً عن ذلك، يمكن أن تختلف الشخصيات الفردية كثيرًا، بناءً على عوامل مثل النشأة، والتعليم، والتجربة الشخصية، ومع ذلك قد تكون بعض الخصائص الثقافية والخصال الاجتماعية مرتبطة بالشـعب العراقي[٢٢]، وضروري هنا أنْ نضعَ في اعتبارنا أنَّ التعميمات في أدناه، قد لا تنطبق على كل فرد:

١- **الضيافـة والكـرم:** لتقاليد الضيافة والكرم قيمـة ثقافية كبيرة في العراق، وكثـيراً ما يُعامل الضيوف بدفء وكرم كبيريـن، ويعدُّ تقديم الطعام والولائم طريقة شائعة للتعبير عن حسن الضيافة.

٢- **الروابط العائلية القوية:** تحظى العائلة والعشـيرة بتقدير كبير في المجتمع العراقي، وتعيش الأسر، في كثير من الأحيان، على مقربة من بعضها،

(21) T. Dodge 2023; Z.E. Preston 2000.

(٢٢) م. الخاقاني ٢٠١٣: ١٧٥-١٧٧ ؛ عـ. الوردي ٢٠٠٧ ؛ ٢٢-٢٨ ؛ عـ. الوردي ١٩٦٩: ٣٣-١٦٩.

وهناك شعور قوي بالترابط بين أفراد العائلة والعشيرة.

٣- **القدرة على الصمود والتكيف**: واجه العراق تحديات مختلفة، بما في ذلك الحروب والصراعات، وأظهر شعبه قدرة عالية على الصمود في مواجهة الشدائد. والعراقيون معروفون بقدرتهم على التكيف والمثابرة وسعة الحيلة في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية الصعبة.

٤- **التأثير الديني**: يؤدي الدين دوراً مهماً في الثقافة العراقية، وأكثريَّة السكان مسلمون أو يدَّعون أنَّ للدين مقامًا خاصًّا عندهم، ويمكن أن ينعكس هذا التأثير الديني في الحياة اليومية والعادات والتقاليد، وكيفية تعاطيهم مع الدولة ومؤسساتها.

٥- **الجماعية**: كثُر ما كان هناك تأكيد قوي على مفهوم الجماعة، ولاسيما العشائرية والقبلية و«البيوتاتية»، وتماسكها وأهميتها في المجتمع العراقي، وقد كان يُعطي الناس الأولوية لاحتياجات المجتمع على المصالح الفردية، وممكن جدا ملاحظة ان هذه الخصلة قد تضاءلت، ولاسيما في العقود الأخيرة، نتيجة سياسات الأنظمة المتعاقبة، التي كانت سبباً رئيساً في هدم أو إضعاف شعور المواطنة، وتقديم مصالح المجتمع على المصالح الفردية الشخصية.

٦- **التواصل التعبيري**: يتميز الشعب العراقي، في كثير من الأحيان، بأنَّه معبر في تواصله. وقد تؤدي الإشارات والإيماءات (وتسمى باللغة الدارجة «الحسچه»)، وتعبيرات الوجه غير اللفظية، دوراً مهماً في نقل المشاعر والنيات.

٧- **احترام كبار السن**: احترام كبار السن عرف ثقافي واجتماعي في العراق، وكثرُ ما يُمنَح كبار السن مستوى عاليًا من الاحترام، وتكون لآرائهم

دار وممكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

ونصائحهم قيمة داخل الأسرة والعشيرة والمجتمع.

٨- **هوية ثقافية قوية**: يتمتع العراق بتراث ثقافي غني، له تاريخ يعود إلى الحضارات القديمة، ويفخر جمٌّ من العراقيين بهويتهم الثقافية، بما في ذلك العادات التقليدية والموسيقى والأدب والفن والشعر.

٩- **التطلعات التعليمية**: برغم التحديات، هناك تركيز عالٍ _ في أكثر الأحيان _ على التعليم في الأسر العراقية، ويطمح كثير من الأفراد إلى متابعة التعليم العالي والنجاح المهني. بلى، ففي العقدين الاخيرين انحدر اهتمام المجتمع العراقي بالتعليم، وأصبح الحصولُ على الشهادة غاية للفرد العراقي؛ للمكانة الاجتماعية، أو المنصب الحكومي، أو الامتيازات المالية الوظيفية من دون الاهتمام بتطوير المستوى الشخصي؛ أي الاهتمام بالكم على حساب النوع، وعليه هناك وفرة في الحاصلين على الشهادات من العراقيين، من دون أنْ ينعكس ذلك على واقع المجتمع وتطوره.

١٠- **الأدوار التقليدية للجنسين**: قد تؤثر الأدوار التقليدية للجنسين على التوقعات المجتمعية والهياكل الأسرية، وبرغم حدوث تغييرات مع مرور الزمن، إلا أن بعض المعايير والتوقعات المتعلقة بالجنسين قد تستمر في مناطق مختلفة.

١١- **الفخر الوطني**: على الرغم من التحديات الداخلية والخارجية، فإن العراقيين عامَّةً اعتادوا أنْ يعبروا عن شعور قوي بالفخر الوطني، والارتباط بوطنهم وهويته، ولاسيما عند الأجانب، وإنْ كانت لهم تفسيرات مختلفة لماهيتها.

من الضروري التعامل مع هذه الخصائص بحساسية وإدراك؛ لأنَّ

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

التجارب والشخصيات الفردية متباينة كثيرًا، فضلاً عن ذلك، يمكن لتأثير الأحداث التاريخية، وانعدام الاستقرار السياسي، والتحديات الاقتصادية أن تشّكل سمات الأفراد وسلوكهم بطرائق معقدة، يجب أن يكون التعامل مع التعميم بحذر، ومن المستحسن، دائماً، مراعاة تنوع الأفراد[٢٣].

١-٥ أين المشكلة؟

نظراً لغنى الشخصية العراقية بالصفات المذكورة آنفاً، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه يكون عن أسباب ضعف التماسك الاجتماعي والوطني داخل المجتمع العراقي، ولاسيما في العقود الأخيرة، وعلى الرغم من وجود بعض الخصائص الثقافية والمجتمعية، فمهمٌّ إدراكُنا أنَّ التماسك الاجتماعي هو ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه، تتأثر بمجموعة واسعة من العوامل، وقد تكون الخصائص أعلاه مفيدة، لكنها غير كافية لتعزيز تماسك اجتماعي ووطني قوي، ولعلَّ وجود السمات الثقافية وحدها لا يضمن التماسك الاجتماعي، ويمكن أن تساهم التحديات المختلفة في غيابه أو تشتته.

إنَّ نضال العراقيين لتحقيق الانسجام الاجتماعي، ينبع من تفاعل معقد بين العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي شكلت مسار المجتمع، وفيما يلي بعض الأسباب الرئيسة التي نرى أنَّها تجعل العراق يواجه تحديات في تعزيز الوئام الاجتماعي، وهي مقدمة ضرورية لخلق فضاءات وطنية جامعة:

---

(٢٣) ا. الحيدري؛ ٢٠١٥ الاستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في المركز والاقليم (للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠) ٢٠١٢؛ عـ. الوردي ١٩٩٤: ٢٥١-٢٩٣؛ ب. فتاح ٢٠١٨: ١٢٤٤-١٢٦٣؛ ل. فيلي (١) ٢٠٢٣؛ عـ. الطاهر ٢٠١٦؛ مـ. حجازي ٢٠٠٥؛ المجتمع العراقي حفريات سوسيولوجية في الإثنيات والطوائف والطبقات إسحاق نقاش وآخرون ٢٠٠٦.

١. الصراعات التاريخية: شهد العراق تاريخاً من الصراعات، بما في ذلك الحروب والصراعات الداخلية، وأن للتوترات التاريخية والقضايا العالقة تأثير دائم على العلاقات الاجتماعية والثقة داخل المجتمعات.

٢. انعدام الاستقرار السياسي: ساهمت أزمنة الافتقار إلى الاستقرار السياسي، والتغييرات في الحكومة، وتحديات الحكم، في انعدام أو ضعف الثقة في المؤسسات الحكومية، وإعاقة الجهود المبذولة لبناء التماسك الاجتماعي[٢٤].

٣. التأثيرات الخارجية: متمثلة بالجهات الخارجية وتعدُّ من العوامل المهمة التي لها تأثير فاعل، إلى جانب الفواعل الجيوسياسية، وتداخلها مع الشؤون الداخلية، التي أثرت وأدت إلى ديناميكيات داخلية جديدة للمجتمع، وساهمت في الانقسامات الاجتماعية. فالجهات الفاعلة الخارجية، بما في ذلك الدول المجاورة والقوى العالمية، كثُرَ ما سعت إلى تحقيق مصالحها الاستراتيجية على حساب وحدة العراق. وقد أدت الصراعات بالوكالة، والتدخل في الشؤون الداخلية، والمنافسات الجيوسياسية، إلى تفاقم التوترات الداخلية وعرقلة الجهود الرامية إلى تحقيق الوئام الاجتماعي[٢٥].

٤. الافتقار إلى الاستقرار الإقليمي: إنَّ البيئة الجيوسياسية في العراق، التي تتميز بالصراعات والمنافسات الإقليمية، لها تأثير غير مباشر على

(24) A. Cordesman 2023; B. Connable. M. Mostajabi 2022.

(25) H. Hasan 2024; G.W. Bush 2006; K. Kausch 2015; Borshchevskaya A. 2019; Cordesman A.H. 2021; Ebel R.E. 2010; Mahmoud S. 2022; Sudani al- E. 2022; Rashed D. 2019; Lockhart P.G, 2014; Cordesman A.H. 2023; Feltman J. and Others 2019;

جـ. سلطان (أ، ب) ٢٠١٣.

الديناميكيات الداخلية. يمكن للصراعات بالوكالة، والتدخلات الأجنبية، والتوترات الإقليمية، أنْ تؤدي إلى تفاقم الانقسامات الداخلية، وتعقيد جهود المصالحة، وإعاقة التقدم نحو الوئام الاجتماعي[٢٦].

٥. المخاوف الأمنية: التهديدات الأمنية المستمرة، بما في ذلك الإرهاب والتمرد والجريمة المنظمة، أعاقت، أيضاً، الجهود المبذولة لبناء الوئام الاجتماعي؛ إذ إنَّ انتشار العنف وانعدام الاستقرار، خلق مناخاً من الخوف، وقوض الثقة في قدرة الدولة على توفير الأمن وحماية حقوق المواطنين[٢٧].

٦. الانتماءات القومية والدينية والطائفية: يتميز العراق بالتنوع القومي والطائفي، ما أدَّى _ في بعض الحالات _ بسبب الانقسامات على هذا المنوال، التي تفاقمت نتيجة للأحداث التاريخية، إلى التشرذم الاجتماعي، والشعور بالهوية على أساس الانتماءات الدينية أو القومية؛ ((والقومية هنا تعني عربي أو كردي أو تركماني..الخ))، بدلاً من الهوية الوطنية المشتركة، وبرغم إنَّ هذا التنوع يثري النسيج الثقافي للبلاد، فإنَّه كان مصدراً للتوتر والصراع والانقسام أيضاً، ولاسيما عندما يُنظر إلى السلطة السياسية والاقتصادية على أنها موزعة بشكل غير متساوٍ بين هذه المجموعات، وكثيراً ما استغل الزعماء السياسيون والدينيون

(26) Baker III, James A., and Lee H. Hamilton 2006; Cordesman A.H. 2021; Cordesman A.H. 2023.

(27) The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030; The International Commission on Missing Persons (ICMP); Cordesman A.H. 202; Cordesman A.H. 2023; Pfaff C.A. and Others 2022; Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq; عـ. حميد وعـ. عبدالله ٢٠٢٠.

هذه الانقسامات لتحقيق مكاسب خاصة بهم، ما أدى إلى تعزيز مناخ الطائفية والسياسات القائمة على الهوية التي تقوض الجهود الرامية إلى بناء الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي[٢٨].

٧. انعدام المساواة الاقتصادية: ساهمت الفوارق الاقتصادية في الانقسامات الاجتماعية، إذ تشعر مجموعات أو مناطق معينة بالتهميش أو الحرمان، ما أدى إلى توترات وانعدام وجود أهداف مجتمعية مشتركة.

إن الافتقار للمساواة الاقتصادية، ومحدودية الوصول إلى الخدمات الأساسية يخلقان أرضاً خصبة للاضطرابات الاجتماعية، ويؤديان إلى تفاقم خطوط الصدع القائمة داخل المجتمع.

٨. أزمة النزوح واللاجئين: واجه العراق نزوحاً داخلياً كبيراً، وتدفقات اللاجئين من الخارج؛ بسبب الصراعات وانعدام الاستقرار في المنطقة، وقد أدى ذلك إلى خلق توترات اجتماعية، وتنافس على الموارد، وتحديات في دمج السكان النازحين مرة أخرى في مجتمعاتهم، ما ساهم في التفتت والانقسام الاجتماعي[٢٩].

٩. ضعف الثقة في مؤسسات الدولة: إنَّ تاريخ انعدام الاستقرار السياسي، وتفشي الفساد المالي والإداري والافتقار إلى الحكم الفعال، أدى إلى تآكل الثقة بمؤسسات الدولة؛ فعندما يفتقر الناس إلى الثقة بمؤسساتهم، فإن ذلك سيعيق من الجهود الجماعية الرامية إلى تحقيق التماسك الاجتماعي،

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

(28) Mühlberger W. 2023; Sarwar A. 2019;
هـ. وهولبورن ٢٠١٠ ؛ س. القمودي ١٩٩٩ ؛ إ. الحيدري ٢٠١٣.

(29) UNHCR Iraq situation overview 2023; International Organization for Migration (IOM) IRAQ MISSION 2016; The Centre for Preventive Action 2024.

وقد اتسمت مرحلة ما بعد نظام حكم صدام في العراق، بالتحديات في مجال الحكم، وسيادة القانون، والقدرة المؤسسية[٣٠].

١٠. الصراعات والصدمة: يتميز تاريخ العراق بحالات من الصراع والقمع والصدمات، بما في ذلك الحروب والدكتاتوريات والتدخلات الخارجية، ويمكن للذاكرة الجماعية لهذه الأحداث المؤلمة، أنْ تديم دورات من انعدام الثقة والاستياء والعداء بين المجتمعات، ما يعيق جهود المصالحة والتماسك الاجتماعي. وهناك آثار نفسية دائمة للصراعات والصدمات الماضية، مثل حملة التفجيرات أو الانتحارية لتنظيم القاعدة الارهابي أو سيطرة عصابات داعش الإرهابية على أجزاء من الأراضي العراقية، وقد تؤثر هذه الصدمة على العلاقات الشخصية وديناميكيات المجتمع الداخلية وكذلك على علاقتها مع الخارج[٣١].

١١. تأثير وسائل الإعلام: مارست وسائل الإعلام بشقيها التقليدي والاجتماعي دوراً في تشكيل التصورات، وخلق السرديات والتأثير على الرأي العام، وساهمت الروايات المتحيزة أو المثيرة للانقسام في وسائل الإعلام في الاستقطاب الاجتماعي، ولعلَّ انتشار المعلومات المضللة، والخطاب المثير للخلاف يمكن أن يؤدي إلى تأجيج التوترات المجتمعية، وعرقلة الجهود الرامية إلى بناء التفاهم والثقة المتبادلة بين المجموعات المختلفة.

١٢. التحديات التعليمية: الأنظمة التعليمية التي لا تعزز المساواة

(30) The Centre for Preventive Action 2024; Mahmoud S. 2022;
مـ. راضي وحـ. الطائي ٢٠١٥ ؛ حـ. الزيادي ٢٠٢٣ ؛ عـ. الحضرمي ٢٠١٤ ؛ عـ. الحمود ٢٠٢٣.
(٣١) م. حجازي ؛٢٠٠٥ عـ. عامر ٢٠٢٠ ؛ ا. نقاش مع مجموعة من الباحثين ٢٠٠٦ ؛ مـ. الشناوي ٢٠١٢.

والتنـوع والتفكـير النقـدي يمكـن أن تسـاهم في إدامة الصـور النمطية والانقسامات[٣٢].

١٣. الافتقار إلى سياسـات شاملة: السياسـات الحكومية العراقية التي لم تلـبِّ احتياجات المجتمعات المتنوعـة، أو التي تديم التمييز، أدَّت إلى أن تقوض الجهود المبذولة لبناء التماسك الاجتماعي[٣٣].

١٤. إرث الحكم الاستبدادي: لقد خلفت عقود من الحكم الاستبدادي، (ولعل في ظل حاكم مثل صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣ أوضحها)، إرثاً مـن انعدام الثقة والخوف والقمع بـين شرائح المجتمع العراقي المختلفة. كـما أنَّ سياسـات النظام القائمـة على المحسـوبية الطائفيـة، وانتهاكات حقوق الإنسـان، والقمـع العنيـف للمعارضة، زرعت بذور الانقسـام والعداء في المجتمع ما تزال قائمة حتى يومنا هذا[٣٤].

١٥. المؤسسات الاجتماعية الضعيفة: لقد ناضل العراقيون، ولاسيما بعد العام ٢٠٠٣، من أجل تطوير مؤسسات اجتماعية قوية، يمكنها تقويض الانقسـامات وتعزيـز الوحدة، وكثُـر ما كانت_ واسـتمرّت _ منظمات المجتمع المدني والمراكز المجتمعية ومنصات الحوار بين الأديان والأعراق هامشية وغير مؤثرة، أو تواجه تحديات كبيرة في اكتساب القوة والتأثير.

---

(32) UNDP / Iraq Publications page, (Entry date February 20, 2024);
«الإسـتراتيجية الوطنيـة للتربيـة والتعليـم العـالي في العـراق المركـز والإقليـم للسـنوات ٢٠١١-٢٠٢٠""الإسـتراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسـنوات ٢٠١١-٢٠٢٠».

(33) The Transformation Index: "Analyses Transformation Processes toward Democracy and a Market Economy in International Comparison and Identifies Successful Strategies for Peaceful Change." Iraq Country Dashboard Report 2024, (Entry date: 12/05/2024).

(34) «Human Right Watch 2023 events in Iraq», (Entry date: 11/06/2024);

١٦. **تهميش الشباب: في العراق عدد كبير من الشباب الذين يواجهون تحديات مثل محدودية فرص التعليم والتوظيف، والعزلة عن المؤسسات التقليدية، والقابلية للتشدد والتطرف. إن إشراك الشباب وتمكينهم (وليس ممن هم قريبون من أحزاب السلطة فقط)، بطرائق بناءة، أمر بالغ الأهمية لبناء مجتمع أكثر شمولاً وانسجاما**[٣٥].

يشكل الوئام الاجتماعي حجر الزاوية في تطور أيِّ أمة وتقدمها، وتتجلى أهميته، بشكل خاص، في سياق العراق. وتتشابك سردية الوئام الاجتماعي في العراق، مع تاريخ البلاد وتنوعها وتطلعاتها لمستقبل سلمي ومزدهر.

في قلب هذه الرواية يكمن الاعتراف أنَّ العراق ليس سوى فسيفساء من الأعراق والأديان والثقافات، تساهم كل منها في النسيج الغنيّ للأمة، ويشمل الوئام الاجتماعي مُثُل الاحترام المتبادل والتفاهم والتعاون بين هذه المجموعات المتنوعة، ما يعزز الشعور بالوحدة والهدف المشترك.

أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل التناغم الاجتماعي أمراً حاسماً لتنمية العراق، هو قدرته على تخفيف الصراعات والانقسامات الداخلية. لقد شهد العراق أزمنة من التوترات الطائفية والصراع القومي والخلاف السياسي، ما أعاق التقدم والاستقرار. ويعمل الوئام الاجتماعي بوصفه قوةً مضادة لهذه التحديات، ويعزز الحوار والمصالحة والمساواة بين شرائح المجتمع عامّة.

في سرد تطور العراق، يتّضح جليًّا التناغم الاجتماعي بعدِّه عاملًا

(35) UNDP / Iraq Publications page, (Entry date February 20, 2024);
«الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢ مـ. حجازي ٢٠٠٨.

محفـزًا للسـلام والازدهـار وبنـاء الأمّـة "المرجـوة"، ولا يقتـصر الأمر على غياب الصراع فحسـب، بل وجـود الاحترام المتبادل والتماسـك الاجتماعي والتضامـن بين شرائـح المجتمع أجمعهـا. ويتطلب تحقيق الوئـام الاجتماعي بذل جهود متضافرة على المسـتوى الفردي والمجتمعي والوطني، بما في ذلك تعزيز الحوار بين الأديان والمذاهب، والتبادل الثقافي، والاندماج الاجتماعي، ومبادرات المصالحة.

ويتطلـب التصـدي لهـذه التحديـات نهجـاً شـاملاً يعالـج الأسـباب الجذريـة، ويعزز الحكم الشـامل والفـرص الاقتصادية للجميـع ومبادرات التماسـك الاجتماعي، ويعالج الطائفية وسياسـات الهوية، كما يسـتلزم تعزيز ثقافـة الحوار والمصالحـة، واحترام التنوع لبنـاء مجتمع عراقي أكثر انسـجاماً ومرونـةً. وأنْ يكـون هـذا النهـج جامعًـا للأبعـاد السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية، وهي تنطوي على تعزيز الحكم الشـامل، والاسـتثمار في البنيـة التحتية والخدمـات الاجتماعيـة، وتمكين الفئات المهمشـة، وتعزيز الثقافـة الإعلامية والصحافة المسـؤولة، وتعزيز التعـاون الإقليمي من أجل الاستقرار والسلام.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

كما تشـمل الجهود الرامية إلى تحقيق التماسك الاجتماعي، تعزيز الحكم الشـامل، ومعالجة الفوارق الاقتصادية، وتعزيز التفاهـم الثقافي، وبناء الثقة بـين المجتمعات المتنوعة، وهـي عملية طويلة الأم، تتطلـب الالتزام بالحوار والمصالحـة، وإنشـاء مجتمع يعمل على ترسـيخ العدالة والعدالـة الاجتماعية. وعليه فإنَّ ضعف التماسـك الاجتماعي في العـراق، يتأثر بمزيج من العوامل الداخليـة والخارجيـة، وهـذه العوامـل مترابطة وكثُر مـا تعزز فيـما بينها، ما

يساهم في تعقيد المشهد الاجتماعي والسياسي المعقد أصلاً[٣٦].

في نهاية المطاف، فإن الوئام الاجتماعي في العراق ليس مجرد مثال نبيل، بل هو ضرورة عملية لإطلاق العنان لإمكانات الأمّة الكاملة، وتعزيز التنمية المستدامة، وضمان مستقبل أكثر إشراقا للأجيال المقبلة. وهو سرد يتصور العراق دولة موحدة ومرنة، تستمد قوتها من تنوعها وتطلعاتها الجماعية إلى السلام والتقدم والازدهار[٣٧].

١-٦ أسباب شح القيادات التاريخية:

في سياق هذا البحث، يشير مصطلح "القادة التاريخيون" إلى الشخصيات العراقية المؤثرة التي مارست أدواراً مهمة في تشكيل المجتمع والسياسة والثقافة العراقية طوال تاريخه الحديث، وقد يشمل هؤلاء القادة قادة سياسيون وشخصيات دينية ومثقفون وأيقونات مجتمعية، كان لأعمالهم وأفكارهم وتراثهم تأثير دائم على مسار العراق بوصه دولة أو كأمة، وربما يكون هؤلاء قادوا حركات، أو بدأوا بإصلاحات مجتمعية كبيرة، أو دافعوا عن الأيديولوجيات التي شكلت مسار التاريخ العراقي الحديث[٣٨].

يمكن أن يعزى الافتقار الحالي في المجتمع العراقي إلى القادة التاريخيين

---

(٣٦) ع. الوردي ١٩٩٥ : ٣٢-٣٨.

(37) World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement";

ل. الفيلي ٢٠٢٣ (١٤ عشر مقال نشرت على جريدة الصباح)؛ عـ. الطاهر ؛٢٠١٦ م. حجازي (ا و ب) ؛٢٠٠٥ ا. نقاش مع مجموعة من الباحثين ٢٠٠٦.

(38) Allawi A.A. 2014.

بوصفهم نماذج يُحتذى بها في المجتمع، إلى عوامل عدة، منها:

١. الحكم الاستبدادي: مرَّ العراق بتاريخ من الحكم الاستبدادي والمركزي، إذ سيطر حكام ديكتاتوريون مثل صدام حسين على المشهد السياسي لعقودٍ من الزمن، وخلف إرثاً من القمع السياسي والفساد وانعدام الثقة في المؤسسات الحكومية، وتقمع الأنظمة الاستبدادية المعارضة وتهمشها، ما يُصعِّب ظهور أصوات وأساليب قيادة بديلة؛ ونتيجة لذلك كانت المساحة المتاحة قليلة لتطوير نماذج قيادية متنوعة وشاملة، تعكس تطلعات السكان وقيمهم، وهنا يشعر العديد من العراقيين بالقلق من السلطة المركزية، وقد يترددون في الثقة بالقادة الجدد، لاسيّما إذا كان يُنظر إليهم على أنَّهم جزء من النظام القديم، أو أنَّهم مدينون لمصالح خارجية[٣٩].

٢. انعدام الاستقرار السياسي وإرث الصراع: شهد العراق اضطرابات سياسية كبيرة وطويلة، بما في ذلك الانقلابات والثورات والحروب والتدخلات الأجنبية، التي عطلت استمرارية القيادة والحكم، وقد أدت التغييرات المتكررة في الحكومة، إلى جانب الصراع على السلطة بين الفصائل المتنافسة، إلى إعاقة ظهور تحالفات مستقرة وفعالة، وقد حال انعدام الاستقرار هذا دون ترسيخ تراث القيادة، وإنشاء نماذج دائمة للأجيال المقبلة، وكان لها تأثيرٌ عميقٌ على ديناميكيات القيادة في البلاد، وفي أوقات الأزمات تميل القيادة إلى أنْ تتسم بالنزعة العسكرية، والاستبداد، وإعطاء الأولوية للأمن على القيم الديمقراطية، ومن

(39) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010; Papaioannou K.J. and J.L. van Zanded 2015.

الممكـن أن يطغـى نموذج القيادة العسـكرية هذا، على الأشـكال البديلة للقيادة القائمة على الدبلوماسية والحوار وبناء الإجماع[٤٠].

٣. الانقسـامات القوميـة والعرقيـة والطائفيـة: العـراق بلـد متنـوع يضـم مجتمعـات عرقية ودينية عـدَّة، ولكل منهـا رواياتها التاريخيـة وتقاليدها القياديـة، ومع ذلك، فـإن التوترات العرقية الطائفيـة، والصراعات على السـلطة كثُر ما قوضت الجهود المبذولة لتعزيـز الوحدة الوطنية، وتنمية نماذج القيادة المشـتركة، وبدلاً من ذلك كثرَ أن جرى تعريف القيادة على أسـس طائفيـة، ما يـؤدي إلى إدامـة الانقسـامات، وإعاقـة تطوير نماذج دور شـاملة تتجاوز الهويـات العرقية والدينية، فضـلا عن ذلك هيمنت السياسـات العرقية الطائفية لمدّة طويلة على السياسـة العراقية، إذ يعطي القـادة، في كثير من الأحيـان، الأولوية لمصالـح مجتمعاتهم على المصلحة الوطنيـة الأوسـع، وقـد أدى هـذا إلى الافتقـار إلى الثقـة والتعـاون بـين المجموعـات المختلفـة، مـا يُصعب العثور عـلى زعماء توافقيـين قادرين عـلى تضييـق فجـوة الانقسـامات، علـماً أنَّ التعددية والتنـوع في العراق كان مصـدر قـوة وإغنـاء، ولكن مع تطبيـق أو تبني معـادلات صفرية، وتهميش للآخر المختلف فإنَّ التعددية أصبحت الآن نقطة ضعف وسببًا للانقسامات.

٤. التحديـات الاقتصاديـة: يواجه العـراق تحديات اقتصاديـة كبيرة، بما في ذلـك ارتفاع معدلات البطالـة والفقر وانعدام المسـاواة، ما أعاق تطوير نـماذج القيـادة التي تركـز على التنميـة الاقتصاديـة والرفـاه الاجتماعي،

(40) The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq".

وفي غياب القيادة الاقتصادية الفعّالة، قد يستغل القادة الشعبويون والمستبدون المظالم الاقتصادية للحفاظ على السلطة والنفوذ، ما يزيد من تآكل الثقة في مؤسسات القيادة التقليدية ونماذجها[٤١].

٥. العوامل الثقافية: قد تساهم الأعراف والتقاليد الثقافية في المجتمع العراقي أيضاً، في الافتقار إلى القيادة التاريخية بوصفها نماذج يحتذى بها، وإن الهياكل الاجتماعية الهرمية، والأعراف الأبوية، والاحترام لشخصيات السلطة، قد تمنع ظهور نماذج قيادية جديدة، تتحدى هياكل السلطة القائمة، وتعزز الحكم الشامل، فضلا عن ذلك، فإن تمجيد قيادة الرجل القوي والنزعة العسكرية في الثقافة الشعبية قد يطغى على نماذج القيادة البديلة القائمة على التعاون والتعاطف والقيادة الخادمة[٤٢].

٦. ضعف الحكم والفساد: عانى العراق لسنوات من ضعف الحكم، والخلل المؤسسي، وانتشار الفساد، ما أدَّى إلى تقويض ثقة الجمهور في الحكومة والقيادة السياسية، ويتهم العديد من العراقيين قادتهم بأنَّهم يهتمون بالإثراء الشخصي، والسعي إلى الاستيلاء على السلطة أكثر،

(41) International Labour Organization (ILO), "Iraqi Labour Force Survey 2021"; The Transformation Index: "Analyses Transformation Processes toward Democracy and a Market Economy in International Comparison and Identifies Successful Strategies for Peaceful Change." Iraq Country Dashboard Report 2024; World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)" ; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement" ;

«إستراتيجية التخفيف من الفقر في العراق ٢٠١٨-٢٠٢٢»، وزارة التخطيط والبنك الدولي٢٠١٨ التقرير الطوعي الأول حول أهداف التنمية المستدامة- العراق» عـ. المولوي ٢٠١٩.

(٤٢) س. القمودي ١٩٩٩.

مـن اهتمامهم بمعالجة التحديات الملحة التـي تواجهها البلاد، مثل الفقر والبطالة وضعف الأمن[٤٣].

٧. التدخـل الخارجي: تعرض العراق لتدخـلات خارجية من قوى إقليمية ودولية، تسـعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة، وأدت التدخلات الأجنبية، بـما في ذلك الغزو الذي قادته الولايـات المتحدة للعراق في العام ٢٠٠٣، إلى زعزعة اسـتقرار البلاد، وتفاقم الانقسـامات الداخلية. وقد يُنظر إلى بعـض القادة العراقيين على أنَّهم تابعـون لقوى أجنبية، ما يزيد من تآكل شرعيتهم في نظر الشعب[٤٤].

٨. المخـاوف الأمنيـة: مـا يزال العـراق يواجـه تحديـات أمنية، بـما في ذلك الإرهاب والتمرد وعنف الميليشـيات، وقد يُنظر إلى القادة الذين يعطون

(43) International Labour Organization (ILO), "Iraqi Labour Force Survey 2021"; The Transformation Index: "Analyses Transformation Processes toward Democracy and a Market Economy in International Comparison and Identifies Successful Strategies for Peaceful Change." Iraq Country Dashboard Report 2024;
«إستراتيجية التخفيف من الفقر في العراق ٢٠١٨-٢٠٢٢»، وزارة التخطيط والبنك الدولي٢٠١٨ ، حـ. الزيادي ٢٠٢٣ ، عـ. الحضرمي ٢٠١٤ عـ. الحمود ٢٠٢٣.

(44) Mohammed Shia al-Sudani: "Iraq Needs a New Kind of Partnership with the United States- The Path to Sustainable Cooperation", Foreign Affairs Magazine - April 11, 2024; Bluedorn J. and Koranchelian T., "Middle East Conflict Risks Reshaping the Region's Economies", International Monitory Fund - December 1, 2023; "Iraq and Its Gulf Neighbours: Transforming Challenges into Opportunities", Gulf International Forum (GIF); The Atlantic Council think tank, Rafik Hariri Center & Middle Ea st Programs, "Iraq Initiative"; Fawcett L. 2023; Cordesman A.H. 2020; Al-Mawlawi A. and Al-Mawlawi M. 2024, "A Framework for Evaluating Iraq's National Strategies", 1001 Iraqi Thoughts; US Department of State, "Iraq - Integrated Country Strategy", March 03, 2022; NATO, "Mission Iraq"; Republic of Iraq, Ministry of planning, "Iraq 2030 Vision".

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

الأولوية للأمن والاستقرار بشكل إيجابي من لدُن بعض شرائح السكان، حتى لو كان يُنظر إليهم على أنَّهم سلطويّون أو غير ديمقراطيين، ومع ذلك فإن الاعتماد على الإجراءات الأمنية المشددة، قد يؤدي إلى تفاقم المظالم، وزيادة تآكل الثقة في المؤسسات الحكومية[٤٥].

٩. الافتقار إلى الرؤية والصفات القيادية: يُنظر إلى كثيرٍ من القادة العراقيين، على أنهم يفتقرون إلى الرؤية، والشخصية الكاريزمية، والمقومات القيادية اللازمة لبثِّ الثقة، وتعبئة السكان نحو هدف مشترك، وعلى الرغم من أن بعض القادة قد يتفوقون في التعامل مع المكائد السياسية والحفاظ على السلطة، إلا أنَّهم قد يجدون صعوبة في صياغة رؤية واضحة لمستقبل البلاد، أو تنفيذ سياسات فعالة لمواجهة التحديات الملحَّة، إذ تستلزم القيادة الحكيمة القدرة على صياغة رؤية مقنعة طويلة المدى، تتوافق مع تطلعات السكان، وتوفر خريطة طريق للتقدم، ومن دون رؤية مشتركة للمستقبل، قد يجد القادة صعوبة في حشد الدعم المجتمعي وإحداث تغيير حقيقي[٤٦].

١٠. التركيز على المدى القصير والافتقار إلى التفكير الاستراتيجي: اتُهم بعض القادة العراقيين بمنح الأولوية للمكاسب قصيرة المدى، فضلًا عن البقاء السياسي على التخطيط الاستراتيجي طويل المدى وبناء

(45) The Transformation Index: "Analyses Transformation Processes toward Democracy and a Market Economy in International Comparison and Identifies Successful Strategies for Peaceful Change." Iraq Country Dashboard Report 2024, (Entry date: 12/05/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA;

عـ. حميد وعـ. عبدالله ٢٠٢٠.

(٤٦) س. القمودي ١٩٩٩.

الدولة[٤٧]، وفي بيئة سياسية متقلبة تتميز بالتغيرات المتكررة في الحكومة والصراع على السلطة، قد يركز القادة على الاهتمامات المباشرة، مثل الحفاظ على السلطة، أو استرضاء مجموعات المصالح القوية، أو قمع الاضطرابات بدلاً من معالجة القضايا النظامية، أو الاستثمار في التنمية المستدامة، وهنا ضروري أن لا ننسى متطلبات التفكير الاستراتيجي، ومهارات حل المشكلات للقيادات الفعالة، للتغلب على التحديات المعقدة، واغتنام الفرص للنمو والتنمية، ومع ذلك، قد يفتقر العديد من القادة العراقيين إلى الفطنة، أو الرؤية الاستراتيجية، والمهارات التحليلية اللازمة لوضع سياسات وإصلاحات فعالة وتنفيذها، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى اتخاذ قرارات غير فعالة، تؤدي إلى استجابات تفاعلية محدودة للأزمات، وضياع فرص التقدم، ناهيك عن أَنَّ انعدام الاعتبار، أو الإفادة من التجارب السابقة، تعني احتمالية تكرار الأخطاء وضعف الاعتبار[٤٨].

١١. ضعف التواصل والمشاركة: لا تقتصر القيادة على اتخاذ القرارات فحسب، كما أنَّها تنطوي على التواصل الفعال مع الجمهور، وبناء الإجماع، وتعزيز الثقة بين أصحاب المصلحة عامّة، ومع ذلك قد يواجه

(47) Sharp, G., & Raqib, J. 2010; Andrews, M., Pritchett, L., & Woolcock, M. 2017; Chow, J. C. 2020;

ف. فوكوياما ٢٠٠٧.

(48) World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024;

«التقرير الطوعي الأول حول أهداف التنمية المستدامة– العراق»، عـ. المولوي ٢٠١٩ ، ل. الفيلي (ب) ٢٠٢٣، س. القمودي ١٩٩٩.

بعض القادة العراقيين صعوبة في مهارات الاتصال، أو الفشل في التعامل مع السكان، أو الاستماع إلى مخاوفهم، أو شرح سياساتهم وأولوياتهم، هذا النقص في الشفافية والمشاركة يمكن أن يولد الاستياء وانعدام الثقة بين السكان.

١٢. القيادة الأخلاقية والمعنوية: لا تقتصر القيادة الفعالة على تحقيق النتائج فحسب، بل تتعلق أيضاً بدعم المبادئ والقيم الأخلاقية، ومع ذلك قد يُنظر إلى بعض القادة العراقيين على أنهم يفتقرون إلى النزاهة والصدق والمساءلة، ويتورطون في الفساد والمحسوبية وإساءة استعمال السلطة، لتحقيق مكاسب شخصية أو سياسية، وهذا التآكل في القيادة الأخلاقية يقوض ثقة الجمهور، والجهود الرامية إلى بناء مجتمع متماسك وعادل.

١٣. القدرة على التكيف والابتكار: في عالم سريع التغير يتسم بالتقدم التكنولوجي والعولمة والديناميكيات الجيوسياسية المتطورة، يجب أن يمتلك القادة الفعالون القدرة على التكيُّف والابتكار، ويجب أن يكونوا قادرين على توقع التحديات والفرص الناشئة والاستجابة لها، وتسخير التقنيات والأفكار الجديدة لدفع التقدم وتحسين حياة مواطنيهم، ومع ذلك فإنَّ الطبيعة الصارمة والراسخة للسياسة العراقية، قد تعيق قدرة القادة على التكيف مع الظروف المتغيرة وتبنِّي الابتكار[٤٩].

(49) Hasan H. 2024; Kausch, K. (Ed.) 2015; Borshchevskaya A. 2019; Ebel R.E. 2010; Sheikhlar S. 2019, "Iraq's Geopolitics, Key Factor for US, EU Energy Security Strategies", Modern Diplomacy - MARCH 23, 2023; Sudani al- E. 2022, "Geopolitics: Middle East and North Africa", Council on Foreign Relations, February 08, 2022; Rashed D. 2019; Lockhart P.G, 2014; Feltman J. and Others 2019;

جـ. سلطان (أ و ب) ٢٠١٣.

إن معالجة الافتقار إلى قيادة تاريخية يقتدى بها في المجتمع العراقي، سوف تتطلب بذل جهود لتعزيز ثقافة تنمية القيادة، وتعزيز المساواة والتنوع في المناصب القيادية، وتنمية القيم والتطلعات المشتركة التي تتجاوز الانقسامات العرقية والدينية والطائفية، ومن خلال الاستثمار في تمكين القادة الناشئين، وتعزيز نماذج القيادة الأخلاقية والبصيرة، يستطيع العراق بناء مجتمع أكثر مرونة وشمولاً، قادرٍ على معالجة التحديات المعقدة التي يواجها، ولعلَّ إحدى أهم أزمات العراق، هي افتقاره لقيادات تستطيع أن تتجاوز تحديات اللحظة، وتقوي همة الأمّة والمجتمع؛ لتجاوز هذه التحديات الآنية نحو مستقبل ورؤى أكثر إنتاجًا واستقرارًا وجمالًا.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الفصل الثاني

العراق المعاصر

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

في ظل الأحداث التاريخية المتلاحقة والتحولات السياسية المعقدة في منطقتنا، يعدُّ العراق مسرحاً لتفاعلات ثقافية وسياسية ودينية متشابكة. تجمع الأجواء العراقية بين ذاكرة المقاهي العتيقة، التي تعكس حياة اجتماعية نابضة بالحياة، وبين قصور تحمل بصمات الحكم وما ترتب عليه من تأثيرات السلطة، وبين مآذن ترتفع تعبيراً عن العمق الديني والثقافي والطائفي للمكان.

يهدف القسم الثاني من البحث إلى الانغماس في تحليل العوامل التي شكلت العراق الحديث، والكيفية التي ترتبط بها الثقافة والدولة والدين بشكل وثيق، في تشكيل هوية هذه الأرض وشعبها. سنستكشف تأثيرات الحكم العثماني، وكيفة تركه لبصماته على النسيج الاجتماعي والثقافي للعراقيين، فضلًا عن استعراض التحديات المعاصرة التي تواجه البلاد، وجذور انعدام الاستقرار التي تتخذ شكلاً متعدد الأبعاد.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Riwaq Publishing House

عبر استكشاف مفهوم الأمّة والمواطنة، وأثر الدكتاتورية على طبيعة الشخصية العراقية، سنحاول، أيضاً، فهم متطلبات تكوين الأمم ونضوجها، وكيف يتأثر هذا بزيادة نفوذ العشائرية والقبلية في المجتمع العراقي، وتوسع دائرة النفوذ الديني في البنية الاجتماعية، مع ملاحظة طبيعة تعاطي الشيعة بالحكم وتأثيراتها. هدفنا من كتابة هذا القسم هو تسليط الضوء على تفاعلات العوامل المختلفة، وتأثيرها على مفهوم المواطنة والهوية الوطنية في العراق المعاصر، وتحديد طبيعة الداء العراقية.

٢,١. منظور تاريخي للعراق:

إنَّ الإرث التاريخي للعراق غني ومعقد، وقد شكلته سلسلة من الحضارات والإمبراطوريات والتحولات الجيو-سياسية والجيو-اقتصادية، وإنَّ سرد هذا التاريخ وفهمه، أمر بالغ الأهمية لفهم الطابع الحالي للمجتمع العراقي. أدناه نظرة عامة لهذه السلسلة:

- **بلاد ما بين النهرين: كثيراً ما يُشار إلى العراق باسم «مهد الحضارة»؛ إذ احتضنت بلاد ما بين النهرين أقدم مراكز الحضارات الإنسانية، فقد ازدهرت حضارات وعلوم السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين في هذه المنطقة، وساهموا في تطوير الكتابة والزراعة وبناء المجتمعات المعقدة وتنميتها[1].**
- **الفتح الإسلامي: كان العراق بوابة الفتح الإسلامي في القرن السابع إلى المنطقة والعالم؛ ما مثّل مرحلة تحول تاريخية مهمة، وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، إذ كانت لسنين عدَّة طويلة أهم عاصمة على الارض، وشهدت عصراً ذهبياً للفنون والعلوم والثقافة والتطور الفكري والفلسفي.**
- **الغزو المغولي (القرن الثالث عشر الميلادي): دمر الغزو المغولي بقيادة هولاكو بغداد في العام ١٢٥٨ ميلادية، إيذاناً بنهاية العصر الذهبي الإسلامي، وواجهت بغداد بعد ذلك تراجعاً في النفوذ والقوة على المسرح العالمي، ومن ثم الإقليمي.**
- **الحكم العثماني (القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين الميلادي):**

(١) ف. رشيد ١٩٧٣.

أصبح العراق، بولاياته المختلفة، جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وشهد مزيجاً من الحكم المركزي والحكم الذاتي المحلي، واحتفظت بغداد برمزيتها، ولكنها واجهت تحديات من الصراعات القبلية، والتهديدات الخارجية[٢].

- الحرب العالمية الأولى والانتداب البريطاني: عقب الحرب العالمية الأولى انهارت الإمبراطورية العثمانية، ومنحت عصبة الأمم بريطانيا ولاية إدارة العراق، وكان هذا بمنزلة بداية النفوذ البريطاني الكبير في العراق والخريطة الإقليمية.
- تشكيل العراق الحديث: حصل العراق على استقلاله في العام ١٩٣٢، مع تأسيس الملكية الهاشمية في عهد الملك فيصل الأول، وواجهت البلاد منذ نشوء الدولة الجديدة افتقارًا للاستقرار السياسي، بما في ذلك الانقلابات العسكرية، والصراعات بين النظام الملكي ودعاة الجمهورية لاحقاً[٣].
- المرحلة البعثية (١٩٦٨-٢٠٠٣): سيطر حزب البعث، بقيادة أحمد حسن البكر ومن ثُمَّ صدام حسين، على السلطة في العام ١٩٦٨، بدأ النظام في التنمية الاقتصادية؛ لكن سنوات حكم البعث اتسمت بالاستبداد وانتهاكات حقوق الإنسان والصراعات، بما في ذلك حرب الحكومة المركزية مع القوى الكردية في شمال العراق، ومن ثم الحرب العراقية _ الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، وحرب الخليج (١٩٩٠-

(٢) كـ. سايا وآخرون ؛٢٠١٥ ي. اوزتونا ١٩٨٨.

(3) Allawi A.A. 2014.

١٩٩١)، والعقوبات الأممية القاسية بعد ذلك (١٩٩٠-٢٠٠٣)[٤].

- الغـزو الأمريكـي وإسـقاط حكـم البعـث (٢٠٠٣): أدى الغـزو الذي قادتـه الولايـات المتحـدة في العـام ٢٠٠٣، إلى الإطاحـة بنظـام صـدام حسـين وسـقوط الدولـة التـي أنشـأها الانتـداب البريطاني، وشـهدت المرحلة اللاحقة تحديات عدة واجهها العراق، تتعلق بالتمرد والتوترات الطائفيـة والإرهاب وتشـكيل نظام سـياسي جديد، بل مكننـا أنْ نقول: نشـوء جمهوريـة جديدة برعاية الولايات المتحدة، وشـهد عـراق ما بعد صـدام صعود نظام سـياسي قائـم _ في كنهه _ عـلى المحاصصة الطائفية والقوميـة، تتضمـن ترتيبـات لتقاسـم السـلطة بـين الجماعات الشـيعية والسـنية والكردية، ولقد أدى هذا النظام إلى اسـتقرار المشـهد السياسي، ولكـن على حسـاب التجزئة، وقـد واجه العراق، أيضـاً، تحديات أمنية، بـما في ذلك التمرد مـن مجموعات إرهابية، مثل تنظيـم القاعدة، وظهور عصابـات داعـش الإرهابية لاحقـاً، وعلى الرغم من تحقيـق الإنجازات الكبـيرة في المجال الأمني، ولكن جهودًا إلى اليوم تبذل لإعادة بناء البلاد بـما يليق بالعـراق، بوصفه بلدًا غنيًّا بتاريخه العريـق وحضاراته وثرواته، وتحقيق الاسـتقرار السـياسي والأمني والاقتصادي فيه، وترسـيخ حكم القانون [٥].

(4) International Committee of the Red Cross, "Iraq: 1989-1999, a decade of sanctions 14-12-1999 Report", (Entry date 24.04.2024).

(5) Pugh C. et al. 2020; Strategies (think tank) 2019, "The Future of Iraq's Stability, The Political, Economic, and Security Levels"; The United States Institute of Peace 2020, "The Current Situation in Iraq- Fact Sheet"; The United States Institute of Peace 2019, "After ISIS, Stability in Iraq Requires Addressing its Fragility. Unless Iraq can repair its torn social fabric,

لقـد ترك السـياق التاريخي أعلاه بصمات دائمة على النسـيج الاجتماعي والثقـافي في العراق، وتسـتمر الانقسـامات والمظـالم التاريخيـة وديناميكيات الهويـة في التأثـير عـلى الشـخصية العراقيـة، ولقـد واجـه العـراق تداعيات إرهاب عصابات داعش، ونزوح السكان، وتحديات إعادة الإعمار، ويسعى المجتمـع إلى التعامل مع القضايا المتعلقة بالحكم والأمن والعدالة الاجتماعية والمصالحة المجتمعية[٦].

كـما يجب الامتناع عن تغافل تأثـير الديناميكيات الإقليمية والعالمية على الدولـة والشـعب العراقي، بما في ذلـك العلاقات مع دول الجـوار الإقليمي ودور الجهـات الخارجيـة، إذ تسـتمر التحـولات الجيوسياسـية في تشـكيل موقف العراق في الشرق الأوسط.

عليه يمكننا أنْ نقول: إنَّ السياق التاريخي للعراق، الذي تميز بالحضارات القديمة، والإمبراطوريات الإسلامية، والتأثيرات الاستعمارية، والتطورات الجيوسياسـية الحديثة، قد ساهم بعمق في تشكيل طابعه الحالي. وإنَّ فهم هذا التاريـخ يوفر نظرة كاشـفة للتعقيـدات والتحديات والمرونـة التي يواجهها العـراق المعـاصر، وانَّ التفاعـل بـين الثقافـة والدولة والديـن متجذر بعمق في هـذا النسـيج التاريخـي، ما يؤثر عـلى هوية الأمّـة (الموجـودة أو المرجوة) وديناميكياتها المجتمعية.

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

---

expect the return of the Islamic State"; RAND research organization 2023, "Twenty Years After the Iraq War, a Q&A with RAND Experts"; Connable B. 2022; Cordesman A.H. 2020; Mawlawi al- A. Mawlawi al- M. 2024; NATO, "Mission Iraq", Last updated: 27 May. 2024 10:04; US Department of State, "Iraq - Integrated Country Strategy", March 03, 2022;

عـ. حميد وعـ. عبدالله ٢٠٢٠.

(6) Mühlberger W. 2023; Sarwar A. 2019;

ع. الوردي ٩٥١٩: ٢٦٢–٢٧١ ؛ هـ. وهولبورن ٢٠١٠ ؛ إ. الحيدري ٢٠١٣.

٢ , ٢. تأثيرات الحكم العثماني على العراقيين – أنموذجًا:

كمثالٍ على مدى التعقيد، دعونا ننظر، الآن، إلى إحدى المراحل الرئيسة في تاريخ العراق، وهي الحكم العثماني، الذي أثر بشكل خطير على الشخصية العراقية في أبعادها الثلاثة، الثقافة والدولة والدين. إذ كان لمرحلة الحكم العثماني في العراق (القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين الميلادي[٧]) تأثيرٌ دائمٌ على المنطقة، إذ أثَّرت على الطابع الحالي للمجتمع، وأسهمت في الترابط بين الثقافة والدولة والدين، ويتمثل هذا التأثير بـ:

١. **التعريف بالإسلام**: كانت الإمبراطورية العثمانية تتجسد في قيادتها للخلافة الإسلامية، ولحكمها الإسلامي في العراق دورٌ في تشكيل المشهد الديني، وبينما كان الإسلام موجوداً بالفعل في منطقة وادي الرافدين، قامت الإدارة العثمانية بإضفاء بصمتها العثمانية المؤسساتية على الممارسات الإسلامية، ما ساهم في ترسيخ علاقة عميقة الجذور بين الدين والحكم.

٢. **الهيكل الإداري**: أدخل العثمانيون هيكلاً إدارياً مركزياً في العراق، شمل الولاة المعروفين باسم «الباشوات» الذين يعينهم الحكام العثمانيون، وأثّر هذا الحكم من أعلى إلى أسفل على العلاقة بين الدولة والمجتمعات المحلية، ما شكل سابقة للسلطة المركزية[٨].

٣. **الشريعة الإسلامية**: طبقت الإمبراطورية العثمانية الشريعة الإسلامية أساساً لنظامها القانوني، وقد عزز هذا التكامل للمبادئ الدينية في الهياكل القانونية العلاقة بين الدين والدولة، واستمرت الشريعة

---

(٧) ي. اوزتونا ؛١٩٨٨ كـ. سايا وآخرون ٢٠١٥.

(٨) المصدران أعلاه.

في تأديـة دور مهـم في النظام القانـوني العراقي، حتى بعـد انتهاء العهد العثماني.

٤. **المؤسسـات الدينيـة**: حافظ الحكم العثـماني على المؤسسـات الدينية، وفي بعض الحالات أعاد تنظيمها. وأدَّى الزعماء الدينيون والعلماء أدوارهم؛ ليس في الأمور الروحية فقط، بل في مسـائل الحكم أيضاً، واسـتمر هذا التأثير لقرون، ما سـاهم في اسـتمرار أهمية الشـخصيات الدينية داخل المجتمع العراقي.

٥. **التأثـير الثقـافي**: أثَّر الحكم العثماني على النسـيج الثقافي للعراق، وتشـكل الفـن والعمارة والحياة اليومية من خلال العناصر الثقافية العثمانية. وقد سـاهم هذا الاندمـاج الثقافي في تنوع الـتراث العراقـي وثرائه، وخلق توليفة من التأثيرات الثقافية المتنوعة.

٦. **أهـل الذمـة والأقليات الدينية**: قدم الحكم العثـماني مفهوم (أهل الذمة)، في إشـارة إلى الطوائف الدينية غير المسـلمة، وقد وفَّر هذا النظام إطاراً للتعايـش بـين الأقليـات الدينية داخـل الإمبراطورية، ومـا يزال إرث وضع (أهـل الذمة)، والتفاعلات مع الأقليـات الدينية، يؤثر على نهج العراق تجاه التنوع.

٧. **الديناميكيـات القوميـة والطائفيـة**: كانـت لـدى الإمبراطوريـة العثمانية سياسـة تتمثل في اختيـار النخب المحليـة، والمحافظة عـلى التوازن بين المجموعـات القومية والدينية المختلفة، وقد أثَّر هذا النهج على التركيبة الديموغرافية والطائفية للعراق، ما سـاهم في التفاعل المعقد بين الهوية والولاء.

دار وملتقى الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٨. **إرث الحكم العثماني**: كانت نهاية الحكم العثماني في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بمنزلة منعطف حاسم في تاريخ العراق، ولقد أرسى تأثير الحكم العثماني إلى جانب التطورات اللاحقة، الأساس للترابط بين الثقافة والدولة والدين، الذي لا يزال قائماً في العراق المعاصر.

٩. **الدولة الحديثة**: لقد شكل الانتقال من الحكم العثماني إلى الانتداب البريطاني، والاستقلال النهائي للدولة العراقية الحديثة، ولقد أثَّرت الديناميكيات التي نشأت خلال الحكم العثماني، بما في ذلك هياكل الحكم واعتبارات الهوية، على التطور المبكر للدولة العراقية.

لقد ترك الحكم العثماني الذي استمر لأكثر من ثلاثة قرون تقريباً، بصمة دائمة وعميقة على الدولة والمجتمع العراقي[٩]، أثَّرت على مشهده الديني والثقافي والإداري والاجتماعي، وعلى طبيعة العلاقة بين الدولة وأفراد المجتمع، وتعكس الترابط بين الثقافة والدولة والدين في العراق المعاصر الإرث التاريخي للحكم العثماني، ما أسهم في التعقيدات والديناميكيات التي تحدد شخصية المجتمع اليوم، ومن الضروري دراسة هذه المرحلة أكثر واعمق؛ لكي نفهم ـ بشكل أفضل وأدق ـ تأثيراتها المتعددة، وقد تساعدنا أيضاً في فهم التحديات والفرص التي تواجه العراق في بناء هويته الوطنية واستقراره الاجتماعي والسياسي.

(٩) ي. اوزتونا؛ ١٩٨٨ كـ. سايا وآخرون ٢٠١٥.

٢ ,٣. آثار الديكتاتورية:

قبل الحديث عن أثر الديكتاتورية على المجتمع العراقي، دعونا نقيم الإطـار العام لما يمكـن أن يكـون للديكتاتورية من آثارٍ عميقـةٍ، على الثقافة والدولـة والدين داخل المجتمعات (ليس العراقية فقط)، وكثيرًا ما تؤثر على هذه الجوانب بطرائق مهمة وبعيدة المدى، وكما يأتي:

٢ ,٣ ,١. على الثقافة:

١- **قمع التعبير الثقافي:** تسـعى الأنظمة الدكتاتورية، في العادة، إلى السيطرة عـلى التعبـير الثقـافي، والتلاعـب به، وقـد يواجـه الفنانـون والكتّاب والمثقفـون والأدباء الرقابة أو القيـود أو الاضطهاد، إذا جرى النظر إلى أعمالهم على أنَّها تتحدى رواية النظام الديكتاتوري أو أيديولوجيته.

٢- **فرض الثقافة الأيديولوجية:** يحاول الدكتاتوريون فرض ثقافة أيديولوجية أو قومية معينة تتوافق مع أجندتهم السياسـية، وهذا يمكن أن يؤدي إلى تهميش أو قمع الممارسات والهويات الثقافية المتنوعة داخل المجتمع.

٣- **التوحيـد الثقـافي:** قد تسـعى الدكتاتوريـات إلى تحقيق التوحيـد الثقافي لتعزيز سـلطتها، وهذا يمكن أن يؤدي إلى تآكل التنوع الثقافي، وفرض رواية أو سردية واحدة تدعم النظام أو الحاكم[١٠].

(10) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

٢-٣-٢. على الدولة

١- **الحكم الاستبدادي**: تتصف الأنظمة الدكتاتورية بالحكم الاستبدادي، إذ تتركز السلطة في يد زعيم واحد أو مجموعة صغيرة، وكثيراً ما تخضع مؤسسات الدولة، بما في ذلك النظام القانوني والبيروقراطية، لإرادة الدكتاتور وفرضها بالقوة[١١].

٢- **غياب العمليات الديمقراطية**: تفتقر الدكتاتوريات عادةً إلى العمليات الديمقراطية، مثل الانتخابات الحرة والنزيهة، وكثيراً ما تُقمع المعارضة السياسية، ويُستعان بأجهزة الدولة للحفاظ على السيطرة، والقضاء على المعارضة[١٢].

٣- **مركزية اتخاذ القرار**: تتسم عملية صنع القرار بمركزية عالية في الأنظمة الدكتاتورية، ويخضع جهاز الدولة لسيطرة الدكتاتور، أو نخبة صغيرة؛ ما يؤدي إلى ضوابط وتوازنات محدودة[١٣].

جميع حقوق مكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٢-٣-٣. على الدِين:

١- **السيطرة على المؤسسات الدينية**: قد يسعى الدكتاتوريون إلى السيطرة على المؤسسات الدينية؛ لاكتساب الشرعية، أو لقمع مصادر المعارضة المحتملة، وقد تستميل الزعماء الدينيين، أو تتلاعب بهم لدعم أجندة النظام وأيديولوجيته.

---

(١١) ع. الوردي ١٩٩٥: ٥٥-٦٩.
(١٢) عـ. بلقزيز وآخرون ٢٠٠١.
(13) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

٢- **اضطهاد الأقليات الدينية**: قد تستهدف الدكتاتوريات الأقليات الدينية، مستعملة الدين ليكون أداة للفرقة والاضطهاد، وهذا يمكن أن يؤدي إلى التمييز والعنف والتهجير القسري للأقليات الدينية[١٤].

٣- **العلمنة أو التلاعب بالهوية الدينية**: قد تروِّج الأنظمة الدكتاتورية لتفسير محدد للدين يخدم مصالحها، وبدلاً من ذلك، قد يحاولون عَلْمَنَةَ المجتمع؛ لتقليل تأثير المؤسسات الدينية التي يمكن أن تتحدى حكمهم.

نستنتج من ذلك أنّ للديكتاتورية تأثير عميق على الثقافة، من خلال التحكم في التعبير وفرض خطاب فردي، وعلى الدولة بوساطة مركزية السلطة والقضاء على العمليات الديمقراطية، وعلى الدين بالتلاعب بالمؤسسات الدينية، أو استغلال الهوية الدينية لأغراض سياسية، وكثر ما تكون التأثيرات ضارة بتنوع واستقلالية وحيوية هذه الجوانب الرئيسة للهوية المجتمعية[١٥].

بعد أن بيَّنّا أثر الديكتاتورية على أي مجتمع أو نظام، نتعمق بعض الشيء ببيان أثر الدكتاتورية البعثية أو الصدامية، والأنظمة التي قبلها؛ ولاسيما العسكرية على الشخصية العراقية، ففي أروقة الخوف والقمع الغامضة التي

(14) Human Right Watch 2023, "Events in Iraq";
on Missing Persons (ICMP), "Iraq Page"; "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA;
صندوق الأمم المتحدة للإسكان ٢٠١٨، «الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي ٢٠٣٠ – ٢٠١٨» ؛ حـ. بوزارسلان ٢٠١٥ ؛د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

(15) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010;
ع. الوردي ١٩٩٥: ٥٥-٦٩ ؛ إ. الحيدري ٢٠١٣ ؛ هـ. وهولبورن ٢٠١٠.

اتصفت بها دكتاتورية نظام حكم صدام حسين، تطور تشكيل الشخصية العراقية وسط بودقة الطغيان، لعقود من الزمن، سيطر حكم القبضة الحديدية لنظام صدام وحزب البعث على العراقيين في ظل الرعب، ما ترك أثراً لا يمكن أن يمحى بسرعة أو بسهولة على نفسية المواطنين العراقيين[١٦].

لقد عاش العراقيون في ظل حكم نظام صدام والبعث، تحت عباءة الخوف السائدة والتعرض إلى قسوة الديكتاتور وقمعه، إذ قوبلت المعارضة بانتقام سريع وقاس وبلا رحمة. وقد أدت النظرة المطلقة لأجهزة أمن النظام إلى غرس ثقافة جنون العظمة والرقابة الذاتية، إذ يمكن، حتى للمعارضة الهامسة، أنْ تؤدي إلى عواقب وخيمة على الشخص نفسه أو أهله أو معارفه، وفي هذه البيئة، أصبح الصمت أو النفاق استراتيجية المواطن للبقاء، إذ تعلم المواطنون الإبحار في مياه الاستبداد الغادرة بحذر، وعزل أنفسهم من أجهزة الدولة قدر المستطاع، بل السعي إلى لقطيعة الكاملة مع الدولة إنْ أمكن[١٧].

ولعلَّ تقديس الشخصية المحيطة بصدام حسين أدّى إلى ترسيخ قبضة النظام على السلطة، إذ احتفت الدعاية بالديكتاتور بوصفه رمزاً للقوة والاستقرار، وبسرد منسق بعناية أظهر الديكتاتور نفسه بصورة لا تقهر، وغَرَس شعورًا بالرهبة والتبجيل بين السكان؛ ولكن خلف واجهة القوة تكمن أمة يطاردها شبح القمع، إذ ترددت أصداء الاختفاءات والإعدامات في الوعي الجماعي.

لقد استغل نظام صدام الانقسامات الطائفية والقومية، بلا رحمة، لإدامة قبضته على السلطة. وتحمل المسلمون الشيعة والأكراد خاصّة، ومنهم

---

(16) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

(١٧) ع. الوردي ١٩٩٥: ٣٦-٥٤ ؛ ع. الوردي ٢٠٠٧.

الفيليـة، وطأة وحشـية النظام، وتعرضـوا للمذابح، والهجـمات الكيميائية، وحمـلات الانفـال، والتهجـير القـسري، لقد كانـت وما زالت نـدوب هذه الجرائـم عميقة، تاركةً جراحاً لا تندمل عـلى مدى أجيال، وتؤجج دائرة من انعدام الثقة والعداء، إذا لم تعالج بين المجتمعات العراقية المتنوعة.

في ظـل الدكتاتوريـة، وقع المجتمع العراقي في شرك شـبكة من الخوف والانقسام، إذ أدَّت القبضة الحديدية للحكم الاستبدادي إلى خنق المعارضة، وتقسـيم المجتمعات على أسـس طائفية وقومية، وفي ظـل حكم نظام صدام حسـين ألقى القمع بظلالـه الطويلة على الأرض، فـكان المواطنون يبحرون في طريـق محفوف بالمخاطر بين الامتثال والمقاومـة، وتغلغلت زراعة الخوف في كل جانـب مـن جوانـب الحياة اليوميـة[18]، ما أدى إلى إسـكات أصوات المعارضـة، وتـآكل أواصر الثقة التي كانـت تربط المجتمعـات ببعضها ذات يوم.

في منـاخ القمع والقسـوة هذا أصبحت المواطنـة العراقية قوقعة مجوفة، مجـردة من جوهرها ومختزلة في مجرد طاعة النظام، ووجد المواطنون أنفسـهم محاصرين في دائرة من القهر والتبعية، إذ مارسـت الدولة سـلطة غير مقيدة، وفي المقابـل سـعى بعـض الأفـراد إلى تأكيد حقوقهـم وقدرتهـم في مواجهة الطغيان.

لكن وسـط الظلام، ظهر بصيص من الصمود والمقاومة، برغم القبضة الخانقة للاسـتبداد، فوجدَّ العراقيون وسـائل لتحدي طغيان النظام، وكثر ما كانوا يتعرضون لمخاطر شـخصية كبيرة، وتطورت شبكات المعارضة السرية

(18) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

في الظل أولاً، ومن ثمَّ أثناء الانتفاضات المختلفة، ومنها الانتفاضة الشعبانية في جنوب العراق ووسطه وشماله في العام ١٩٩١، إذ اختلطت همسات التحدي مع صمت الاستسلام القمعي، وفي أعمال التحدي الهادئ تشبث العراقيون بكرامتهم وإنسانيتهم، ورفضوا أن يطفئهم الظلام البعثي الذي اجتاح أرضهم[١٩].

مع سقوط الدكتاتورية في العام ٢٠٠٣، وسيطرة الأمريكان على المشهد، جاءت لحظة الحساب، إذ واجه العراقيون إرث مظالم الماضي، وشرعوا في رحلة نحو المصالحة والتجديد، وأتاحت الفترات الانتقالية مع كل تعقيداتها واضطراباتها وعنفها، فرصاً لإعادة بناء المجتمعات الممزقة، وإعادة تعريف المواطنة بشروط أكثر شمولاً، ومن خلال هياكل الحكم الجديد والمبادرات الشعبية، بدأ المواطنون باستعادة صوتهم في تشكيل مستقبل أمتهم المرجوة.

اليوم، ما يزال إرث دكتاتورية حكم نظام صدام حسين يلقي بظلاله الطويلة على العراق، ويشكل جزءًا لا بأس به من مشهده الاجتماعي والسياسي وذاكرته الجماعية. إنَّ ندوب القمع عميقة ومحفورة في نسيج المجتمع العراقي، ومع ذلك، وسط بقايا الطغيان، لا يزال هناك بصيص من الأمل ــ والمرونة التي ولدت من رحم الشدائد، والتصميم على استعادة ما فقده، والإيمان الراسخ بقدرة الروح الإنسانية على الصمود، حتى في مواجهة أحلك ساعات الطغيان[٢٠].

بينما يبحر العراق في الطريق المتعرج نحو الوئام الاجتماعي والمواطنة، ما تزال أصداء ماضيه تتردد، وتوعية المواطنين بالتحديات التي تنتظرهم

(19) Ibid.
(20) Ibid.

في صياغـة غد أكثـر إشراقاً، ومع ما نرى من مشـهد مضطـرب للعراق، إلا أننا نرى، أيضاً، نسيجاً معقداً من الخيوط المتشابكة من الانسجام الاجتماعي والدكتاتوريـة والمواطنة، وسـعيه إلى أن يحكي قصة أمة تتصارع مع ماضيها، بينما تسعى جاهدة إلى مستقبل أكثر شمولاً واستيعاباً لكل مواطنيها[٢١].

٢-٤. التحديات المعاصرة وأسبابها:

لقد شـكلت مرحلـة ما بعد حكـم نظام صـدام والبعث منعطفاً حاسـماً في تاريـخ العراق، إذ قدمت فرصاً غير مسـبوقة وتحديـات هائلة، حيث كان سـقوط النظـام البعثي في العـام ٢٠٠٣ إيذانًـا بمرحلة جديدة مـن التحول السـياسي، وجهـود بنـاء الجمهوريـة الجديدة، ولكـن آثار الـصراع وعمقها ولاسيما على مستوى المشهد القومي والطائفي شكلت عقبات كبيرة[٢٢].

لا بد من الإشارة إلى أنَّ عملية إعادة بناء الأمّة «العراقية»، تواجه تحديات فورية في إرساء الأمن والاستقرار، ولقد أدى فراغ السلطة الذي خلفه انهيار حكـم نظـام صدام (وسـقوط الجمهوريـة) إلى حالـة من التمـرد، والصراع الداخلي، وشـيوع عمليات إرهابية، فضلًا عن احتلال وتدخلات خارجية، الأمر الذي أدى إلى خلق بيئة من انعدام الأمن المستمر[٢٣].

كما زادت عملية تقاسـم السـلطة السياسـية على أسـس طائفيـة وقومية، مـن تعقيـد عملية إعادة البناء، وواجه الساسـة الجدد عـلى الحكم صعوبة في

(21) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

(22) United Nations Security Council Reports on Iraq, UN Documents for Iraq: Secretary-General's Reports, (Entry date 01.06.2024).

(23) Allawi A.A. 2008

إنشـاء نظام سياسي جديد، يسـتطيع تجاوز الانقسامات التاريخية، ما أدى إلى سـنوات من انعدام الاستقرار السـياسي والأمني، وتحديات في تشكيل نظام حكم متماسك[٢٤].

لذلك فإنَّ المجتمع العراقي يواجه تحديات عدّة، ناجمة عن عوامل تاريخية وسياسـية واقتصاديـة واجتماعية، وتؤثر هذه التحديـات، كثيرًا، على رفاهية المجتمع واستقراره وتنميته، وفيما يلي بعض هذه التحديات الرئيسة وأسبابها:

١. **الافتقار إلى الاسـتقرار السـياسي: شـهد العـراق عقوداً مـن الافتقار إلى الاسـتقرار السياسي؛ بسـبب عوامل عدة: مثل ضعف الحكم، والفساد، والانقسـامات الطائفيـة، والتدخـل الخارجـي، كما سـاهم إرث الحكم الاسـتبدادي، بـما في ذلـك المرحلة البعثيـة وتداعيات الغزو الـذي قادته الولايات المتحدة، في الاضطرابات السياسية والأمنية المستمرة[٢٥].**

٢. **الانقسـامات القومية والطائفية: وتعني أسبابها الجذرية أن العراق مجتمع منقسـم بشـدة، مع انقسـامات قومية (عرب وأكراد وتركمان)، وطائفية (شـيعية وسـنية)، غذَّت _ تاريخياً _ الصراع والتـشرذم، وترجع جذور هذه الانقسامات إلى المظالم التاريخية، والسياسات التمييزية، والصراعات عـلى السـلطة من أجل السـيطرة على المـوارد والنفوذ السـياسي، وتؤدي**

(24) The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024; Pugh C. et al. 2020.

(25) Pugh C. et al. 2020; Mohammed Shia al-Sudani: "Iraq Needs a New Kind of Partnership with the United States: The Path to Sustainable Cooperation", Foreign Affairs Magazine April 11, 2024; Bluedorn J. and Koranchelian T. 2023; Gulf International Forum (GIF) 2019, "Iraq and Its Gulf Neighbours: Transforming Challenges into Opportunities", (Entry date 05..4.2024); Cook S.A. 2021.

التوتـرات القومية والطائفية إلى تقويض الوحدة الوطنية، وتعيق الجهود الراميـة إلى إقامـة حكم شـامل، وتماسـك اجتماعـي، ولعلَّ السياسـات المسـببة للانقسـام تعمل على إدامة دورات العنف، وتعيق جهود بناء أمة متماسكة، وتخلق أرضاً خصبة للتدخل والتلاعب الخارجي[٢٦].

٣. التحديـات الأمنيـة: لا يـزال العـراق يواجـه التحديـات الأمنيـة، بما في ذلـك الإرهـاب والتمـرد والصراع المسـلح، وقـد أدى ظهـور جماعات مثل: تنظيم القاعـدة الإرهابي، وعصابات داعش الإرهابية، والجماعات المسـلحة الخارجة عن القانون، والتوترات الطائفية المستمرة إلى تقويض الاسـتقرار، وعرقلـة الجهـود المبذولة لتحقيـق المصالحة وبنـاء المجتمع، ومن ثم تماسك أبناء الأمّة، وتتغذى هذه التهديدات والتحديات الأمنية على عوامل مثل ضعف قدرة الدولة، أو غياب الإرادة السياسية الحقيقية في حالات كثيرة، والحدود التي يسهل اختراقها، والصراعات الإقليمية، وانتشـار الأسـلحة. وهنا يـؤدي انعدام الأمـن إلى تقويض الاسـتقرار، وتعطيـل الخدمـات العامـة، وعرقلة التنميـة الاقتصادية، كـما أنَّ وجود الجماعـات المسـلحة والتهديـد بالعنف يعيق الاسـتثمار، ويضعـف الثقة

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

(26) The International Commission on Missing Persons (ICMP), "Iraq Page", (Entry date: 01/06/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA; Strategies (think tank) 2019, "The Future of Iraq's Stability, The Political, Economic, and Security Levels", published on February 12, 2019; The United States Institute of Peace 2020, "The Current Situation in Iraq- Fact Sheet", published on August 4, 2020; The United States Institute of Peace 2019, "After ISIS, Stability in Iraq Requires Addressing its Fragility. Unless Iraq can repair its torn social fabric, expect the return of the Islamic State", published on Monday, May 20, 2019.

الاجتماعية، ويعوق التقدم نحو السلام والمصالحة[٢٧].

٤. معالم الضعف الاقتصادية: برغم احتياطيات العراق النفطية الهائلة، يواجه الاقتصاد تحديات كبيرة، بما في ذلك الاعتماد المفرط على عائدات النفط، والفساد الإداري والمالي، اللذين يحرمان الاقتصاد العراقي من موارد مالية كبيرة من مصادر ممكنة غير نفطية، وتقادم البنية التحتية ومحدوديتها، والافتقار إلى التنويع الاقتصادي؛ نتيجة اعتماده _ بشكل كبير _ على عائدات النفط، ما يجعله عرضة للتقلبات في أسعار النفط العالمية، وتقلبات السوق، وتقلبات تفاعل السياسة الدولية؛ وتسبب سوء الإدارة الاقتصادية، والفساد، والافتقار إلى التنويع، بإدامة الفقر والبطالة والفوارق الاجتماعية والاقتصادية. وهذه نقاط الضعف الاقتصادية تؤدي إلى تفاقم الاضطرابات الاجتماعية، وتأجيج المظالم، وتقويض شرعية الدولة، كما تساهم البنية التحتية غير الكافية، ومحدودية فرص العمل، وانعدام المساواة في الوصول إلى الخدمات الأساسية، في الإحباط العام وخيبة الأمل تجاه الحكومة.

٥. الفساد ومؤسسات الحكم الضعيفة: الفساد بشكليه الإداري والمالي، منتشر في قطاعات المجتمع العراقي المختلفة، ما يؤدي إلى تآكل الثقة في مؤسسات الدولة، وعرقلة جهود التنمية، ويسهم ضعف الحكومات،

(27) The International Commission on Missing Persons (ICMP),(Iraq Page), (Entry date: 01/06/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA; Pugh C. et al. 2020; World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024;
حـ. بوزارسلان ٢٠١٥ ، د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

والافتقار إلى الشفافية، والمحسوبية السياسية في تفشي الفساد، ما يؤدي إلى تفاقم انعدام المساواة الاجتماعية والاقتصادية، وتقويض الخدمات العامة، ويعود الخلل الذي أضعف المؤسسات إلى عقود من الحكم الاستبدادي، والفساد المؤسسي، وانعدام الاستقرار السياسي، ما أدى إلى إضعاف مؤسسات الحكم في العراق. إنَّ إرث حكم نظام السلطات المركزية المتعاقبة، ومنها نظام صدام حسين، أعاق تطوير هياكل حكم شاملة وخاضعة للمساءلة. وهذا أدَّى إلى ضعف وتقويض مؤسسات الحكم في إسناد سيادة القانون، وتعزيز الفساد، وتفاقم انعدام المساواة الاجتماعية والاقتصادية، ويؤدي الافتقار إلى الحكم الفعال إلى انعدام ثقة الجمهور في مؤسسات الدولة، ما يعيق بالنتيجة الجهود الرامية إلى بناء مجتمع مستقر ومتماسك.

٦. الخدمات الاجتماعية والبنية التحتية: يواجه العراق تحديات في توفير الخدمات الاجتماعية الكافية، بما في ذلك الرعاية الصحية، والتعليم، والبنية التحتية الفعالة؛ ولقد أدَّت عقود من الصراع والإهمال، ونقص الاستثمار، إلى ترك البنية التحتية في حالة سيئة، في حين تكافح الخدمات العامة لتلبية احتياجات السكان، ولاسيما في المناطق الريفية والمهمشة، أو ما يسمى بالعشوائيات.

٧. النازحون داخلياً واللاجئون من الخارج: يوجد في العراق عدد كبير من النازحين داخلياً واللاجئين من الخارج، نتيجة سنوات من الصراع والاضطهاد والنزوح وانعدام الاستقرار الإقليمي. إنَّ وجود النازحين داخلياً يضغط على الموارد والبنية التحتية، ما يؤدي إلى تفاقم التحديات الاجتماعية والاقتصادية، وعرقلة اندماجهم وإعادة توطينهم، وبرغم

أنَّ العـراق نجـح، في السـنوات الأخـيرة، في الحد من النـزوح الداخلي، وأعاد معظم النازحين إلى مناطق سكنهم الأصلية، أو استقروا في مناطق أخـرى، واقـترب من غلق هذا الملـف، إلَّا أنَّ تداعياته، ولاسـيما الأمنية والاقتصاديـة والاجتماعيـة، تبقى تحدِّيًا قائمًا للحكومـة، وعليها أن تضع الحلول المسـتقبلية أيضـاً؛ لتجنب مواجهة الأسـباب الأصلية التي أدت إلى النزوح[٢٨].

٨. البطالـة والتعليم بين الشـباب: تشـكل المسـتويات المرتفعة مـن البطالة بين الشـباب، إلى جانب انعدام كفاية الفـرص التعليمية، تحدياتٍ كبيرةٍ للشـباب العراقـي وللحكومـة والمجتمـع، وتـؤدي محدوديـة الوصـول إلى التعليـم الجيد، والتدريـب المهني، وفرص العمـل، إلى إدامة دورات الفقـر والحرمـان، ما يسـهم في الاضطرابات الاجتماعيـة، وخيبة الأمل؛ لاسـيما عند الشـباب، ولها تداعيات اجتماعية وأمنية محتملة، منها الهجرة للخارج؛ لاسيما لذوي العقول[٢٩].

٩. انعدام المساواة بين الجنسين وحقوق المرأة: برغم الإصلاحات القانونية، تواجـه المـرأة في العراق تحديـات كبيرة لنيل المسـاواة والتمكـين، ولعلَّ التمييز على أسـاس الجنس، ومنع الحصول عـلى فرص التعليم والعمل،

(28) UNHCR Iraq situation overview, (Entry date: 09/03/2024); Pugh C. et al. 2020; The Centre for Preventive Action 2024, «Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq», Updated February 13, 2024;

عـ. حميد وعـ. عبدالله. ٢٠٢٠.

(29) International Labour Organization (ILO), «Iraqi Labour Force Survey 2021»; UNDP / Iraq Publications page, (Entry date February 20, 2024);

«الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ؛٢٠١٢ مـ. حجازي ٢٠٠٨.

والأعراف المجتمعية، تؤدي إلى إدامة انعدام المساواة بين الجنسين، ما يحد من مشاركة المرأة في صنع القرار، ويعيق إمكاناتها الكاملة[٣٠].

١٠. الديناميكيات الإقليمية والجيوسياسية والتدخل الأجنبي: تؤثر الديناميكيات الإقليمية والجيوسياسية المحيطة بالعراق، كثيرًا، على استقراره الداخلي وأمنه وتنميته، وتتأثر هذه الديناميكيات بشبكة معقدة من المنافسات الإقليمية، والصراعات على السلطة، والتوترات الطائفية، والتدخلات الخارجية، وهناك أسباب كثيرة لتدخل خارجي من جهات إقليمية ودولية، وهي تسعى إلى تعزيز مصالحها الجيوسياسية الخاصة. إذ يسهم التدخل الأجنبي إلى إدامة حالة منع الاستقرار، وتقويض الوحدة الوطنية، وتعقيد الجهود الرامية إلى تحقيق السلام والاستقرار؛ وكثيراً ما تستغل الجهات الفاعلة الخارجية، الانقسامات الداخلية لتحقيق أجنداتها وتغذية استمرار هذه الانقسامات، فيؤدي هذا إلى تفاقم الصراعات، وإعاقة جهود المصالحة[٣١].

بمعزل عن مدى دقة المَلَاحِظ العشر أعلاه أو سعتها، هناك انطباع عام مجتمعي عنها، وهذا الانطباع سيبقى ما لم يُشرَع بمعالجة أسباب شيوع هذا

(30) Human Right Watch 2023, "Events in Iraq", (Entry date: 11/06/2024); United Nations Security Council Reports on Iraq, "UN Documents for Iraq: Secretary-General's Reports, (Entry date 01.06.2024);

«الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

(31) United Nations Security Council Reports on Iraq, "UN Documents for Iraq: Secretary-General's Reports, (Entry date 01.06.2024); The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024.

الانطباع، أو الحقيقة، وهذا يتطلب برنامجًا حكوميًّا ومجتمعيًّا كبيرًا، ولمدَّة ليست بقصيرة؛ غير ناسين أنَّ المجتمعات بطبيعتها تتعاطى مع الانطباعات، ولا تبحث عميقًا عن الحقيقة وأسبابها. هنا تأتي أهمية قيادات المجتمع والدولة، ودورها في المضي ببرامج تعافٍ وإصلاحٍ وتنمية مجتمعية، وفي جهاز الدولة ومؤسساتها.

إنَّ التحديات التي تواجه المجتمع العراقي متعددة الأوجه ومترابطة، ومتجذرة في مزيج معقد من الموروثات التاريخية، الديناميكيات السياسية، ونقاط الضعف الاقتصادية، والفوارق الاجتماعية، ويتطلب التصدي لهذه التحديات إجراء إصلاحات شاملة، وحكم شامل، واستراتيجيات تنمية مستدامة، وجهود متضافرة لتعزيز المصالحة، والتماسك الاجتماعي، والقدرة على الصمود.

فيما يستمر العراق في مواجهة التحديات المعاصرة، فإنَّ المسار التطوري لشخصيته في حالة تغيُّر وصيرورة مستمرة، كما أنَّ التفاعل الدقيق بين الثقافة والدولة والدين، سوف يستمر في تشكيل هوية الأمّة، وقدرتها على التجانس في حل مشكلاتها العميقة والمترابطة. إنَّ التحديات التي يواجهها العراقيون ما بعد حكم نظام صدام توفر خلفية تتجلى في ظلها مرونة المجتمع العراقي، والتفاوض بشأن الهويات المتنوعة، والسعي إلى مستقبل مستقر.

كما تتطلب معالجة هذه الأسباب الجذرية إجراء إصلاحات شاملة، تمنح الأولوية للحكم الشامل، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستدامة، ولعلَّ تعزيزَ مؤسسات الدولة، ودعم الحوار والمصالحة، والتنويع الاقتصادي، والتعاون الإقليمي، خطواتٌ أساسية نحو بناء عراق مستقر ومزدهر، فضلًا عن تمكين المجتمع المدني، وحماية حقوق الإنسان، وتعزيز ثقافة

المساءلة وهذه أمور بالغة الأهمية لتعزيز الثقة بين الحكومة والشعب، ووضع الأساس لدولة أكثر استقراراً ومرونة[٣٢].

٢-٥. توسع دائرة النفوذ الديني:

بمتابعة الأحداث السياسية والاجتماعية بعد العام ٢٠٠٣، نستطيع أن نرى، بوضوح، توسُّعًا كبيرًا في دائرة تأثير الدين على نظام الحكم والمجتمع في العراق، وتعود أسبابها إلى:

١. **الأهمية التاريخية: يتمتع العراق بتاريخ ديني غني؛ لأنَّه محورٌ جغرافيٌّ ومعنويٌّ مهم لعدد من الديانات العالمية الرئيسة، كاليهودية والمسيحية والإسلام، وساهمت الأهمية الدينية لمواقع مثل بابل وأور والنجف وبغداد وسامراء في تجلِّي العراق في المخيلة الدينية للمؤمنين، من المسلمين واليهود والمسيحيين في جميع أنحاء العالم[٣٣].**

٢. **الطائفة الشيعية بوصفها أغلبية: يلتزم الأكثريَّة من سكان العراق بالإسلام، بأكثرية شيعية (اثني عشرية)، وعليه تؤدِّي المؤسسات الدينية الشيعية ورجال الدين، دوراً مهماً في تشكيل الخطاب والممارسات الدينية، وقد عززت مدينة النجف المحتضنة لمرقد الإمام علي (عليه السلام)، بوصفه واحداً من أهم مراكز التعليم الشيعي، مكانة العراق بعدِّهِ مركزًا عالميًّا للسلطة الدينية الشيعية.**

٣. **الاضطرابات السياسية وانعدام الاستقرار: أدت أزمنة الاضطرابات**

---

(٣٢) ع. الوردي ١٩٩٥: ٢٦٢-٢٧١.
(٣٣) ف. رشيد ١٩٧٣.

السياسية إلى فراغ في السلطة، إذ يتدخل الزعماء الدينيون، (ولاسيما الشيعية منهم)، في كثير من الأحيان، لملء الفراغ، وفي أوقات الأزمات قدمت المؤسسات الدينية ورجال الدين الخدمات الاجتماعية، وتوسطت في حل النزاعات، ولاسيما حوزة النجف الأشرف، متمثلة بالمرجع الأعلى السيد على الحسيني السيستاني، ودوره في تقديم التوجيه الأخلاقي والقيمي للشعب، ما عزَّز نفوذها وشرعيتها.

٤. عودة سياسات الهوية: في أعقاب سقوط حكم نظام صدام حسين، والانتقال السياسي اللاحق في العراق، اكتسبت سياسات الهوية القائمة على الخطوط الطائفية والقومية أهمية كبيرة، وكان هذا التحول نحو السياسات القائمة على الهوية، سبباً في تعزيز نفوذ الزعماء والمؤسسات الدينية، إذ إنَّهم كثيراً ما يعملون بوصفهم ممثلين وأوصياء على مصالح مجتمعاتهم[٣٤].

٥. توفير الخدمات الاجتماعية: تنشط المؤسسات الدينية، وتحديدًا تلك التابعة للشيعة، في تقديم الخدمات الاجتماعية، بما في ذلك التعليم والرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية، للمجتمعات المهمشة في العراق. وقد أدى توفير الخدمات الاجتماعية إلى تعزيز الشعور بالولاء والاعتماد على المؤسسات الدينية، ما أدى إلى تعزيز نفوذها وسلطتها لسنوات عدة بعد سقوط النظام السابق.

٦. السلطة الأخلاقية والشرعية: كثُر ما يُنظر إلى الزعماء الدينيين في العراق على أنَّهم سلطات أخلاقية ورموز للشرعية؛ لاسيما بين الشرائح المتدينة

(34) Mühlberger W. 2023; Sarwar A. 2019;
هـ. وهولبورن ٢٠١٠ ؛ إ. الحيدري ٢٠١٣.

من السكان، ولعلَّ تمسكهم بالمبادئ الدينية، والدعوة إلى العدالة الاجتماعية، ومعارضة الفساد والاستبداد، أكسبهم الاحترام والمصداقية بين جمهورهم، فعزّزَ مجال نفوذهم.

٧. العوامل الخارجية: ساهمت التطورات الإقليمية والدولية، بما في ذلك صعود الإسلام السياسي، ونفوذ إيران المجاورة ذات الأكثرية الشيعيَّة، في تعزيز مجال نفوذ الدين في العراق؛ ولاسيما الشيعي منه. وكثيراً ما سعت الجهات الفاعلة الخارجية، مثل دول الجوار، إلى الإفادة من الهويات والانتماءات الدينية، لتعزيز مصالحها البراغماتية والجيوسياسية، ما يزيد من ترسيخ دور الدين في المجتمع العراقي.

٨. تنوع مراكز الدين: وجود بعض المراكز الدينية المهمة بالنسبة للإسلام السني أيضاً، لاسيما في بغداد مثل جامع الإمام أبي حنيفة، والشيخ عبد القادر الكيلاني وغيرهما.

بشكل عام، عُزِّزَ مجال تأثير الدين في العراق بمجموعة من العوامل التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والأمنية، والخارجية، التي شكلت مجتمعة المشهد الديني، وديناميكيات التأثير على السلطة في البلاد.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٢-٦. زيادة نفوذ العشائرية والقبلية في المجتمع:

خلال سنوات الافتقار إلى الاستقرار السياسي، والتوترات الطائفية، والتهديدات الأمنية، والخارجية، رأينا لجوء الشعب العراقي إلى القبلية والعشائرية، بوصفها وسيلة للبحث عن الأمن، وحماية هويتهم وأمنهم،

وهناك عوامل عدة تساعد في تمسك كثير من العراقيين بالقبلية والعشائرية، وزيادة تأثيرها خلال الأوقات المضطربة.

أحدها مرتبط **بضعف السلطة المركزية والسلطات المحلية**؛ فعندما تفشل الحكومة المركزية في توفير الأمن والخدمات الأساسية وسيادة القانون، يلجأ الناس ـ في أحيان كثيرة ـ إلى مصادر بديلة من السلطة والحماية، وفي غياب مؤسسات الدولة الفعالة، قد يسدُّ زعماء وشبكات القبائل فجوة الحكم، وتوفير الأمن، وحل النزاعات، وإقامة العدالة وفقاً للعادات والتقاليد والأعراف القبلية والعشائرية السائدة، ولاسيما مع ضعف باقي المؤسسات، مثل النقابات والأحزاب.

ومن العوامل الأخرى **الأنقسامات القومية والعرقية والطائفية** في العراق، علماً أنَّ العراق بلدٌ متنوع، يضم مجموعات قومية وعرقية وطائفية متنوعة، ولكل منها بنياتها الاجتماعية وهوياتها الخاصة، وفي أوقات الأزمات والاضطرابات المجتمعية والسياسية والأمنية، قد ينجذب الناس إلى مجتمعاتهم القومية أو العرقية أو الطائفية؛ من أجل التضامن والدعم والحماية، وكثيراً ما تتداخل الانتماءات القبلية مع الهويات العرقية والطائفية، ما يُعزز الولاءات القبلية ونفوذها[٣٥].

هناك ـ أيضًا ـ عامل **السوابق التاريخية** للقبلية والعشيرة، وجذورها العميقة في المجتمع العراقي، إذ يعود تاريخ الهياكل والعادات القبلية إلى قرون مضت، يعتمد الناس في أوقات الأزمات على السوابق التاريخية، والقيم التقليدية والتراث المرتبطة بالقبيلة والعشيرة، وينظرون إلى زعماء

(35) Pugh C. et al. 2020;

عـ. الوردي ٢٠٠٧.

القبائل بوصفهم شخصيات شرعية، وجديرة بالثقة، يمكنها توفير الاستقرار والتوجيه.

ومنهـا **المخـاوف الأمنيـة** في بيئـة متقلبة وغـير آمنة، يعطـي الأفراد والمجتمعـات الأولويـة للأمـن والحمايـة أهمَّية فـوق الاعتبـارات الأخرى، وتُوفـر الشـبكات القبليـة _ مـع تركيزهـا على روابـط القرابـة والالتزامات المتبادلة شـعوراً بالأمان والانتماء، قد يكون غير موجود في المجتمع الأوسع، وقد ينضم الناس إلى قبائل أو عشائر قوية من أجل تعزيز أمنهم والإفادة من نفوذهم.

كـما أنَّ عامل **توزيع الموارد** مع غياب دولة فاعلة من تلك العوامل، فكثر ما تؤدي الشـبكات القبلية دوراً رئيساً في توزيع الموارد، والحصول على الضروريات الأساسية مثل الغذاء والماء والمأوى، وقد يستعين زعماء القبائل بنفوذهـم لتخصيـص المـوارد، وحـل النزاعـات حـول الأراضي أو الموارد، وتقديم المساعدة لأفراد قبيلتهم أو المجموعات التابعة لها.

وأخـيراً هناك عامل **الهوية والانتماء**، الذي يوفر للقبلية والعشـائرية شـعوراً بالهوية والانتماء والتضامـن في أوقات الأزمات والاضطرابات؛ وفي مجتمـع مثـل العـراق الذي مرَّ بمراحل اسـتقطاب عـدَّة، إذ قد تكـون الهوية الوطنية متنازعًا عليها، توفرُ الانتماءات القبلية شـعوراً قوياً بالمجتمع والهوية المشتركة التي تتجاوز الانقسامات والصراعات السياسية[٣٦].

بشـكلٍ عـام، فـإنَّ احتضـان القبيلـة والعشـيرة والتأثـير المتزايـد للشـبكات القبلية في العراق في أوقـات انعدام اليقين، يعكس التفاعل المعقد

(36) Mühlberger W. 2023; Sarwar A. 2019;
عـ. الوردي ٢٠٠٧ ؛ هـ. وهولبورن ٢٠١٠ ؛ إ. الحيدري ٢٠١٣.

بـين العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسـية، وفي حـين أنَّ القبلية قد توفر الاستقرار والأمن على المدى القصير للبعض، فإنها يمكن أيضا أن تؤدي إلى تفاقم الانقسـامات، وإدامة انعدام المسـاواة، وعرقلة الجهـود الرامية إلى بناء دولة قانون، يكون فيها المجتمع متماسـكًا وشـاملًا، يقوم على مبادئ المواطنة والمساواة وسيادة القانون والقضاء العادل المستقل.

٢-٧. الشيعة بين المعارضة والمشاركة بالحكم وتأثيراتها:

سنخصص في هذه الفقرة للشيعة العراقيين وطبيعة تعاطيهم مع الحكم؛ لأنَّهـم يمثلـون الأكثريَّـة في الشـعب العراقـي، إذ إنَّ هنـاك سرديـة واسـعة الانتشـار والاقتناع بين العراقيين، بأنَّ الشـيعة العراقيين قد يشـعرون براحة أكـبر بوجودهـم في معسـكر المعارضة، بـدلاً من المشـاركة بالحكـم وتحمّل مسـؤولياته، وأنَّهم متأثـرون بعواملِ عـدة عمقت هذا الفهـم والمنهج، وقد يتطور هذا الفهم، سلباً أو إيجاباً، مع مرور الزمن بناءً على الظروف السياسية، والسياق التاريخي. وفيما يلي بعض الأسباب وراء وجود هذا التصور وتأثيره المحتمل:

دار الورق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

١. **التهميـش التاريخـي وإرث القمـع: لشـيعة العـراق تاريـخ طويـل مـع التهميش والقمع؛ لاسـيما في مرحلة نظام صـدام، ويمكن أن يؤدي هذا السـياق التاريخي إلى اتباع نهج حذر تجاه الحكم والسـلطة، إذ قد يشـعر بعض الشـيعة بأمان أكبر عند الدفاع عـن حقوقهم من خارج الحكومة، بدلاً من المخاطرة بالانتقام أو الاضطهاد أثناء وجودهم في السلطة، وقد غـرس هذا التاريـخ من الاضطهاد والتهميش شـعوراً بالحذر بين القادة**

والناشطين الشيعة، فيما يتعلق بتولي مهام مباشرة ومسؤوليات الحكم.

٢. الخوف من الانتقام: قد توجد مخاوف بين بعض القادة والناشطين الشيعة بشأن الأعمال الانتقامية المحتملة، أو ردود الفعل العنيفة من الفصائل السياسية المتنافسة، أو الجهات الفاعلة الخارجية إذا تولوا أدواراً بارزة في الحكومة، ويمكن أن يؤثر هذا الخوف، وهو ذو مصداقية تاريخية، على تفضيلهم للمحافظة على موقف انتقادي من المعارضة بدلاً من تحمل المسؤوليات المباشرة[٣٧].

٣. ديناميكيات سياسية معقدة: يتميز المشهد السياسي في العراق بديناميكيات معقدة، بما في ذلك الانقسامات الطائفية، والتوترات القومية، والتنافس على الموارد والنفوذ، وقد يجد بعض القادة والجماعات الشيعية أنَّه من المفيد استراتيجياً العمل من المعارضة، والإفادة من مواقفهم للتفاوض والمساومة على التنازلات أو المكاسب السياسية، من دون تحمل المسؤولية الكاملة عن تحديات الحكم.

٤. الضوابط والتوازنات: يمكن أن تكون المشاركة في المعارضة بمنزلة آلية لمحاسبة من هم في السلطة، والدعوة إلى الإصلاحات من دون أن يكونوا مسؤولين مباشرة عن الإدارة اليومية، والتحديات المرتبطة بها؛ لاسيما مع وجود إجماع بصعوبة الحكم، ويتيح هذا الدور حرية أكبر لانتقاد سياسات الحكومة وإجراءاتها، مع تقديم رؤى وحلول بديلة.

٥. التأثير الخارجي: يمكن للعوامل الإقليمية والدولية، أيضاً، أن تؤثر على مستوى ارتياح الشيعة العراقيين في تولي أدوار الحكم، وقد تفضل

---

(37) Cambanis T. et al. (eds.) 2023; Taie al- A. (ed.) 2023;
ش. شقير ٢٠٠٩ ؛ع. الوردي ١٩٩٥ ؛ عـ. بلقزيز وآخرون ٢٠٠١ ؛ عـ. المولوي ٢٠٢٣.

الجهات الفاعلة الخارجية، مثل الدول المجاورة أو القوى العالمية، العمل مع جماعات المعارضة، أو الأصوات المعتدلة داخل المجتمعات الشيعية؛ لتعزيز لمصالحها أو ممارسة النفوذ، الأمر الذي يمكن أن يشكل ديناميكيات السلطة والمعارضة.

٦. الحسابات الاستراتيجية: قد تنخرطُ بعض الأحزاب وبعض القادة السياسيين الشيعة في حسابات استراتيجية، بوساطة الموازنة بين المشاركة في الحكومة، أو الحفاظ على وجودهم في المعارضة؛ لتعظيم نفوذهم السياسي وقدرتهم على المناورة، ويتيح لهم هذا النهج التعامل مع التحالفات المعقدة، محافظين في الوقت عينه على قاعدتهم السياسية وأهدافهم[٣٨].

٧. عقلية المعارضة: إنَّ عقلية المعارضة الراسخة من دون سبل للحوار البناء والتعاون، يمكن أن تساهم أيضاً في الاستقطاب السياسي، والجمود، وإعاقة التقدم في القضايا الحاسمة التي تواجه البلاد[٣٩].

٨. ديناميكيات السلطة المعقدة: يتميز المشهد السياسي في العراق بديناميكيات السلطة المعقدة، التي تشكلها عوامل طائفية وعرقية وإقليمية، وقد نجح النظام السياسي في مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣، والقائم على المحاصصة القومية والطائفية، في خلق معادلة توازن مضطربة بين القوى الشيعية والسنية والكردية. وقد يجد بعض القادة الشيعة أنه من المفيد استراتيجياً الحفاظ على وجود معارضة قوية؛ للتفاوض، والإفادة من اتفاقيات

(38) Taie al- A. (ed.) 2023;
ش. شقير ٢٠٠٩ ؛ ع. الوردي ١٩٩٥ ؛ ك. سايا وآخرون ٢٠١٥ ؛ ع. المولوي ٢٠٢٣.
(39) Cambanis T. et al. (eds.) 2023;
ش. شقير ٢٠٠٩ ؛ ع. الوردي ١٩٩٥ ؛ ل. الفيلي (أ) ٢٠٢٣

تقاسم السلطة، من دون تحمل العبء الكامل لمسؤوليات الحكم؛ ولاسيما مع عدم إيمانهم باحتمالية النجاح نتيجة صعوبة إدارة المرحلة وتعقيداتها الكبيرة والكثيرة[٤٠].

٩. الانقسامات داخل الطائفة الشيعية: بينما يشكل الشيعة العراقيون الأكثريّة من بين السكان، هناك انقسامات داخل الدوائر السياسية والدينية الشيعية نفسها، ويمكن أن تستند هذه الانقسامات إلى اختلافات أيديولوجية وفقهية، أو انتماءات إقليمية، أو رؤى متنافسة للحكم. إنَّ العمل من المعارضة يسمح للفصائل الشيعية المختلفة بالحفاظ على هوياتها المتميزة والسعي إلى أجندات متباينة، وتجنب الصراعات المحتملة التي قد تنشأ عن تقاسم مسؤوليات الحكم[٤١].

١٠. الديناميكيات الدولية والإقليمية: العوامل الخارجية، بما في ذلك تأثير الدول المجاورة، والقوى العالمية، تشكل أيضاً تفضيلات واستراتيجيات الجهات السياسية الشيعية العراقية، وكثيرًا ما تتقاطع المنافسات الإقليمية والمصالح الجيوسياسية مع السياسة الداخلية للعراق، ما يؤدي إلى الدعم الخارجي لفصائل أو حركات معينة، يمكن أن يؤثر هذا التأثير الخارجي على عملية صنع القرار لدى القادة الشيعة، فيما يتعلق بأدوارهم في الحكومة أو المعارضة[٤٢].

من المهم أن نلاحظ أن مستوى ارتياح الشيعة العراقيين في الحكم مقابل

---

(40) Taie al- A. (ed.) 2023;

ش. شقير ٢٠٠٩ ؛ ع. الوردي ١٩٩٥ ؛ ل. الفيلي (أ) ٢٠٢٣ ؛ عـ. بلقزيز وآخرون ٢٠٠١ ؛ عـ. المولوي ٢٠٢٣.

(41) Taie al- A. (ed.) 2023;

ش. شقير ٢٠٠٩ ، ع. الوردي ١٩٩٥ ، كـ. سايا وآخرون ٢٠١٥ ، ر. جعفريان ٢٠٠٨، عـ. المولوي ٢٠٢٣.

(٤٢) عـ. بلقزيز وآخرون ٢٠٠١ ؛ ر. جعفريان ٢٠٠٨ ؛ ل. الفيلي (أ) ٢٠٢٣.

أدوار المعارضة ليس ثابتاً؛ ويمكن أن يتطور بناءً على الديناميكيات السياسية المتغيرة، والظروف الأمنية، والمشاعر العامة، والضغوط الخارجية، وإنَّ تحقيق التوازن بين الحاجة إلى الحكم الفعال، والوحدة الوطنية، والمساءلة الديمقراطية، وحماية حقوق الأقليات، يظل تحدياً معقداً ورئيساً داخل المشهد السياسي العراقي.

عليه يمكن القول: إنَّ طبيعة مشاركة الشيعة وتفاعلهم وتعاطيهم مع الحكومات العراقية، ستعتمد على مدى اقتناعهم وارتياحهم لسردية المعارضة من عدمه، علماً أنَّ وجودهم في المعارضة أو بالأحرى غير مشاركين بقوة في الحكومات المتعاقبة، كان لعقود أو كما يقول البعض لقرون؛ وعلى مستوى المشاركة بالحكم وقيادة المشهد السياسي يمكن القول: إنَّ الشيعة، ولاسيما في العراق، أمام تحدٍّ جدّيٍّ أو بمواجهة مفترق طرق، وسيحتاجون إلى أنْ يُحدِّثوا نسقهم الفكري، وثقافتهم السياسية؛ لتنسجم مع قواعد الحكم والسياسة[٤٣].

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

٢-٨. تأثيرات الأبعاد الثلاثة وممارسة الدكتاتورية على مفهوم المواطنة:

يمكن للتفاعل بين الثقافة والدولة والدين أن يؤثر كثيرًا ـ في ظل الحكم الديكتاتوري ـ على مفهوم المواطنة داخل المجتمع، وفيما يلي بعض الطرائق التي تؤثر بها هذه العوامل على المواطنة:

١. **الهوية الثقافية: تمارس الثقافة دوراً حاسماً في تشكيل هوية المواطنين،**

(43) Taie al- A. (ed.) 2023;
ش. شقير ٢٠٠٩؛ ع. الوردي ١٩٩٥؛ ر. جعفريان ٢٠٠٨؛ عـ. المولوي ٢٠٢٣؛ ا. العنبر ٢٠٢٠؛ ن. ياسين ٢٠٠٧.

وفي المجتمعات المتنوعة الثقافات، تساهم الممارسات الثقافية، واللغات، والتقاليد، في الشعور بالانتماء والهوية المشتركة، وقد تحاول الدكتاتوريات التلاعب بالتنوع الثقافي، أو قمعه، ما يؤثر على الطريقة التي ينظر بها المواطنون إلى هويتهم الثقافية فيما يتعلق بالمواطنة.

٢. التأثير على الأعراف الاجتماعية: كثيراً ما تؤثر الأعراف الثقافية على التوقعات الاجتماعية والسلوك داخل المجتمع، وقد تسعى الدكتاتوريات إلى فرض معايير سلوكية معينة تتماشى مع أيديولوجيتها، ما يؤثر على حرية المواطنين في التعبير عن فرديتهم والالتزام بالممارسات الثقافية.

٣. حقوق المواطنة والأطر القانونية: تحدد الدولة المواطنة وتنفذها بوساطة الأطر القانونية، وقد تتلاعب الدكتاتوريات بقوانين الجنسية، كما حصل مع الأكراد الفيليين في حملتي التسفير ١٩٧٠-١٩٧٥ و١٩٨٠-١٩٨٨، لاستبعاد مجموعات أو أفراد معينين بناءً على معايير سياسية أو عرقية، كما أنَّ الحقوق التي تترتب على حق المواطنة، مثل حق التصويت، يمكن تقييدها أو التلاعب بها؛ للحفاظ على سيطرة النظام(٤٤).

٤. السيطرة الاستبدادية ومشاركة المواطنين: في الأنظمة الدكتاتورية، قد تكون لدى المواطنين فرص محدودة للمشاركة الفعالة في الحكم، ويمكن للسيطرة الاستبدادية أن تقمع المشاركة المدنية، وتحد من الحريات السياسية، وتحد من قدرة المواطنين على تشكيل اتجاه مجتمعهم بشكل فعال.

٥. الهوية الدينية: يمكن أن يكون الدين عاملاً محدداً للمواطنة، لاسيما في

(44) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010; Papaioannou K.J. & van Zanded J.L. 2015.

المجتمعات التي ترتبط فيها الهوية الدينية ارتباطاً وثيقاً بالهوية الوطنية، وقد تستغل الديكتاتوريات الانقسامات الدينية، أو تتلاعب بالمؤسسات الدينية؛ للسيطرة على خطاب المواطنة، وكثيرًا ما تفضّل مجموعات دينية معينة وتهمش مجموعات أخرى.

٦. التمييز والأقليات الدينية: قد تمارس الديكتاتوريات التمييز ضد الأقليات الدينيَّة، ما يؤثر على حقوق المواطنة الخاصة بهم، ويمكن أن يتراوح التمييز بين الوصول المحدود، إلى المشاركة السياسية، إلى القيود المفروضة على الممارسات الدينية، فيؤدي إلى الشعور بالاستبعاد بين مجتمعات الأقليات.

٧. التلاعب بالقومية: قد تتلاعب الدكتاتوريات بالقومية لتعزيز الولاء، ويمكن ربط المواطنة بالولاء المطلق للنظام، ويمكن عدُّ الأفراد الذين يعارضون الحكومة، أو يشككون بها، مواطنين غير مخلصين.

٨. التأثير على أنظمة التعليم: تتحكم الدكتاتوريات كثيرًا في أنظمة التعليم لتشكيل خطاب المواطنة، وقد يُصمَّم المنهج لتعزيز أيديولوجية النظام، وتشكيل فهم المواطنين لأدوارهم ومسؤولياتهم؛ بطرائق تتماشى مع أهداف الدكتاتورية[٤٥].

دار الروق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

بإيجاز، فإنَّ تأثير الثقافة والدولة والدين على المواطنة متعدد الأوجه، في ظل أنظمة الحكم الدكتاتورية، ويمكن للديكتاتوريات كما لاحظنا أثناء حكم البعث ونظام صدام تحديدًا أن تمارس تأثيراً كبيراً على خطابات المواطنة والحقوق والمشاركة، وكثيراً ما تستعمل هذه العوامل لتعزيز سلطتها

(٤٥) «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

والحفاظ عليها. وقد يجد المواطنون هويَّاتهم وحقوقهم يجري التلاعب بها أو تقييدها، ما يؤدي إلى علاقات معقدة واستثنائية بين الفرد والدولة[٤٦].

٢-٨-١. متطلبات تكوين الأمم ونضجها:

يتطلب تكون الأمم، العراقية أو غيرها، ونضجها عادةً، شروطًا أساسية عدَّة، منها:

- **الهوية المشتركة: تُبنى الأمم على الشعور المشترك بالهوية بين أعضائها، ويمكن أن تعتمد هذه الهوية على عوامل مختلفة، بما في ذلك اللغة، أو الثقافة، أو الدين، أو القومية، أو العرق، أو التاريخ، أو مجموعة مشتركة من القيم والمعتقدات، ولعلَّ الشعور القوي بالهوية المشتركة يُعزز التضامن والتماسك بين السكان، ويشكل أساس الأمّة.**
- **التماسك الإقليمي: كثيراً ما يكون لدول منطقة أو وطن محدد يقيم فيه أعضاؤها، ويوفر التماسك الإقليمي مساحة مادية للتعبير عن الهوية الوطنية، وممارسة الحقوق والمسؤوليات الجماعية، كما يسمح بتطوير المؤسسات المشتركة والبنية التحتية وهياكل الإدارة.**
- **التماسك الثقافي: يمثل مطلبًا ضروريًا لتكوين الأمم؛ لأنَّه يعكس العادات والتقاليد والرموز والممارسات المشتركة التي تربط الناس فيما بينهم؛ ومن الممكن تعزيز التماسك الثقافي اعتمادًا على التعليم والإعلام والفنون، وغير ذلك من أشكال التعبير الثقافي التي تعزز الهوية الوطنية والتضامن.**

(46) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- السرد التاريخي: كثيرًا ما يكون لدى الأمم سرد تاريخي مشترك، يوفر إحساساً بالاستمرارية والذاكرة الجماعية والهوية، وقد تشمل هذه الرواية الأحداث والشخصيات والرموز والأساطير الرئيسة التي تشكل الوعي الوطني وتوفر الشعور بالانتماء إلى ماضي الأمّة وحاضرها ومستقبلها.
- المواطنة الشاملة: تزدهر الأمم وتتطور عندما تتبنى هذا المطلب، وتمنح الحقوق والفرص والتمثيل المتساوي لجميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن هويتهم الفرعية الثانوية، هنا تعمل المواطنة الشاملة على تعزيز التماسك الاجتماعي، وتعزيز الثقة في المؤسسات، وتضمن قدرة جميع الأفراد على المساهمة في تنمية الأمّة والإفادة منها.
- الحكم الفعال: يعد مطلبًا ضروريًّا لنضج الأمم؛ لأنه يوفر الإطار لمواجهة التحديات الجماعية، وإدارة الموارد، وتغليب المصلحة العامَّة، وتحتاج الأمم إلى مؤسسات مستقرة وخاضعة للمساءلة، وعمليات شفافة لصنع القرار، وقيادة مستجيبة للحكم بفعالية وتلبية احتياجات مواطنيها.
- التنمية الاقتصادية: تمارس دوراً حاسماً في بناء الأمم، إذ توفر الموارد والفرص لتحسين مستويات المعيشة، والحد من الفقر، وتعزيز الحراك الاجتماعي، وتحتاج الأمم إلى سياسات اقتصادية قوية، وبنية تحتية واستثمار في رأس المال البشري، لتحقيق النمو والازدهار المستدامين.
- التماسك الاجتماعي: إنَّ الترابط بين الأفراد في المجتمع ضروري لاستقرار الأمم ومرونتها؛ لأنه يعزز الثقة والتعاون والتضامن بين المجموعات المتنوعة داخل المجتمع. على الدول معالجة انعدام المساواة

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الاجتماعيـة والتمييـز والإقصاء، لبناء مجتمعات شـاملة، إذ يشـعر جميع أعضائها بالتقدير والاحترام.

- سـيادة القانـون: تتمثـل في إخضـاع المجتمعـات لمجموعة مـن القواعد والمؤسسات القانونية الشفافة، والمحايدة، والقابلة للتنفيذ، وتحتاج الأمم إلى إطار قانوني قوي يحمي الحقوق الفردية، ويضمن العدالة والمسـاءلة، ومَنْـعِ الإفـلات مـن العقاب، ويعـزز الاسـتقرار والقدرة عـلى التنبؤ في المجتمع.
- الاسـتقرار السـياسي: يعمل عـلى توفير بيئـة مواتية للنمـو الاقتصادي، والتنميـة الاجتماعيـة، وحمايـة الحقـوق والحريـات، وتحتـاج الأمـم إلى مؤسسـات سياسـية مسـتقرة، وانتقـال سـلمي للسـلطة، وآليـات لحل النزاعات والمظالم سلميًا.
- الرمـوز والأيقونـات الوطنيـة: تـؤدي الرمـوز الوطنيـة، مثـل الإعـلام والأناشـيد والشـعارات والأعياد، دوراً حاسـماً في تعزيز الشعور بالهوية الوطنيـة، والفخر بين المواطنين، تعمـل هذه الرموز بوصفها نقاطًا تجمع الأمّة، وتثير المشاعر والقيم المشتركة التي توحد السكان.
- التعليـم والمعرفـة: مطلب حيـوي لتكويـن الأمم ونضجهـا؛ لأنه ينمي الشـعور بالمواطنـة، والتفكـير النقـدي، والوعـي الثقـافي بين السـكان، وتحتـاج الأمـم إلى أنظمة تعليمية شـاملة تعمل على تعزيـز القيم المدنية، والتسـامح، واحـترام التنوع، في حين تـزود المواطنين، أيضـاً، بالمهارات والمعارف اللازمة للمشاركة في المجتمع[٤٧].

(٤٧) «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

- المشـاركة المدنية: تزدهر الأمم عندما يشـارك المواطنون بنشـاط في الحياة السياسـية والاجتماعيـة والثقافية لمجتمعاتهم، وتشـمل المشـاركة المدنية أنشـطة مثل التصويت، والعمل التطوعي، والدعـوة، وتنظيم المجتمع، التي تمكن الأفراد من المساهمة في المصلحة العامَّة وتشكيل اتجاه أمتهم.
- الثقـة الاجتماعية: هي الاعتقاد بأن الناس يمكنهم الاعتماد على بعضهم، وعلى المؤسسات للعمل بما يحقق مصلحتهم، وتحتاج الأمم إلى مستويات عاليـة مـن الثقـة الاجتماعية لتعزيـز التعـاون والتآزر والعمـل الجماعي، لمواجهة التحديات المشتركة وتحقيق الأهداف المشتركة[٤٨].
- التبـادل والتكامـل الثقافي: تُفيد الأمم مـن التبادل والتكامـل الثقافي، ما يعـزز التفاهم والتسـامح والاحـترام المتبـادل بين المجموعـات المتنوعة داخـل المجتمـع، ويسـاعد تشـجيع التبـادل الثقـافي _ بوسـاطة الفنون والرياضة والسـياحة والتفاعلات بين الأشخاص _ على سد الفجوات، وتعزيز الشعور بالوحدة والانتماء بين المواطنين.
- الهوية الجماعية: في المنظور العراقي، يمكن تعريف الهوية الجماعية على أنَّها الشـعور بالانتماء والانسـجام مع المجتمع الوطني، والتعرف على القيم، والعـادات، والتقاليد، والتاريخ، واللغة، والثقافـة، التي تجمع بين أفراد المجتمع في إطار وطني مشـترك، وتتأثر الهوية الجماعية في العراق بعوامل عدَّة، بما في ذلك التاريخ، والتجارب الاجتماعية، والسياسـية، والثقافية، التي تشكل مصدر الهوية الوطنية المشتركة بين أفراد المجتمع.

بتصـوُّر عام، يتطلب تكوين الأمم ونضجها مزيجاً من الهوية المشـتركة، والتماسـك الوطني، والتماسك الثقافي، والسرد التاريخي، والمواطنة الشاملة،

(٤٨) آ. براون ٢٠١٧.

والحكم الفعال، والتنمية الاقتصادية، والتماسك الاجتماعي. وتوفر هذه المتطلبات الأساسية الأساس اللازم لازدهار الأمم، والتكيف مع التغيير، وتحقيق تطلعات شعوبها.

كما تساهم هذه المتطلبات الإضافية في تكوين الأمم ونضجها، بتعزيز الوحدة والاستقرار والازدهار والمساواة داخل المجتمع، ويمارس كلٌّ منها دوراً حاسماً في تشكيل الهوية الجماعية، وتماسك الأمم ومرونتها أثناء تطورها وتكيُّفِها مع الظروف والتحديات المتغيرة(٤٩).

٢-٨-٢. متطلبات المواطنة

المواطنة هي تجسيد لانتماء لدولة معينة، وهي قصة منسوجة في نسيج الأمم والدولة الحديثة ولاسيما بعد القرن الثامن عشر، وتربط الأفراد ببلدهم بوساطة الحقوق والمسؤوليات والهوية المشتركة، وتبدأ بقصة الميلاد أو الاعتراف القانوني ما يشير إلى اللحظة التي يصبح فيها الفرد عضواً في مجتمع سياسي، ويدخل الشخص بهذا الاعتراف إلى عالم من الحقوق والامتيازات، ما يؤهله للمشاركة في حياة المجتمع(٥٠).

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

وبوصفهم مواطنين، يجد الأفراد أنفسهم وقد وهبوا مجموعة من الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والقانونية وهو الاساس الذي يبني عليه المواطنون حياتهم، ويشكلون تفاعلاتهم مع الدولة وزملائهم أعضاء المجتمع.

---

(٤٩) ل. الفيلي ٢٠٢١ ؛ ل. الفيلي ٢٠٢٢ ؛ ل. الفيلي (جـ) ٢٠٢٣ ؛ ف. فوكوياما ٢٠١٥ ؛ غـ. لوبون ٢٠١٤.

(٥٠) ف. فوكوياما ٢٠١٥ ؛ غـ. لوبون ٢٠١٤ ؛ جـ. سكوت ٢٠٠٩.

مـع ذلـك، فإن المواطنة لا تتعلق بالاسـتحقاق فحسـب، بل تتعلق أيضـاً بالواجـب والمسـؤولية ويلتـزم المواطنـون تجـاه وطنهـم ومواطنيهم، ويتعهـدون بالـولاء للدولـة، ويلتزمـون بإطاعـة قوانينهـا، ويسـاهمون في رفاهيتهـا بالاعتماد على الضرائب والخدمـات، وتدعو المواطنة الأفراد إلى أن يكونوا مشـاركين نشـطين في المسـعى الجماعي لبناء المجتمع ومـن ثم الأمّة، وتعزيز الشعور بالواجب المدني والتضامن[٥١].

المواطنـة هـي وضـع قانـوني يمنـح الأفـراد حقوقـاً وامتيـازات ومسـؤوليات معينة داخـل دولة وجغرافيا قومية او وطنيـة معينة، فهي تدل على العضوية في مجتمع سـياسي ويحمل في طياته مجموعة من الاسـتحقاقات والواجبات التي تشـكل علاقة الفـرد بالدولة والمواطنين، في حين قد تختلف الحقوق والالتزامات المحددة المرتبطة بالمواطنة من بلد إلى آخر.

وينطـوي مفهـوم المواطنة عمومـاً على الانتـماء، والشـعور العميق للفـرد بالارتبـاط بأمـة، ويتعـرف المواطنون عـلى القيـم والثقافـة والتاريخ المشـترك لبلدهـم، ويجـدون المعنـى والهـدف في عضويتهـم، وهذا الشـعور بالانتـماء يتجـاوز الفروق الفردية، ويوحد الناس مـن خلفيات متنوعة تحت هوية مشتركة.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

في سرد المواطنـة، يجـد الأفـراد الحماية والتمثيل تحت مظلـة الدولة، ولهم الحـق في طلـب المسـاعدة والإنصاف مـن حكومتهم، وأن يحصُلَ الاسـتماع إليهـم وتمثيلهم في قاعات السـلطة، وتمنح المواطنة للأفراد صوتاً في تشـكيل مصير أمتهم، وتمكينهم من مساءلة قادتهم والدعوة إلى التغيير.

---

(٥١) غـ. لوبون ٢٠١٤؛ ف. فوكوياما ٢٠١٥؛ ل. الفيلي (جـ) ٢٠٢٣.

ولعلَّ المواطنة في جوهرها هي قصة الشمول والمساواة والانتماء، وهي قصة تحتفي بتنوع المشاركين فيها مع التأكيد على إنسانيتهم المشتركة، إنها قصة الحقوق والمسؤوليات، والولاء والواجب، المنسوجة معاً لتشكل نسيج الأمّة، وبهذه الرؤية للمواطنة يجد المواطنون مكانهم في ملحمة الحضارة الإنسانية الكبرى، حيث تربطهم روابط المواطنة التي تتجاوز الحدود والأجيال(٥٢).

في الفسيفساء المعقدة للهوية الإنسانية، تعد شخصية المواطنين في أي بلد نتاجاً لكثير من العوامل المترابطة، ومن المعايير الثقافية إلى الموروثات التاريخية، ومن الظروف الاجتماعية والاقتصادية إلى الأنظمة السياسية، ومن التجارب الفردية إلى التأثيرات العالمية، تتلاقى هذه العناصر لتشكيل مواقف الأفراد داخل المجتمعات وسلوكياتهم وقيمهم.

في قلب هذا التفاعل المعقد توجد التأثيرات الثقافية، التي تضفي على المواطنين القيم والتقاليد والعادات المشتركة، التي تشكل نظرتهم للعالم وتشكل تفاعلاتهم مع الآخرين، وتترك الموروثات التاريخية بصمات لا تمحى على الوعي الجماعي، ما يؤثر على تصورات الهوية والتماسك الاجتماعي والفخر الوطني، وتؤثر العوامل الاجتماعية والاقتصادية، مثل الطبقة الاجتماعية والتعليم، على فرص حياة الأفراد ومساراتهم، وتشكل تطلعاتهم وفرصهم للنجاح.

تملي الأنظمة السياسية وهياكل الحكم حدود المواطنة، وتحدد الحقوق والمسؤوليات وسبل المشاركة في الحياة العامة، وتساهم التجارب الفردية التي تتشكل بالتنشئة الأسرية والعلاقات مع الأقران والتفاعلات المجتمعية في تطوير سمات الشخصية وآليات التكيف، وتعمل وسائل الإعلام والتكنولوجيا بوصفها قنوات ومنابر قوية لنشر الروايات الثقافية، وصياغة

(٥٢) غـ. لوبون ؛٢٠١٤ ف. فوكوياما ؛٢٠١٥ ل. الفيلي (جـ) ٢٠٢٣.

التصورات العامة، وتعزيز المجتمعات الافتراضية عبر الحدود.

كما تؤدّي المعتقدات والممارسات الدينية دوراً محورياً في تشكيل قيم الأفراد وأخلاقهم وشعورهم بالهوية، في حين تشكل التأثيرات البيئية والجغرافية أنماط الحياة، والتعايش، والممارسات الثقافية، كما تعمل لاستمرار فكرة العولمة والتأثيرات العابرة للحدود الوطنية، على تسهيل تبادل الأفكار والسلع والمعلومات، ما يعزز التهجين الثقافي والتنوع داخل المجتمعات.

بتصورٍ عامٍ، فإنَّ المواطنة مفهوم متعدد الأوجه، يشمل أبعاداً قانونية وسياسية واجتماعية وثقافية، وهو بمنزلة أساس للحكم الديمقراطي، والتماسك الاجتماعي، والهوية الجماعية داخل الدولة القومية أو الوطنية، وتشكيل الحقوق والمسؤوليات والفرص المتاحة للأفراد كأعضاء في المجتمع. إنَّ شخصيةَ المواطن، في أي بلد، هي نسيجٌ ديناميكي منسوج من خيوط العوامل الثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفردية، والعالمية، وإنَّ فهم هذا التفاعل المعقد، يلقي الضوء على تعقيدات الهوية الإنسانية والسلوك البشري داخل المجتمعات(٥٣).

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

٢-٨-٣. تأثيرات الأبعاد الثلاثة وممارسة الدكتاتورية على مفهوم المواطنة:

يمكن للتفاعل بين الثقافة والدولة والدين أن يؤثر كثيرًا، في ظل الحكم الديكتاتوري، على مفهوم المواطنة داخل المجتمع، فيما يلي بعض الطرائق التي تؤثر بها هذه العوامل على المواطنة:

١. **الهوية الثقافية: تؤدّي الثقافة دوراً حاسماً في تشكيل هوية المواطنين،**

(٥٣) غـ. لوبون ٢٠١٤ ؛ ف. فوكوياما ٢٠١٥ ؛ ل. الفيلي (جـ) ٢٠٢٣.

وفي المجتمعات متنوعة الثقافات، تساهم الممارسات الثقافية واللغات والتقاليد، في الشعور بالانتماء والهوية المشتركة، وقد تحاول الدكتاتوريات التلاعب بالتنوع الثقافي أو قمعه، ما يؤثر على الطريقة التي ينظر بها المواطنون إلى هويتهم الثقافية فيما يتعلق بالمواطنة.

٢. التأثير على الأعراف الاجتماعية: كثيراً ما تؤثر الأعراف الثقافية على التوقعات الاجتماعية، والسلوك داخل المجتمع، وقد تسعى الدكتاتوريات إلى فرض معايير سلوكية معينة تتماشى مع أيديولوجيتها، ما يؤثر على حرية المواطنين في التعبير عن فرديتهم، والالتزام بالممارسات الثقافية.

٣. حقوق المواطنة والأطر القانونية: تحدد الدولة المواطنة وتنفذها بالأطر القانونية، وقد تتلاعب الدكتاتوريات بقوانين الجنسية؛ لاستبعاد مجموعات أو أفراد معينين، بناءً على معايير سياسية أو عرقية، كما أنَّ الحقوق التي تترتب على حق المواطنة، مثل حق التصويت، يمكن تقييدها، أو التلاعب بها؛ للحفاظ على سيطرة النظام(٥٤).

٤. السيطرة الاستبدادية ومشاركة المواطنين: في الأنظمة الدكتاتورية، قد تكون لدى المواطنين فرص محدودة للمشاركة الفعالة في الحكم، ويمكن للسيطرة الاستبدادية أنْ تقمع المشاركة المدنية، وتحدُّ من الحريات السياسية، وتحدُّ من قدرة المواطنين على تشكيل اتجاه مجتمعهم بفاعلية.

٥. الهوية الدينية: يمكن أن يكون الدين عاملاً محدداً للمواطنة، لاسيما في المجتمعات التي ترتبط فيها الهوية الدينية ارتباطاً وثيقاً بالهوية الوطنية،

(54) Human Right Watch 2023, "Events in Iraq", (Entry date: 11/06/2024); ReliefWeb Response (RW Response) is a specialised digital service of the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA) reports page on Iraq, (Entry date: 30/04/2024).

وقد تستغل الديكتاتوريات الانقسامات الدينية، أو تتلاعب بالمؤسسات الدينية للسيطرة على خطاب المواطنة، وكثيراً ما تفضِّل مجموعات دينية معينة، وتهمش مجموعات أخرى.

٦. **التمييز والأقليات الدينية: قد تمارس الديكتاتوريات التمييز ضد الأقليات الدينية، ما يؤثر على حقوق المواطنة الخاصة بهم، ويمكن أن يتراوح التمييز بين الوصول المحدود، إلى المشاركة السياسية، إلى القيود المفروضة على الممارسات الدينية، ما يؤدي إلى الشعور بالاستبعاد بين مجتمعات الأقليات.**

٧. **التلاعب بالقومية: قد تتلاعب الدكتاتوريات بالقومية لتعزيز الولاء، ويمكن ربط المواطنة بالولاء المطلق للنظام، ويمكن عدُّ الأفراد الذين يعارضون الحكومة، أو يشككون فيها، مواطنين غير مخلصين.**

٨. **التأثير على أنظمة التعليم: كثيرًا ما تتحكم الدكتاتوريات في أنظمة التعليم لتشكيل خطاب المواطنة، وقد يُصمم المنهج لتعزيز أيديولوجية النظام، وتشكيل فهم المواطنين لأدوارهم ومسؤولياتهم، بطرائق تتماشى مع أهداف الدكتاتورية**[٥٥].

بإيجاز، فإنَّ تأثير الثقافة والدولة والدين على المواطنة متعدد الأوجه، في ظل أنظمة الحكم الدكتاتورية، ويمكن للديكتاتوريات، كما لاحظنا أثناء حكم البعث ونظام صدام حسين، تحديدًا، أن تمارس تأثيراً كبيراً على خطابات المواطنة والحقوق والمشاركة، وكثيراً ما تستعمل هذه العوامل لتعزيز سلطتها والحفاظ عليها، وقد يجد المواطنون أنَّ هوياتهم وحقوقهم

(٥٥) «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

يجـري التلاعب بها أو تقييدهـا، ما يؤدي إلى علاقات معقدة واسـتثنائية بين الفرد والدولة[٥٦].

٢-٨-٤. ما الأمّة العراقية؟

الأمّة هي مجتمع من الأشـخاص الذين يشتركون في هوية مشتركة، كثيراً ما تعتمد على عوامل مثل اللغة، أو الثقافة، أو التاريخ، أو الدين، أو العرق، أو القوميـة، أو المنطقة، وتتمتع الأمم، عادةً، بشـعور بالتضامن والانتماء بين أعضائها، فضلاً عن الوعي الجماعي بهويتها ومصالحها المشـتركة، في حين أنَّ الأمّـة يمكن أنْ تتواجد داخل حدود دول أو دولـة واحدة، إلا أنَّها يمكنها، أيضاً، تجاوز الحدود السياسـية، فتضم مجموعات سكانية متفرقة بين الدول، وذات إحساس مشترك بالهوية.

قد تطمح الأمم إلى تقرير المصير والسيادة والاستقلال السياسي، وتسعى إلى حكـم نفسـها وفقـاً لعاداتها وقوانينهـا وقيمها، إذن نسـتطيع أنْ نقول إنَّ مفهـوم الأمّـة معقد، ويمكن تفسـيره بأوجـه مختلفة، اعتماداً على السـياقات الثقافية والتاريخية والسياسية.

إنَّ إمكانيـة الإشـارة إلى المجتمـع العراقـي بشـكل جماعـي، حالياً، على أنَّـه «أمـة عراقية» يعتمد على كيفيـة تعريفنا لمفهوم الأمّة، ومسـتوى اعتقادنا بالتماسـك والوحدة داخل المجتمع العراقي. يشـير مصطلح "الأمّة"، عادةً، وكـما ذكرنـا أعـلاه إلى مجتمـع مـن الأشـخاص الذيـن يشـتركون في هوية، وتاريخ، وثقافة، وإقليم مشـترك، في حين أن العراق يضم سـكاناً متنوعين،

(56) Ismael S.T. 2004; Rohde A. 2010.

مـن خلفيات قوميـة، وعرقية، ودينيـة، وطائفية مختلفة، ومـع كل هذا هناك عناصر عدة تساهم في الشعور بالهوية الوطنية العراقية، منها:

١. **الإرث التاريخـي: يتمتـع العراق بتاريـخ وتراث ثقافي غنـي، بما في ذلك الحضارات القديمة لبلاد ما بين النهرين، التي سـاهمت في تشكيل الهوية الجماعية لشعبه.**

٢. **التماسك الإقليمي: يمتلك العراق منطقة محددة ذات حدود معترف بها، ما يوفر مساحة مادية حيث يقيم ويتفاعل سكانه المتنوعون.**

٣. **الرموز والمؤسسـات الوطنية: يمتلك العراق رمـوزاً وطنية، مثل العلم، والنشيد الوطني، وشـعار الدولة، فضلاً عن مؤسسات الحكم التي تمثل الدولة العراقية.**

٤. **التحديـات والتطلعـات المشـتركة: عـلى الرغـم مـن الانقسـامات والصراعات الداخلية، يتقاسـم العراقيون تحديات وتطلعات مشـتركة، مثل التنمية الاقتصادية والأمن والعدالة الاجتماعية، التي يمكن أن تعزز الشعور بالتضامن الوطني**[٥٧].

مـع ذلك، فمن الـضروري الاعتراف بأنَّ العراق يواجـه تحديات كبيرة تقف أمام الوحدة الوطنية والتماسك، بما في ذلك التوترات القومية والطائفية، والانقسـامات السياسية، والمنافسات الإقليمية، والتدخل الخارجي، إذ أدى

(57) World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024;
التقريـر الطوعـي الأول حـول أهداف التنمية المسـتدامة– العـراق، (تاريخ الدخـول: ٢٠٢٤, ٠٣, ٠٤) عـ. المولوي ٢٠١٩، ع. الوردي ١٩٩٥: ٢٦٢–٢٧١.

تفتيت المجتمع العراقي على أسس قومية ودينية وطائفية، الذي تفاقم؛ بسبب عقود من الصراع وعدم الاستقرار، إلى إعاقة ظهور هوية وطنية قوية وشاملة ومتماسكة[٥٨].

علاوة على ذلك، فإنَّ مفهوم الأمّة مائع، وليس محلاً للاتفاق بين الجميع، وقد تكون لدى المجموعات المختلفة داخل المجتمع العراقي، تصورات متباينة حول هويتهم الوطنية، وقد يتماهى بعضهم، في المقام الأول، مع مجتمعهم القومي، أو العرقي، أو الديني، أو القبلي، أو الطائفي، في حين قد يتبنى آخرون هوية عراقية وطنية أوسع.

وبرغم أنَّ العراق يمتلك عناصر تساهم في الشعور بالهوية الوطنية، إلّا أنَّ التجزئة والانقسامات داخل مجتمعه تُصعِّب تصنيف السكان العراقيين، بشكل جماعي، على أنَّهم "أمة عراقية"، وإن تحقيق الوحدة والتماسك الوطنيَّين، سيتطلب معالجة المعوقات والمظالم الأساسية، وتعزيز المساواة، لاسيما الشعور المشترك بالمواطنة والانتماء بين جميع شرائح المجتمع العراقي.

بعد أن حاولنا في القسم الأول من البحث الإبحار في فهم الأبعاد الثلاثة، (الثقافة، والدولة، والدين)، وتعريفاتها، وتفاعلاتها، وترابطها مع خصائص الشخصية العراقية، ومكامن الخلل فيها، وحاولنا في القسم الثاني من البحث إتمامها، بالإبحار في فهم الواقع العراقي، وطبيعة الداء العراقية، وتحدياتها السياسية والاجتماعية، وأثر العشائرية والدكتاتورية، وضعف الهوية أو لُحمة الأمّة فيها، سنحاول في القسم الثالث أنْ نقدِّم حزمة من المعالجات والحلول

(58) The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict- Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024.

والدواء، للداء الذي حاولنا استعراضه في القسم الأول والثاني، هذا الدواء سيتكون من ثلاث عشرة طريقة، يمكن أنْ تساعدنا في السير للأمام نحو إصلاح الدولة والمجتمع.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الفصل الثالث

آفاق عدَّة للمستقبل
والطريق نحو التقدم

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

يحمل المسار المستقبلي للشخصية العراقية وعداً بحدوث تحولات ديناميكية في ميزان النفوذ بين الثقافة والدولة والدين، وبينما يستمر المجتمع في مواجهة آثار الصراع والتحولات السياسية، قد نرى تبعاً تحولات مختلفة في ماهية الشخصية العراقية.

إنَّ التوترات الطائفية المستمرة التي ميزت تاريخ العراق الحديث، تحتاج إلى أن تخضع لعملية إعادة تقييم، ومن الممكن أن تساهم الجهود الرامية إلى تعزيز الحكم الرشيد والمصالحة الوطنية، في التخفيف من تأثير الانقسامات الطائفية على الهوية السياسية والثقافية، وقد يشهد المشهد السياسي المتطور ظهور نماذج جديدة، تتحدى هياكل السلطة التاريخية وتقدم رؤى بديلة لحكم الدولة، وقد يعيد القادة والحركات السياسية تعريف العلاقة بين الدين والدولة، ما يؤثر على الطابع العام للمجتمع.

إنَّ الترابط الذي أحدثته العولمة، لديه القدرة على إعادة تشكيل الثقافة العراقية، وقد يؤثر التعرض للأفكار العالمية، ووسائل الإعلام، والترابط الاجتماعي، والتبادلات الثقافية، على الطريقة التي ينظر بها العراقيون إلى هويتهم، وقد يؤدي ذلك إلى توليفة من القيم التقليدية مع التأثيرات العالمية المعاصرة، ما يخلق مشهداً ثقافياً دقيقاً وجديداً ومتعدد الأوجه.

كما أن العوامل الخارجية (إقليمية ودولية)، ولاسيما التأثيرات الاقتصادية والشراكات الدولية، مرشحٌ أن تستمر في تأدية دورٍ حاسمٍ في تشكيل ملامح مستقبل العراق، ويمكن أن تؤثر التنمية الاقتصادية، والاستثمارات،

والعلاقات التجارية، ليس على قدرة الدولة على الحكم فقط؛ بل على الديناميكيات الثقافية والاجتماعية داخل المجتمع أيضاً.

إنَّ انخراط العراق في الدبلوماسية العالمية، قد يشكل تحديات وفرصاً حقيقية معًا، إذ إنَّ التنقل في الديناميكيات الجيوسياسية، وتعزيز التعاون الإقليمي، والمشاركة في المنتديات الدولية، سوف يسهم في تعزيز مكانة العراق على المسرح العالمي، وإنَّ مثل هذه الارتباطات تمتلك القدرة على التأثير على شخصية العراق، بالاتِّكاء على السياسات والتبادلات الثقافية والاجتماعية.

ترتبط آفاق مستقبل الشخصية العراقية، بشكلٍ معقدٍ وجوهري، بقدرة العراقيين على التعامل مع تفاعلات معقدة، بين الديناميكيات الداخلية، والتأثيرات الخارجية. إنَّ التحولات المحتملة في ميزان النفوذ، وتأثير العولمة، يؤكدان الحاجة إلى التفكير المدروس، واتخاذ القرارات الاستراتيجية، حينما يرسم العراق والعراقيون مسارهم نحو التقدم.

بينما يواجه العراقيون تحديات القرن الحادي والعشرين، سوف تستمر الشخصية العراقية في التطور، وتكوين صيرورة خاصة بها، متأثرة بالعديد من العوامل، وسواء أكان ذلك في مجالات السياسة أم الثقافة أم الاقتصادية أم التفاعلات العالمية، فإنَّ المستقبل يحمل، في طياته، شكوكاً وفرصاً لتشكيل هوية، تعكس تطلعات الشعب العراقي، وقدرته على الصمود.

بعد عن تحدثنا بالتفصيل في القسم الأول والثاني عن الداء العراقية، دعونا الآن، في هذا القسم الثالث، نحدد مجموعة من المعالجات (والدواء)، وسنسميها «طريق نحو التقدم» التي يمكن أنْ تُسهمَ كثيراً في تحديد معالم

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

كيفيـة التعـافي، نحو بنـاء دولة ومجتمـع متجانس وفعـال، وقادر عـلى إدارة شؤونه وسيادته بنفسه.

٣-١. الطريق نحو التقدم – فهم الأبعاد الجيوسياسية للعراق:

يُعـدُّ العـراق واحـداً مـن البلـدان ذات الحضـور اللافـت في السـاحة الجيوسياسية الإقليمية والعالمية؛ فهو يشكل محوراً مهماً للتفاعل بين الثقافات والديانـات والـدول في منطقـة الشرق الأوسـط، وتتجلى أبعـاد العلاقة بين الثقافـة والدولـة والدين، بشـكل ملحوظ، في تشـكيل الطابع الجيوسـياسي للعراق، حيث يتعايش فيها التنوع والتضاريس المختلفة بوضوح.

إنَّ فهم العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة: (الثقافة والدولة والدين)، يُمثِّل مفتاحـاً أساسـياً لفهم التحـولات التاريخية والتطورات الجيوسياسـية، التي شـهدها العراق عبر العصور، ويتيح هذا الفهم الشـامل فرصة لاستكشاف تأثـير العوامـل الثقافيـة والدينيـة، في تشـكيل الهويـة الوطنيـة، وتوجهـات السياسات الحكومية، والدور الدولي للعراق في المنطقة والعالم.

في هذا المقطع، سنستكشف الأبعاد الجيوسياسية للعراق، قارئين التحولات التاريخية التي شـكلت العلاقة بين العـراق والدولة الحديثة، فضلًا عن أهمية فهم الجغرافيا السياسـية، والتحديات التي تواجه العراق في ساحة العلاقات الدوليـة، وسنسـلط الضـوء على الحاجـة الملحـة إلى فهم جيوسـياسي كامل للعراق، ودوره في تحديد مساره وتأثيره على مستقبل المنطقة والعالم[1].

(1) Fawcett L. 2023; Preston Z.E. 2000;
«استراتيجية الاتحاد الأوروبي للعراق»، بعثة الاتحاد الأوربي، ٢٠٢١.

٣-١-١. العراق والدولة الحديثة:

إنَّ وصفَ العراق بأنَّه «دولة حديثة» تتمتع بكل سمات الحداثة اللازمة، لكي تسود المواطنة على الأنواع الأخرى من العضوية في المجتمع، أمرٌ معقّد، ويتطلب دراسة متأنِّية لعوامل مختلفة، وبينما خطا العراق خطوات واسعة نحو التحديث في مجالات معيَّنة، مثل تطوير البنية التحتية، والنمو الاقتصادي، والإصلاحات السياسية، فأنه لم يزل يواجه تحديات كبيرة، تؤثر على قدرته على العمل كدولة حديثة بكل جوانبها، ومنها صلاحيات المواطن والدولة ومسؤولياتهم، وهناك بعض العناصر الرئيسة التي يجب مراعاتها لإكمال أركان الدولة الحديثة[٢].

منها: **الحكم الديمقراطي**، إذ شهد العراق تغيرات سياسية كبيرة منذ الإطاحة بنظام صدام حسين في العام ٢٠٠٣، بما في ذلك إنشاء نظام حكم ديمقراطي. ومع ذلك، لا تزال البلاد تتصارع مع قضايا الفساد السياسي، والطائفية، وضعف المؤسسات، ما يقوض فعالية العمليات الديمقراطية، وسيادة القانون.

وكذلك **سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان**، فعلى الرغم من أن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ النافذ، يكرس مبادئ حقوق الإنسان وسيادة القانون، إلا أنَّ مستويات التنفيذ وتطابقه ما زالا متفاوتين[٣].

كما أنَّ **الانقسامات بأنواعها** عنصر مهم آخر، إذ يتميز العراق بانقسامات قومية، وطائفية، وقبلية عميقة الجذور، أثرت تاريخياً على الديناميكيات السياسية، والتماسك الاجتماعي، وتستمر الطائفية والقومية، تحديدًا، في

(2) Fawcett L. 2023; Preston Z.E. 2000.

(٣) مجموعة باحثين ٢٠٢٢، «الاصلاح الدستوري في العراق المشاكل والمقترحات».

تشـكيل التحالفات السياسية، وسياسـات الهوية، ما يعيق الجهود الرامية إلى تعزيز الشعور بالوحدة الوطنية والمواطنة الذي يتجاوز الانتماءات الطائفية.

وهناك أيضاً عنصر **التحديات الأمنية** التي يواجهها العراق، بما في ذلك الإرهـاب والتمـرد والصراع الداخلي، مـا يقوض الاسـتقرار والثقة العامة، كما أنَّ وجود السـلاح المنفلت خارج سـيطرة الدولة، يزيد من تعقيد الجهود الرامية إلى إقامة حكم فعال وسيادة القانون[٤].

فضـلا عـن عنـصر **التنميـة الاقتصاديـة**، فبرغم امتـلاك العـراق موارد طبيعيـة كبيرة، بما في ذلك النفـط والغاز، لكن التنميـة الاقتصادية تعرقلت؛ بسـبب الفسـاد، وسـوء الإدارة، والاعتـماد عـلى عائـدات النفط، ويسـاهم اسـتمرار الفقـر، والبطالة، ونقص الخدمات الأساسـية، في انعدام المسـاواة الاجتماعيـة، والحرمـان من الحقوق، مـا يقوض إمكانيـة المواطنة، ويضعف الشعور بالانتماء[٥].

وأخـيراً هنـاك عنصر **التأثـيرات الإقليميـة والدولية**، ولاسـيما إنَّ موقع العراق الجيوسياسي في الشرق الأوسط، يعرضه لصراعات القوى الإقليمية

(4) Fawcett L. 2023; Pugh C. et al. 2020; Fawcett L. 2023; Pfaff C.A. et al. 2022;

عـ. حميد وعـ. عبدالله. ٢٠٢٠.

(5) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022; International Labour Organization (ILO), "Iraqi Labour Force Survey 2021"; International Energy Agency, "Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future", April 2019; Ebel R.E. 2010; RAND research organization 2023, "Twenty Years After the Iraq War, a Q&A with RAND Experts", published on Mar 21, 2023; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024;

«التقريـر الطوعـي الأول حـول أهـداف التنميـة المسـتدامة- العـراق»، (تاريـخ الدخـول: ٠٤, ٠٣, ٢٠٢٤) عـ. المولوي ٢٠١٩.

Al-Rewaq Publishing House

والتدخل الخارجي، الأمر الذي يمكن أن يعقِّد الجهود الرامية إلى تأكيد السيادة، والسعي إلى المصالح الوطنية المستقلة. إنَّ تأثير الدول المجاورة، والقوى العالمية، من العوامل المؤثرة والمستمرة على تشكيل السياسة الداخلية، والبيئة الأمنية في العراق[٦].

على الرغم من أنَّ العراق أحرز تقدماً نحو التحول الديمقراطي منذ سقوط نظام صدام حسين، فإنَّه لا يزال يواجه تحديات هائلة تعيق تحقيق المواطنة، بوصفها الشكل السائد للعضوية في المجتمع، وسيتطلب التغلب على هذه التحديات، بذل جهود متواصلة لتعزيز المؤسسات الديمقراطية، وتعزيز حقوق الإنسان وسيادة القانون، وترسيخ مبدأ المواطنة بحقوقها وواجباتها، ومعالجة الانقسامات الطائفية، وتعزيز التنمية الاقتصادية الشاملة، فضلًا عن ذلك، سوف يتطلب الأمر التعامل مع ديناميكيات إقليمية معقدة وتأكيد سيادة العراق على الساحة الإقليمية والدولية[٧].

٣-١-٢. الحاجة إلى فهم جيوسياسي كامل:

إن فهم المشهد الجيوسياسي للعراق، ليس مجرد مسألة ذات أهمية أكاديمية للقادة العراقيين، إنَّه ضرورة أساسية لإدارة شؤون الدولة بشكل فعال، ومواجهة التحديات المعقدة التي يواجها العراق، إذ إنَّ السردَ الذي يشرح

(6) Fazil S. & Tartir A. 2023; Héau,L. et al. 2023; Fawcett L. 2023; Preston Z.E. 2000;

عـ. حميد وعـ. عبدالله ٢٠٢٠.

(7) Preston Z.E. 2000; World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; Pfaff C.A. et al. 2022; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024.

لماذا يحتاج القادة العراقيون إلى فهم كامل لجغرافيتهم الجيوسياسية؛ يمتدُّ بجذوره إلى الترابط بين الديناميكيات الإقليمية والعالمية، التي تؤثر مباشرةً على استقرار العراق وأمنه وازدهاره.

يقع العراق الاستراتيجي على مفترق طرق الشرق الأوسط، وهي منطقة تتميز بالمنافسات الجيوسياسية والصراعات والتحالفات المتغيرة، ويتعين على القادة العراقيين أن يستوعبوا الشبكة المعقدة من ديناميكيات القوى الإقليمية، والموروثات التاريخية، والاتجاهات المعاصرة، لصياغة سياسات خارجية مستنيرة، وتوقع التهديدات المحتملة وإدارة مخاطرها، ومن جهة أخرى اغتنام فرص التعاون.

في هذا الشأن، فإنَّ أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل الفهم الجيوسياسي أمراً بالغ الأهمية بالنسبة للقادة العراقيين، هو تاريخ المنطقة الحافل بالتدخلات، والنفوذ الخارجي، والحروب، والنزاعات المسلحة، والاضطرابات السياسية؛ ولقد شهد العراق، بشكل مباشر، تداعيات المناورات الجيوسياسية، التي أجرتها الحكومات العراقية السابقة، وكذلك الدول المجاورة، والقوى العالمية، والجهات الفاعلة غير الحكومية، إنَّ فهم هذه الديناميكيات يساعد القادة العراقيين على مواجهة التحديات الدبلوماسية، وحماية السيادة الوطنية، وإقامة تحالفات وعلاقات تخدم مصالح العراق، من دون المساس باستقلاله؛ وهنا من المهم أن نسعى إلى الحصول على إجابة لسؤال عن تأثير الجغرافيا السياسية للعراق على الشخصية العراقية؛ لأنها ستساعد على فهم نمط بعض الأزمات التي نمر بها، لاسيما تلك المرتبطة بدول الجوار أو الدول الكبيرة[٨].

(8) Pfaff C.A. et al. 2022; Preston Z.E. 2000.

كما يؤدّي الوعي الجيوسياسي، أيضاً، دوراً محورياً في إدارة البيئة الأمنية في العراق، وتواجه البلاد تهديدات أمنية متنوعة، بما في ذلك الإرهاب والتمرد والصراعات الإقليمية، إذ إنَّ الفهمَ الدقيق لخطوط الصدع الجيوسياسية، والشبكات العابرة للحدود الوطنية، وديناميكيات بعض الدول بتفعيل وكلاء لهم، يسمحُ للقادة العراقيين بوضع استراتيجيات فعالة لمكافحة الإرهاب، وأمن الحدود، والتعاون الدفاعي، مع التخفيف من مخاطر زعزعة الاستقرار.

علاوة على ذلك، فإنَّ التنمية الاقتصادية، وأمنَ الطاقة في العراق، يرتبطان بصورة وثيقة بموقعه الجيوسياسي، بوصفه خزيناً ومنتجاً ومصدراً رئيساً للطاقة، فإنَّ اقتصاد العراق عرضة لأسواق الطاقة العالمية، وسلاسل التوريد الإقليمية، والتوترات الجيوسياسية، التي تؤثر على أسعار النفط والغاز وتدفقات الاستثمار، ما يجعل القادة العراقيون محتاجين إلى إدارة دبلوماسية الطاقة، وتنويع الاقتصاد، وجذب الاستثمارات الأجنبية مع الموازنة بين الأولويات المحلية والتبعيات الخارجية[9].

كما أنَّ الفهم الجيوسياسي يؤثر أيضاً على ارتباطات العراق الإقليمية والدولية، وسواء أكان ذلك في المبادرات الدبلوماسية، أو الاتفاقيات التجارية، أو المنتديات المتعددة الأطراف، فيتعين على الزعماء العراقيين أن يعبّروا بوضوح عن مصالح العراق، وأن يبنوا شراكات استراتيجية،

(9) Pfaff C.A. et al. 2022; Preston Z.E. 2000; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024; World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; Ebel R.E. 2010; International Energy Agency, "Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future", April 2019.

ويدافعوا عن السياسات التي تعمل على تعزيز السلام والاستقرار والرخاء المتبادل، وهذا لا يتطلب فهم المصالح الجيوسياسية فحسب، بل يتطلب، أيضاً، إظهار العراق بوصفه لاعباً بناءً وموثوقاً على الساحة الإقليمية ومن ثم الدولية[١٠].

في جوهر الأمر، يؤكد هذا السرد أنَّ القادة العراقيين لا يستطيعون العمل بمعزل عن الآخرين، أو مع التركيز الضيق على الشؤون الداخلية وحدها، كما أنَّ الحقائق الجيوسياسية تشكل أمن العراق واقتصاده ودبلوماسيته وآفاقه على المدى الطويل؛ لذلك، فإنَّ الفهم الشامل للجغرافيا السياسية، ليس مجرد ميزة استراتيجية، بل شرط أساس للحكم الفعال، واتخاذ القرارات الاستراتيجية، وحماية المصالح الوطنية للعراق في عالم معقد ومترابط[١١].

فيما يلي استشراف أكثر تفصيلاً لكيفية تأثير العوامل الإقليمية والجيوسياسية على العراق:

١. **الصراعات والتدخلات بالوكالة والتنافس بين إيران وتركيا والسعودية: كثيراً ما وقع العراق في مرمى نيران التنافس الإقليمي الأوسع بين إيران والسعودية وتركيا، وتسعى البلدان الثلاثة إلى ممارسة نفوذها في العراق، بوساطة القنوات السياسية والاقتصادية والطائفية والاعلامية، ما يؤدي إلى تفاقم الانقسامات الداخلية والافتقار إلى الاستقرار على المستوى الداخلي والإقليمي[١٢].**

(10) Fawcett L. 2023.

(11) Pfaff C.A. et al. 2022.

(12) The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024; Fawcett L. 2023.

٢. المجموعات الإقليمية بالوكالة: تدعم جهات فاعلة إقليمية مختلفة الجماعات المسلحة والميليشيات بالوكالة في العراق، ما يزيد من تعقيد الوضع الأمني، وكثيراً ما تعمل هذه الجماعات وفقاً لأجنداتها الخاصة، ما يؤدي إلى العنف، وانعدام الأمن، وتحديات للحكومة العراقية في الحفاظ على سيطرتها على أراضيها(١٣).

٣. امتداد الصراع السوري: كان للصراع السوري، والحرب الأهلية فيها، آثارٌ مباشرةٌ على العراق، بما في ذلك تدفق اللاجئين، وانتشار التطرف، وزعزعة استقرار المناطق الحدودية وهشاشتها، ولقد سلط وجود عصابات داعش الإرهابية في كل من العراق وسوريا الضوء، على ترابط التهديدات الأمنية في المنطقة(١٤).

٤. المسألة الكردية والديناميكيات الإقليمية: لدى المنطقة الكردية في العراق، وسلطة الإقليم في كردستان، تطلعات لمزيد من الحكم الذاتي أو الاستقلال، الأمر الذي له آثار على الاستقرار الإقليمي، وتثير إمكانية الاستقلال الكردي مخاوف بين الدول المجاورة التي تضم عدداً كبيراً من السكان الأكراد، مثل تركيا وإيران وسوريا، ما يؤدي إلى التوترات وزعزعة الاستقرار المحتملة.

٥. النفوذ والتواجد الأمريكي: أعاد الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للعراق في العام ٢٠٠٣، والاحتلال اللاحق له تشكيل المشهد الجيوسياسي الإقليمي، إذ إنَّ وجود المستشارين الأمريكيين في العراق،

Al-Rewaq Publishing House

---

(١٣) صندوق الأمم المتحدة للإسكان ٢٠١٨، «الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي ٢٠٣٠ – ٢٠١٨"؛ حـ. بوزارسلان ؛٢٠١٥ د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

(14) UNHCR Iraq situation overview, (Entry date: 09/03/2024); Pugh C. et al. 2020; Fawcett L. 2023.

فضلاً عن العمليات العسكرية المستمرة والمساعدة الأمنية، له آثار على ديناميكيات الأمن الإقليمي وتصورات السيادة العراقية[١٥].

٦. ديناميكيات القوى الإقليمية: تسعى دول الخليج، مثل: قطر والكويت والسعودية والإمارات، إلى التأثير على التطورات في العراق أيضاً، وتعكس ارتباطاتهم السياسية والاقتصادية والدبلوماسية في العراق، جهوداً أوسع لتأكيد النفوذ الإقليمي، وموازنة النفوذ الإيراني، أو التركي في المنطقة.

٧. سياسة النفط والطاقة: إنَّ احتياطيات العراق النفطية والغازية الهائلة، تجعله ذا دورٍ مهمٍّ في أسواق الطاقة العالمية، كما إنّ المنافسة القائمة للسيطرة على موارد النفط والغاز، فضلاً عن النزاعات حول طرائق التصدير والإيرادات، لها آثار جيوسياسية، ويمكن أن تؤدي إلى تفاقم التوترات الإقليمية.

٨. الجهود الإقليمية لمكافحة الإرهاب: على الرغم من المنافسات الإقليمية،

(15) Baker III J.A., &. Hamilton L.H. 2006; Mohammed Shia al-Sudani: "Iraq Needs a New Kind of Partnership with the United States- The Path to Sustainable Cooperation", Foreign Affairs Magazine - April 11, 2024; Bluedorn J. & Koranchelian T. 2023; The United States Institute of Peace 2019, "After ISIS, Stability in Iraq Requires Addressing its Fragility. Unless Iraq can repair its torn social fabric, expect the return of the Islamic State", published on Monday, May 20, 2019; The United States Institute of Peace 2020, "The Current Situation in Iraq- Fact Sheet", published on August 4, 2020; RAND research organization 2023, "Twenty Years After the Iraq War, a Q&A with RAND Experts", published on Mar 21, 2023; Strategies (think tank) 2019, "The Future of Iraq's Stability, The Political, Economic, and Security Levels", published on February 12, 2019; Cordesman A.H. 2020; Mawlawi al- A. Mawlawi al- M. 2024; NATO, "Mission Iraq", Last updated: 27 May. 2024.

تـدرك دول الـشرق الأوسـط التهديـد المشـترك المتمثـل في الإرهـاب والتطرف، وقد أدت الجهود التعاونية لمكافحة عصابات داعش الإرهابية والجماعـات المتطرفة الأخرى، إلى شراكات ومبادرات إقليمية تهدف إلى تعزيز التعاون الأمني.

٩. التفاعل بين الطائفية والجغرافيا السياسية: تتقاطع الانقسامات الطائفية، تحديدًا بين المسـلمين السـنة والشـيعة، مع الجغرافيا السياسية الإقليمية، وكثيراً ما تسـتغل القـوى الإقليمية التوترات الطائفيـة في العراق لتعزيز مصالحهـا الخاصـة، ما يـؤدي إلى تفاقـم الصراعـات الداخليـة، وإعاقة الجهود الرامية إلى تحقيق المصالحة الوطنية.

١٠. الجهود الدبلوماسـية والوسـاطة الإقليمية: تـؤدّي المنظمات الدولية والجهـات الفاعلة الإقليمية، مثل الأمـم المتحدة وجامعة الدول العربية، أدواراً في التوسـط في النزاعات وتسـهيل الجهود الدبلوماسية في العراق، وتهـدف هـذه المبـادرات إلى تعزيـز الاسـتقرار والحـوار والتعـاون بـين أصحاب المصلحة الإقليميين[١٦].

١١. التأثـير على سـيادة العراق واسـتقلاله: "تحديات السـيادة» كثيرًا ما تُختبر سـيادة العراق واستقلاله بوساطة التدخلات الخارجية والإقليمية، إذ إنَّ تحقيـق التـوازن بـين المصالـح الوطنيـة للعـراق، والديناميكيـات الإقليمية، يمثل تحديات لصانعي السياسات والقادة العراقيين.

١٢. العوامـل الإقليميـة والجيوسياسـية: التنافـس بـين القـوى الكبرى نفسها، وكذلك بين القوى الكبرى ودول المنطقة المؤثرة، وتأثيرات ذلك على العراق.

(16) Fawcett L. 2023;

بإيجاز، تؤثر الديناميكيات الإقليمية والجيوسياسية كثيرًا على استقرار العراق الداخلي وأمنه وسيادته، وإن الترابط بين هذه العوامل يؤكد الحاجة إلى حوار شامل، ومشاركة دبلوماسية، وجهود تعاونية بين أصحاب المصلحة الإقليميين؛ لتعزيز السلام والاستقرار والتنمية في العراق والشرق الأوسط الكبير[١٧].

٣-٢. الطريق نحو التقدم - العمل الجماعي:

إحدى أهم التحديات الاجتماعية التي تواجهها مسيرة الإصلاح، هي تنمية خصلة العمل الجماعي، التي تعني أنَّ على العراقيين أنْ يفكروا ويتصرفوا بوصفهم مجموعات وفرقًا، وليس كأفراد من أجل تنمية بلدهم معاً.

إنَّ التفكيرَ والعمل بهيأة مجموعات وفرق، وليس بوصفهم أفرادًا، أمرٌ بالغ الأهمية لتنمية العراق على جبهات عدة، ما يعكس سرداً متجذراً بعمق في التطلعات والتحديات الجماعية التي تواجه الأمّة، ويمكن إيجاز إيجابياته بالآتي:

- **العمل الجماعي بأكثر فاعلية: فالمشهد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المعقد في العراق، يتطلب جهوداً متضافرة وتعاوناً بين مجموعات متنوعة، وبالاجتماع معاً بوصفها فرقًا متماسكة، يستطيع العراقيون تجميع مواهبهم ومواردهم وخبراتهم لتحقيق أهداف مشتركة، مثل النمو الاقتصادي، وتطوير البنية التحتية، والتقدم الاجتماعي. ويسمح**

(17) Pfaff C.A. et al. 2022; Fawcett L. 2023.

هـذا النهج التعاوني بتسـخير الذكاء الجماعـي والابتـكار والتعاضد، ما يؤدي إلى حلول أكثر فعالية للمشكلات المعقدة[١٨].

- القوة بالوحدة: تعمل الوحدة والتضامن بين الفئات المختلفة، على تعزيز التماسك الاجتماعي والهوية الوطنية، وعلى الرغم من أنَّ التنوع في العراق يشكل مصدر قوة، إلا أنَّه يمكن أن يكون مصدراً محتملاً للانقسام أيضاً؛ إذا لم يُـدرْ بفاعليـة، وبالتأكيـد على العمـل الجماعي. يسـتطيع العراقيون سـد الانقسـامات القومية والدينية والطائفيـة، وتعزيز التفاهـم المتبادل والتسـامح واحترام التنوع، ويضع هذا النهج الشـامل الأساس لمجتمع متناغـم، يشـعر فيه جميع المواطنين بالتقدير والإدمـاج في رحلة التنمية في البلاد.
- المرونـة والديناميكيـة: يعـزز العمـل الجماعـي والتعـاون المرونـة، وبناء القـدرات عـلى المسـتويين الفـردي والمجتمعـي، وبالعمل معـاً لتحقيق أهـداف مشـتركة، يسـتطيع العراقيون بناء مؤسسـات أقوى، وتحسـين ممارسـات الحكم، ومعالجة التحديات النظاميـة بفعالية أكبر، وتمتد هذه العقليـة التعاونيـة، أيضـاً، إلى الاسـتعداد للكوارث، وحـل النزاعات، وإدارة الأزمـات، إذ يمكـن للجهود المنسـقة أنْ تخفـف المخاطر، وتعزز قدرة الدولة على تحمل الصدمات الخارجية.
- ملكيـة مصيرهم: فإنَّ التفكير والعمل بهيأة مجموعات وفرق، يتوافق مع مبادئ الديمقراطية التشـاركية والمشـاركة المدنية، فهـو يُمكّن المواطنين مـن تولي ملكيـة مصيرهم الجماعي، والمشـاركة في عمليات صنع القرار،

(١٨) آ. براون ٢٠١٧.

ومحاسبة من هم في مناصب السلطة، ويعزز هذا النهج التصاعدي للتنمية الشعور بالقوة والتمكين بين العراقيين الاعتياديين، ما يساهم في إيجاد إطار حكم أكثر شمولاً واستجابة.

- التطور الاقتصادي: يمكن للمبادرات التعاونية بين الشركات، ورجال الأعمال، والهيئات الحكومية، أنْ تحفز الابتكار، وأنْ تخلق فرص العمل، وأنْ تجذب الاستثمارات، ويتيح العمل الجماعي تبادل أفضل الممارسات، ونقل المعرفة، والمشاريع المشتركة، التي تدفع النمو الاقتصادي، والقدرة التنافسية في الأسواق العالمية.
- القوة في التنوع: العراق أمة متنوعة تضم أعراقاً وأدياناً وثقافات مختلفة، وإنَّ تبني العمل الجماعي يسمح للعراقيين بالإفادة من هذا التنوع، بعدِّه مصدر قوة، وليس مصدراً للانقسام، وتجمع الجهود التعاونية بين وجهات نظر وخبرات ومهارات مختلفة، ما يعزز الإبداع والابتكار والمناهج الشاملة لحل المشكلات.
- المسؤولية المشتركة: تتطلب التنمية المسؤولية والالتزام الجماعيين، عندما يجتمع الأفراد في مجموعات أو فرق، فإنهم يتقاسمون عبء التحديات، ويعملون بشكل جماعي من أجل إيجاد الحلول، وتخلق هذه المسؤولية المشتركة شعوراً بالملكية والمساءلة، وتشجع المشاركة النشطة والانخراط في أنشطة بناء الدولة.
- الاستعمال الفعال للموارد: تعد الموارد المحدودة، سواء أكانت مالية أم بشرية أم طبيعية، من التحديات الشائعة التي تواجهها البلدان النامية، وبالتعاون وتجميع الموارد، يستطيع العراقيون تحسين استعمالها بشكل

دار الرواق للطباعة والنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

أكثر كفاءة، وتترجم هذه الكفاءة إلى تطوير أفضل للبنية التحتية، وتحسين الخدمات العامة، وتعزيز الإنتاجية الاقتصادية.

- بناء الثقة ورأس المال الاجتماعي: العمل الجماعي يعزز الثقة والتعاون ورأس المال الاجتماعي داخل المجتمعات وعبر المجتمع. تعد الثقة عنصراً أساسياً للشراكات الناجحة والمشاريع التجارية والعلاقات بين الحكومة والمواطنين، ويؤدي رأس المال الاجتماعي القوي، إلى تحسين التواصل والتعاون والدعم المتبادل، ما يضع الأساس للتنمية المستدامة والقدرة على الصمود.
- تمكين المبادرات المحلية: تمارس المبادرات الشعبية، والمشاريع المجتمعية، دوراً حيوياً في تلبية الاحتياجات المحلية، وتعزيز التنمية الشاملة، يؤدي العمل الجماعي هذه المبادرات بتوفير منصة للتواصل، ومشاركة الموارد والوصول إلى الخبرات، فهو يمكّن المجتمعات من قيادة التغيير الإيجابي من القاعدة إلى القمة، بما يتناسب مع سياقاتها وأولوياتها المحددة.
- تعزيز المشاركة المدنية: المشاركة النشطة في الأنشطة الجماعية والعمل الجماعي، تعزز ثقافة المشاركة المدنية، والقيم الديمقراطية. عندما يعمل المواطنون معاً لتحقيق أهدافٍ مشتركة، فإنَّهم يصبحون أكثر استشاراً في العملية الديمقراطية، والدفاع عن حقوقهم، ومحاسبة صناع القرار، وتعزز هذه المشاركة المؤسسات الديمقراطية، وتعزز ممارسات الحكم الرشيد.
- التكيف مع التحدي العالمي: في عالم مترابط بشكل متزايد، تتطلب التحديات العالمية، مثل تغير المناخ، وتهديد انتشار الأوبئة، والتحولات

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الاقتصادية، استجابات تعاونية ومنسقة، وبالتأكيد على العمل الجماعي والشراكات على المستوى الوطني، يستطيع العراقيون التغلب على هذه التحديات بصورة أفضل، والوصول إلى الخبرات والموارد الدولية، والمساهمة في الجهود العالمية لتحقيق التنمية المستدامة، والقدرة على الصمود[١٩].

بإيجاز، يؤكد سرد التفكير والعمل بمجموعات وفرق، على الترابط بين الجهود الفردية، والأهداف المجتمعية الأوسع، ويؤكد على قوة العمل الجماعي، والتضامن في التغلب على التحديات، وبناء القدرة على الصمود، وتوجيه العراق نحو مستقبل من الرخاء والسلام والتنمية المستدامة، وبصفة عامة، فهو تجسيد لنهجٍ شاملٍ للتنمية، يعطي الأولوية للتعاون والمساواة والرخاء المشترك، وهو يعكس الاعتراف بالترابط بين الأفراد والمجتمعات والمؤسسات، في تشكيل مسار العراق الحالي والمستقبلي، مع التركيز على العمل الجماعي من أجل التغيير الإيجابي[٢٠].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

(19) World Food Programme, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019; International Monetary Fund International Monetary Fund, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024;

التقرير الطوعي الأول حول أهداف التنمية المستدامة – العراق"، (تاريخ الدخول: ٢٠٢٤, ٠٣, ٠٤) عـ. المولوي ٢٠١٩.

(20) Deng C. et al.; Sandell K. 2012; "What is transformational leadership? Understanding the impact of inspirational guidance", University of Massachusetts Global, (Entry date: 05.05.2024); Karimi S. et al. 2023; "The Transformational Leadership Report", TL Publications 2007, (Entry date: 05.02.2024);

آ. براون .٢٠١٧

٣-٣. الطريق نحو التقدم – دول الجوار، أصدقاء وشركاء أم ماذا؟

علاقة البلدان مثل العراق مع دول الجوار، تعدُّ ـ عادةً ـ من أهم العوامل التي تؤثر على الاستقرار والأمن في المنطقة. في الواقع، يمكن أنْ يكون التوتر بين الدول وجيرانها حالة طبيعية نتيجة لكثير من العوامل الجيوسياسية والتاريخية والثقافية.

تتنوع طبيعة العلاقات بين البلدان وجيرانها بشكل كبير، فقد تتراوح بين التعاون الوثيق والتبادل الاقتصادي الناجح، وبين التوتر والصراع المستمر، وهناك عوامل مثل الحدود الجغرافية، والموارد الطبيعية، والدين، والقومية، والتاريخ، والسياسة الداخلية تؤدّي جميعها دوراً مهماً في تشكيل هذه العلاقات.

في حالة العراق نلاحظ بأن التوتر مع بعض دول الجوار يمكن أن يكون نتيجة للخلافات الحدودية، أو الصراعات السياسية والدينية أو الطائفية، أو التنافس على الموارد، أو تأثيرات النزاعات الإقليمية أو الدولية. ومع ذلك هناك جوانب إيجابية أيضاً في العلاقات بين العراق وجيرانه، مثل التبادل التجاري والتعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية.

دار وفكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٣-٣-١. أسباب استمرار التوتر مع دول الجوار:

عند مراجعة التاريخ المعاصر لطبيعة علاقات العراق مع دول الإقليم، يجد العراقيون صعوبة في التعاطف مع الدول الأخرى، ولاسيما الدول المجاورة؛ بسبب مجموعة متنوعة من العوامل، التي تشكلها الديناميكيات التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، منها:

- الصراعات التاريخية: للعراق تاريخ طويل من الصراعات والتوترات مع الدول المجاورة له، بما في ذلك إيران وتركيا وسوريا والكويت، هذه الصراعات التي كثيرًا ما تغذيها النزاعات الإقليمية، والمنافسات السياسية، والتوترات القومية والعرقية، أو الطائفية، يمكن أنْ تخلق عداوات عميقة، وتضعف الثقة بين الدول، ما يجعل من الصعب على الأفراد التعاطف مع الناس من البلدان المجاورة.
- المنافسة الجيوسياسية: موقع العراق الجيوسياسي في الشرق الأوسط، صيّره ساحة معركة لصراعات القوى الإقليمية والمنافسات، وقد أدى التنافس على النفوذ بين الدول المجاورة، والجهات الفاعلة الخارجية، إلى تفاقم التوترات، وعرقلة الجهود الرامية إلى بناء التفاهم والتعاون المتبادل، وهذا السياق الجيوسياسي يمكن أن يعزز، بين العراقيين، الشعور بالشك والعداء تجاه الدول المجاورة.
- القومية والهوية: تؤدّي القومية والهوية الوطنية دوراً مهماً في تشكيل المواقف تجاه الأمم الأخرى، القومية العراقية التي كثيرًا ما تكون متجذرة في الروايات التاريخية، والذكريات الجماعية للصراعات والصراعات الماضية، قد تؤكد على الفخر بإنجازات الأمّة، وقدرتها على الصمود، بينما تعزز تصورات «الآخر» تجاه البلدان المجاورة، هذا الشعور بالهوية الوطنية، ويمكن أن يجعل من الصعب على الأفراد التعاطف مع تجارب ووجهات نظر الأشخاص من الدول الأخرى.
- الإعلام والدعاية: إنَّ تصوير الدول المجاورة في وسائل الإعلام والخطاب العام، يمكن أن يؤثر على التصورات والمواقف تجاهها، وقد تسهم الصور النمطية السلبية، والتقارير المتحيزة، والدعاية، في تجريد

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الأشخاص من البلدان المجاورة من إنسانيتهم، ما يجعل من الصعب على العراقيين التعاطف مع تجاربهم ونضالاتهم.

- المخاوف الأمنية: واجه العراق تحديات أمنية، بما في ذلك الإرهاب والتمرد، التي ارتبطت بديناميكيات داخلية وخارج حدوده، وإن تصورات التهديدات الصادرة عن الدول المجاورة، سواء أكانت حقيقية أم متصورة، يمكن أن تؤجج المخاوف والقلق بين العراقيين، ما يزيد من صعوبة التعاطف مع الناس من تلك الدول.
- الانقسامات العرقية والقومية والطائفية: العراق بلد متنوع يضم مجموعات عرقية وقومية وطائفية متنوعة، بعضها لديه روابط قرابة، أو روابط تاريخية مع مجتمعات في البلدان المجاورة، ويمكن للانقسامات القومية أو العرقية أو الطائفية داخل العراق نفسه، أن تمتد إلى تصورات الدول المجاورة، ما يزيد من تعقيد الجهود الرامية إلى تعزيز التعاطف والتفاهم عبر الحدود.
- المنافسات السياسية: يمكن للتنافسات السياسية، والتوترات بين الحكومات في العراق والدول المجاورة، أن تشكل التصورات والمواقف العامة تجاه تلك الدول، ويمكن للنزاعات الدبلوماسية، والصراعات الحدودية، والمصالح الإقليمية المتنافسة، أن تسهم في خلق مناخ من انعدام الثقة والعداء، ما يجعل من الصعب على الأفراد التعاطف مع الناس من البلدان المجاورة.
- المنافسة الاقتصادية: إنَّ ظهور الصراعات على الموارد، يمكن أن يؤدي إلى توتر العلاقات بين الدول المجاورة، وقد تؤدي النزاعات حول الموارد

دار وهدف الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الطبيعيـة، أو طرق التجارة، أو الفرص الاقتصادية، إلى زيادة التوترات، وتعزيز الشـعور بالتنافـس بين الدول، كما يمكن لهـذا البعد الاقتصادي أنْ يؤثـر عـلى التصورات، فيصير مـن الصعب عـلى العراقيين التعاطف مع الأشـخاص مـن الدول المجـاورة، التي يُنظـر إليها على أنَّها منافسـة اقتصادياً.

- الاختلافـات الثقافية: قد يسـاهم الاختلاف الثقافي بـين العراق والدول المجاورة له، في سـوء الفهم والعوائق التي تحول دون التعاطف، ويمكن للاختلافات في اللغة والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، أنْ تخلق انقسـامات ثقافية، تعيق التفاعـل والتفاهم الهادف بين الناس، من الأمم والأقـوام المختلفـة، ويمكن للقوالـب النمطية، أو المفاهيـم الخاطئة عن الممارسات الثقافية في البلدان المجاورة، أنْ تزيد من تعقيد الجهود المبذولة للتعاطف مع وجهات نظرهم.
- الإرث الاسـتعماري: يمتـاز العـراق، مثـل العديـد مـن بلـدان الـشرق الأوسـط، بتاريخ استعماري، شكلته القوى الأوروبية، إذ ترك الاستعمار والإمبرياليـة إرثـاً من الاسـتياء، وانعدام الثقـة تجاه القوى الاسـتعمارية السـابقة، فضـلاً عن البلـدان المجاورة التـي يُنظر إليها على أنَّهـا متعاونة أو مسـتفيدة من الحكم الاسـتعماري، ومن الممكن أن يساهم هذا الإرث التاريخي، في خلق مواقف وتصورات سلبية، تعيق التعاطف والمصالحة.
- قضايـا الحدود: يمكن للنزاعات الحدوديـة، أو المطالبات الإقليمية التي لم تُحـل بين العراق والـدول المجاورة له، أن تسـاهم في التوترات، وتعيق التعاطف، وقد تؤدي القضايا الحدودية المثيرة للجدل، إلى تأجيج المشاعر القوميـة والطموحـات الإقليمية، مـا يُصعبُ على الأفـراد التعاطف مع

وجهات نظر، أو اهتمامات الأشخاص من الدول المجاورة، المتورطين في مثل هذه النزاعات.

- التدخل الخارجي: التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للعراق وجيرانه، يمكن أن يؤدي إلى تفاقم انعدام الثقة والعداء بين الدول، كما تؤدي تصورات التدخل أو التلاعب الخارجي، إلى تعزيز الاستياء والمقاومة، ما يُصعِّب على العراقيين التعاطف مع تجارب الناس أو كفاحهم، من البلدان التي يُنظر إليها على أنها عوامل للتدخل الأجنبي.
- الصدمة والصراع: يمكن أن تساهم الصراعات وأعمال العنف المستمرة في المنطقة، بما في ذلك في البلدان المجاورة، في حدوث صدمة جماعية، وتقليل الحساسية تجاه معاناة الآخرين، وقد يؤدي التعرض لمُدد طويلة للصدمات المرتبطة بالصراع، إلى اللامبالاة تجاه تجارب الناس في الدول المجاورة، ما يجعل من الصعب التعاطف مع محنتهم[٢١].
- حواجز اللغة: يمكن أن تخلق حواجز اللغة تحديات في التواصل، وتمنع التفاهم بين الثقافات بين العراقيين والأشخاص من البلدان المجاورة، فالكفاءة المحدودة في اللغات الأجنبية المستعملة في الدول المجاورة، قد تعيق الحوار الهادف، والتواصل بين الأشخاص، ما يحد من فرص التعاطف والتفاهم المتبادل.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

بتصوّر عام، فإن الاستقرار في المنطقة، يعتمد على قدرة العراقيين على إدارة الصراعات بشكل بنَّاء، والعمل على تعزيز التعاون والتفاهم المشترك،

(٢١) مـ. الشناوي ٢٠١٢.

لاسيما مع دول الجوار، ومن المهم، أيضاً، النظر إلى العلاقات الدولية بشكل شامل، وتوجيه الجهود نحو بناء جسور الثقة، وتعزيز الحوار المفتوح، لحل النزاعات، وتعزيز السلم والاستقرار في المنطقة[٢٢].

ويتطلب التصدي للتحديات التي تواجه التعاطف والتفاهم بين العراقيين والدول المجاورة لهم، بذل جهود للتغلب على المظالم التاريخية، وتعزيز الحوار والمصالحة، وتحدي الصور النمطية والأحكام المسبقة، وتعزيز الاحترام المتبادل والتعاون، ومن الممكن أن يساهم بناء جسور التعاطف والتفاهم، في تحقيق الاستقرار الإقليمي والسلام والازدهار في الشرق الأوسط.

٣-٣-٢. مقترحات ومعالجات لظاهرة التوتر مع دول الجوار:

فيما يلي بعض الحلول والاقتراحات لمعالجة مشكلة التوتر المستمر مع دول الجوار، وهي عميقة الجذور:

١. برامج التبادل الثقافي والتعليمي وإصلاح المناهج التعليمية: تسهيل برامج التبادل الثقافي، والمبادرات التعليمية، والتبادلات الشعبية، بين العراق والدول المجاورة له؛ ويمكن لهذه البرامج أن تعزز قدراً أكبر من الألفة، والتعاطف، والتقدير، لثقافات وتقاليد ووجهات نظر بعضنا؛ أما بخصوص الإصلاح، فهنا نعني صياغة المناهج التعليمية؛ لتشمل دروساً حول التاريخ الإقليمي، والجغرافيا، والتنوع الثقافي، وما استجد من إصلاحات في تطوير مناهج التعليم، مع التركيز على تعزيز التعاطف

(٢٢) «استراتيجية الاتحاد الأوروبي للعراق»، بعثة الاتحاد الأوربي، ٢٠٢١.

والتسامح والتفاهم مع الدول المجاورة، لتشجيع التفكير النقدي والانفتاح، لمواجهة الصور النمطية والأحكام المسبقة[٢٣].

٢. تعزيز الحوار بين الطوائف والمجتمعات والتمسك بالتعددية: التواصل عبر الحدود بالتأكيد على القيم المشتركة، والاحترام المتبادل، وأهمية التعددية الدينية في تعزيز الانسجام والتفاهم بين المجموعات السكانية المتنوعة، من جانب آخر يمكن _ جدًا _ تعزيز التعددية وأطر التعاون الإقليمي، بتعزيز الحوار، وتدابير بناء الثقة، وآليات حل النزاعات بين البلدان المجاورة، وتشجيع المشاركة في المنظمات والمنتديات الإقليمية لمعالجة التحديات والمعوقات، وتعزيز المصالح المشتركة.

٣. الإعلام والدبلوماسية العامة: تعزيز الروايات الإيجابية، والتصوير الدقيق للدول المجاورة في وسائل الإعلام والخطاب العام، ومكافحة الصور النمطية السلبية، والمعلومات المضللة، والدعاية التي تغذي انعدام الثقة والعداء، وبدلاً من ذلك تسليط الضوء على القواسم المشتركة، والتاريخ المشترك، ومجالات التعاون.

٤. الشراكات الاقتصادية عبر الحدود: تعزز الشراكات التجارية، ومشاريع تطوير البنية التحتية التي تعود بالنفع على العراق والدول المجاورة له، ويمكن للترابط الاقتصادي أنْ يخلقَ مصالح متبادلة، وحوافز للتعاون بينما يساهم في الرخاء والتنمية المشتركة.

٥. المسار الأول الدبلوماسية: هنا نقصد بزيادة المفاوضات الرسمية المباشرة بين الحكومات التي يجريها، عموماً، ممثلون رسميون، مثل رؤساء

(٢٣) «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

الـدول، أو وزراء الخارجيـة، أو الوفـود الحكوميـة الرسـمية، وتتضمن دبلوماسية المسـار الأول: اتخاذ قرارات رفيعة المستوى، وإبرام اتفاقيات رسمية بين الدول، وكثيرًا ما يحدث ذلك بالقنوات الدبلوماسية القائمة، مثل السفارات والقنصليات، وعبر المنظمات الدولية.

٦. المسـار الثاني للدبلوماسـية ومبادرات المجتمع المدني: دعم جهود المسـار الثاني للدبلوماسـية، ومبادرات المجتمـع المدني، التي تجمع بين أصحاب المصلحـة عامـة، ومنهـم الأكاديميون والناشـطون والمنظمات الشـعبية، لمناقشـة القضايا الإقليمية، وبناء الثقة، واستكشاف سبل التعاون خارج القنوات الدبلوماسية الرسمية.

٧. المسـار الثالث الدبلوماسـية والـشراكات الأكاديمية: توسـيع مبادرات المسـار الثالث الدبلوماسـية والشراكات الأكاديمية التي تشـمل العلماء والباحثـين والخـبراء مـن البلـدان المجـاورة من اجل تسـهيل المشـاريع البحثية المشتركة والمؤتمرات الأكاديمية وحوارات السياسات التي تركز عـلى القضايا الإقليمية لتوليد أفكار مبتكرة وتوصيات سياسـية للتعاون وحل النزاعات.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٨. مبادرات دبلوماسـية المواطن: تشـجيع المبادرات التـي يقودها المواطن، التي تعزز الدبلوماسـية الشعبية، والعلاقات بين الناس وبين المجتمعات عبر الحـدود، فضلا عن دعـم التبادلات الثقافية، والمشـاريع المشـتركة، والمبادرات التعاونية، التي ينظمها المواطنون الاعتياديون، لتعزيز التفاهم المتبادل والصداقة.

٩. الدبلوماسـية الثقافيـة والترويـج السـياحي: تسـخير قوة الدبلوماسـية

الثقافيـة، والترويـج السـياحي لعـرض الـتراث الثقافي الغنـي، والجمال الطبيعـي للدول المجاورة، وتشـجيع التبـادلات الثقافيـة، والحفاظ على التراث والمبادرات السياحية، التي تسلط الضوء على التاريخ، والتقاليد، والمعالم السياحية المشتركة، لتعزيز التقدير والتفاهم المتبادل.

١٠. آليـات حـل النزاعات والوسـاطة والدعـم الدوليان: تعزيـز آليات حـل النزاعـات الإقليميـة، وتعزيـز منصـات الحـوار، التي توفـر فرصاً للحل السـلمي للنزاعـات والمظالم، بالتأكيد على أهمية الحوار والوسـاطة والتفاوض في حل النزاعات ومنع تصعيدها. من جانب آخر أهمية السعي إلى الحصـول عـلى الوسـاطة والدعم الدوليـين، من المنظـمات الإقليمية، والدول المجاورة، والشركاء العالميين، لتسهيل الحوار والمصالحة، وتدابير بنـاء الثقة، والمشـاركة مـع الجهات الفاعلـة الدولية، للإفـادة من نفوذها الدبلوماسي، ومواردها في تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة.

١١. المسـاعدة الإنسـانية والإغاثة في حالات الكوارث: التعاون في مجال المسـاعدات الإنسـانية، وجهود الإغاثـة في حالات الكـوارث، لمواجهة التحديـات المشـتركة، وتخفيـف المعانـاة الإنسـانية عـبر الحـدود، ومنح الأولوية للتعاون في مجالات مثل مساعدة اللاجئين، والاستجابة لحالات الطوارئ، وبناء القدرة على الصمود لإظهار التضامن وحسن النية[٢٤].

١٢. الحفاظ عـلى البيئة وإدارة الموارد: تعزيز التعاون في مجال الحفاظ على البيئـة، والتنمية المسـتدامة، ومبادرات إدارة المـوارد التي تتجاوز الحدود الوطنية، لمعالجة التحديات البيئية المشـتركة، مثل: ندرة المياه، والتلوث،

(24) UNHCR Iraq situation overview, (Entry date: 09/03/2024).

وتغير المناخ، بوساطة البحوث المشتركة، وتنسيق السياسات، وجهود الحفاظ على البيئة[٢٥].

بتنفيذ هذه الحلول والاقتراحات أعلاه، يستطيع العراق اتخاذ خطوات هادفة نحو التغلب على المظالم التاريخية، وتعزيز التعاطف، وبناء علاقات بنَّاءة مع الدول المجاورة له، والمساهمة، في نهاية المطاف، في الاستقرار والازدهار والسلام الإقليمي.

٣-٤. الطريق نحو التقدم – التماسك الاجتماعي:

بعد أن حددنا تأثيرات الثقافة، والدولة، والدين، والدكتاتورية على المواطنة، نحتاج إلى التركيز على تحسين التماسك الاجتماعي في العراق، بوصفه من الأهداف الرئيسة لتعزيز التفاعل الأفضل بين الثقافة والدولة والدين، فهو يتطلب نهجاً متعدد الأوجه وشاملاً، يقرأ جوانب المجتمع المختلفة.

أما المجالات الرئيسة التي تحتاج إلى الاهتمام، من أجل إدارة أفضل، وتعزيز التماسك الاجتماعي في العراق، فإنَّها عدَّة، ومنها:

١. تعزيز السياسات الشاملة والاستقرار السياسي: تطوير وتنفيذ السياسات التي تحترم وتستوعب الهويات الثقافية والدينية والقومية والعرقية المتنوعة

---

(25) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022; Climate, Peace and Security Fact Sheet 2023, "Iraq", SIPRI- Stockholm International Peace Research Institute, April 2023; Bourhrous A. et al. 2022;

«التقرير الطوعي الأول حول أهداف التنمية المستدامة – العراق»، (تاريخ الدخول: ٢٠٢٤, ٠٣, ٠٤) عـ. المولوي ٢٠١٩.

داخل العراق، وتعزز الحوكمة الشاملة الشعور بالانتماء والتمثيل، الذي سيساعد على زيادة الثقة بالحكومة، وإرساء الاستقرار السياسي والحفاظ عليه، بوساطة حكم شفاف وخاضع للمساءلة، ويوفر الاستقرار الأساس للتماسك الاجتماعي والثقة في مؤسسات الدولة.

٢. معالجة المظالم التاريخية وتسهيل الحوار الوطني: تنفيذ مبادرات المصالحة، لمعالجة المظالم التاريخية وتعزيز الشفاء، والاعتراف بمظالم الماضي، والعمل على بناء الجسور بين المجتمعات المختلفة، ولعل جزءًا من معالجات المظالم التاريخية، مرتبطٌ بخلق فرص للحوار الوطني الذي يشمل الأصوات المتنوعة، إذ إنَّ المشاركة في محادثات مفتوحة حول الهوية الوطنية والقيم المشتركة، يمكن أن تعزز التفاهم.

٣. الاستثمار في إعادة البناء في مرحلة ما بعد الصراع أو بعد حدوث كوارث: في مناطق ما بعد الصراع، يجب الاستثمار في جهود إعادة البناء التي تعطي الأولوية للتماسك الاجتماعي، وتطوير البنية التحتية، وقدرة المجتمع على الصمود، ومن المهم أيضاً تطوير خطط الاستعداد، والاستجابة للكوارث التي تكون شاملة، وتأخذ في الاعتبار احتياجات المجتمعات عامة، وتعزيز التضامن في الأوقات الصعبة.

٤. حماية حقوق الإنسان وضمان الوصول إلى العدالة مع تعزيز سيادة القانون: ضمان تنفيذ النصوص الدستورية والقانونية الخاصة بحماية حقوق الإنسان والحريات العامة، بغض النظر عن خلفياتهم ومشاربهم، إذ إنَّ ضمان المساواة في الحقوق، يساهم في الشعور بالعدالة والإنصاف، وكذلك من المهم إنشاء آليات تضمن نيل المواطنين أجمعهم العدالة، ومحايدة أجهزة القانون والقضاء، إذ تساهم الأنظمة القانونية التي تصون

Al-Rewaq Publishing House

الحقوق الفردية في تحقيق التماسك الاجتماعي، أخيرًا على الدولة أنْ تضمن الحفاظ على سيادة القانون، وتوفير نظام قانوني عادل للمواطنين كافة، وتساهم الأطر القانونية الفعالة في تعزيز الشعور بالعدالة والمساواة.

٥. تنفيذ مناهج مستنيرة للصدمات وبناء آليات حل النزاعات: التعرف على تأثير الصدمات التاريخية على المجتمعات ومعالجتها، إذ تساهم الأساليب المستنيرة للصدمات في السياسات والبرامج في الشفاء والقدرة على الصمود، وبعدها العمل على تطوير آليات فعالة لحل النزاعات الداخلية سلمياً، ومعالجة الخلافات وحلها لمنع تصعيد التوترات.

٦. تسهيل الحوار بين الأديان: تشجيع وتسهيل الحوار بين الطوائف الدينية المختلفة، لتعزيز التفاهم والتسامح والتعاون، ويمكن للمبادرات المشتركة بين الأديان أنْ تغلق الفجوات، وتبني أرضية مشتركة.

٧. تنفيذ البرامج الاجتماعية وتشجيع المشاركة المدنية: تقديم البرامج الاجتماعية التي تلبي احتياجات الفئات السكانية الضعيفة، ويمكن لهذه البرامج أن تساعد في الحد من انعدام المساواة الاجتماعية، والمساهمة في التماسك الاجتماعي، وكذلك في خلق فرص للمشاركة المدنية والمشاركة المجتمعية، وتمكين المواطنين من المشاركة الفعالة في عمليات صنع القرار، والمشاريع المجتمعية.

٨. تشجيع الابتكار الاجتماعي والعمل التطوعي: دعم وتعزيز المبادرات والمشاريع التي تهدف إلى إيجاد حلول إبداعية للتحديات والمشكلات الاجتماعية المختلفة، يتضمن ذلك تشجيع الأفكار والمشاريع التي تستعين بالتكنولوجيا والابتكار، للتأثير الإيجابي على المجتمع، وتحسين

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

جـودة حيـاة الأفـراد، ويمكن أن تتنوع المبـادرات التي تشـجع الابتكار الاجتماعـي كثيرًا، وتشـمل مجموعة واسـعة من المجالات مثـل التعليم، والرعاية الصحية، والتنمية المسـتدامة، والتواصل الاجتماعي، والتحفيز الاقتصـادي، وغيرها؛ وضروري أنْ لا ننسـى أهمية تعزيـز ثقافة العمل التطوعـي والعمل الخيري، إذ إنَّ المشـاركة المجتمعية النشـطة في العمل التطوعي تقوي الروابط الاجتماعية.

٩. مشـاركة الشـباب وتسـهيل الحـوار بين الأجيال والجنسـين: الاسـتثمار في البرامـج التـي تمكن الشـباب وتشركهـم، إذ إنَّ توفير فـرص التعليم والتوظيف والمشـاركة المدنية، يمكن أنْ يساهم بتشكيل مستقبل مشرق للعـراق، كما سـيعزز التفاهم والتعاون بين الأجيال المختلفة؛ إذ يسـاهم الحوار بين الأجيال، وبين الجنسين، في بناء مجتمع متماسك ومترابط أكثر شمولاً.

١٠. تعزيـز أنظمة دعم الأسرة والمجتمع: تسـاهم شـبكات دعم الأسرة والمجتمـع القويـة، في رفاهيـة الأفـراد وقدرتهم عـلى الصمـود، وتعزيز التماسك الاجتماعي الشامل.

١١. تعزيـز الإعـلام المسـؤول: تشـجيع الصحافة المسـؤولة التـي تعزز التفاهـم، وتتجنـب تعزيز الخطابـات المثيرة للخـلاف، إذ يمكن لبرامج التربية الإعلامية أنْ تساعد المواطنين على تقييم المعلومات بشكل نقدي.

١٢. معالجـة الفوارق الاقتصادية: تنفيذ السياسـات التي تعالج الفوارق الاقتصاديـة، وخلـق الفـرص لجميـع المواطنـين، إذ تسـاهم التنميـة

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الاقتصادية في الشعور بالرخاء المشترك[٢٦].

١٣. تعزيز الأهداف البيئية المشتركة: تشجيع الأهداف البيئية المشتركة والممارسات المستدامة، إذ إنَّ الالتزام الجماعي بالمسؤولية البيئية، يمكن أن يعززَ الشعور بالمسؤولية المشتركة.

١٤. تحسين أنظمة التعليم: إصلاح التعليم لتعزيز المساواة والتنوع والهوية الوطنية المشتركة، والتأكد من أنَّ المناهج التعليمية تعكس التنوع الثقافي والديني الغني في العراق.

١٥. الانخراط في التعاون الدولي: التعاون مع المنظمات الدولية ودول الجوار لتبادل أفضل الممارسات والموارد، ودعم المبادرات التي تعزز التماسك الاجتماعي.

١٦. دعم المبادرات الفنية والثقافية وحفظ التراث واللغات: يمكن للأنشطة الفنية والثقافية أن تكون بمنزلة جسور بين المجتمعات، ودعم هذه المبادرات يعزز الخبرات المشتركة، وأهمية حماية الجهود الرامية إلى الحفاظ على التراث الثقافي الغني للعراق ودعمه والاحتفاء به، إذ يساهم الحفاظ على الثقافة في تعزيز الشعور بالهوية والاستمرارية، ومن الضروري التفكير في كيفية اعتماد سياسات لغوية تحترم التنوع اللغوي وتقدِّره، إذ تساهم سياسات احترام اللغات غير العربية والكردية، في الشعور بالانتماء إلى مجموعات الأقليات اللغوية.

١٧. الشمول الرقمي وضمان الوصول إلى المعلومات: الإفادة من

(26) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022.

التكنولوجيا للاتصال والشمول الرقمي، وضمان أن يسهم التقدم التكنولوجي في سد الفجوات، أو تضييقها على الأقل، بدلاً من خلق المزيد من الانقسامات، والتأكد من أنَّ المواطنين أجمع يمتلكون حق الوصول إلى المعلومات على قدم المساواة، إذ تعمل المساواة في المعلومات على تعزيز التفاهم وتساعد على مكافحة المعلومات الخاطئة.

تتطلب معالجة هذه العوامل الإضافية، بذل جهد شامل وتعاوني، يشمل عامّة الأطراف ذوي العلاقة، والمعنيين ببناء المجتمع والدولة، فتصميم التدخلات بما يتناسب مع الاحتياجات والديناميكيات المحددة للمجتمع العراقي، سيسهم في وضع استراتيجيات أكثر فعالية، لتعزيز أواصر التماسك الاجتماعي؛ ويعتمد نجاح هذه المبادرات على الجهود التعاونية، التي تشمل الحكم، والمجتمع المدني، والزعماء الدينيين، والمؤسسات التعليمية، والمجتمع الدولي؛ وضروريٌّ إدراك السياق الفريد للعراق، وتصميم الاستراتيجيات لمواجهة التحديات والفرص المحددة داخل البلاد[٢٧].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٣-٥. الطريق نحو التقدم – الزيادة السكانية:

في القرنين الماضيين من تاريخ العراق، أثرت التحولات الديموغرافية بعمق على المشهد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلاد، وشكلت هذه التحولات ديناميكيات المجتمع العراقي بطرائق متعددة الأوجه، ويعد

(٢٧) «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والإقليم للسنوات ٢٠١١-٢٠٢٠"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠١٢.

فهم هذه التغيرات والتحولات الديموغرافية أمراً ضرورياً لواضعي السياسات، والمخططين، وأصحاب المصلحة، لمواجهة التحديات، والإفادة من الفرص، وتعزيز التنمية المستدامة، والنمو الشامل في العراق، وقد أعادت هذه التحولات الكبيرة، تشكيل معالم الهوية العراقية وحياة المجتمع، إيذانا ببدء زمن جديد من التعقيد والتنوع. فيما يلي بعض التحديات والتأثيرات الرئيسة:

- **التحضر والهجرة الداخلية: شهد العراق، على مدى القرنين الماضيين، تجربة كبيرة للتحضر، مع تزايد نسبة السكان الذين يهاجرون من المناطق الريفية إلى المدن، وقد أدى هذا النمو الحضري السريع إلى توسع المراكز الحضرية، وتطوير البنية التحتية، وظهور ديناميكيات اجتماعية واقتصادية جديدة في المناطق الحضرية، وكانت الهجرة الداخلية مدفوعة بعوامل مختلفة، بما في ذلك الفرص الاقتصادية، والصراع، والنزوح، والسياسات الحكومية. وقد أدت الفوارق في التنمية بين المناطق، مثل الجنوب الغني بالنفط والشمال الأقل نمواً، إلى تغذية أنماط الهجرة الداخلية، ما أدى إلى تحركات السكان داخل البلاد.**
- **التركيبة القومية والعرقية والدينية: أثرت التحولات الديموغرافية أيضاً على التركيبة القومية والعرقية والدينية للعراق، وتعد البلاد موطناً لمجموعات عرقية ودينية متنوعة، بما في ذلك العرب والأكراد والتركمان والآشوريون والأرمن وغيرهم، ولقد أثرت أنماط الهجرة، والتطورات السياسية، والصراعات، على توزيع وتمثيل هذه المجموعات داخل العراق، ما أسهم في التوترات وديناميكيات سياسات الهوية، إذ شهدت البلاد أنماطاً عدَّة من الهجرة والتوزيع السكاني؛ نتيجة للتطورات**

السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فعلى سبيل المثال نأخذ الحالة في محافظة كركوك أو محافظة نينوى؛ إذ شهدت، منذ زمن ليس ببعيد، هجرة كبيرة للأكراد، والتركمان، والآشوريين؛ نتيجة للصراعات الداخلية، والتهجير، أو نتيجة جرائم عصابات داعش. هذا التغيير في التوزيع السكاني، أثَّر على التمثيلين السياسي والاجتماعي لهذه الجماعات داخل العراق، ما أدى إلى التوترات والصراعات حول الهوية والانتماء.

- التمثيل السياسي: إنَّ للتغيرات في الأنماط الديموغرافية، ولاسيما التحولات في توزيع المجموعات العرقية والدينية، آثارًا على التمثيل السياسي وديناميكيات السلطة داخل العراق، وتعكس المناقشات بشأن حقوق الأقليات، والأنظمة الانتخابية، وجهود اللامركزية، التفاعلَ المعقد بين العوامل الديموغرافية في تشكيل المؤسسات السياسية وهياكل الحكم.
- العوائد والتحديات الديموغرافية وطفرة الشباب: قدمت التحولات الديموغرافية، بما في ذلك التغيرات في معدلات الخصوبة، ومعدلات الوفيات والهياكل العمرية، فرصاً وتحديات للعراق، وفي حين أن انخفاض معدلات الخصوبة، قد يوفر إمكانية تحقيق عائد ديموغرافي بزيادة عدد السكان في سن العمل مقارنة بالمعالين، فإنّه يفرض، أيضًا، تحديات تتعلق بشيخوخة السكان، والرعاية الصحية، والرعاية الاجتماعية، من جانب آخر توفر الطفرة الشبابية فرصاً للنمو الاقتصادي، والابتكار، والتنمية الاجتماعية، ولكنَّها تفرض، أيضاً، تحديات تتعلق بالبطالة بين الشباب والتعليم والمساواة والاندماج الاجتماعي، فتسخير إمكانات الشباب أمر ضروري لازدهار العراق واستقراره في المستقبل.

- الديناميكيات الثقافية: أثرت التحولات الديموغرافية على الديناميكيات الثقافية داخل العراق، ما أدى إلى مزج الممارسات الثقافية والتقاليد واللغات بين المجتمعات العرقية والدينية المتنوعة وتبادلها؛ ويثري هذا التنوع الثقافي النسيج المجتمعي للعراق، ولكنه يفرض تحديات تتعلق بالحوار بين الثقافات، والحفاظ على الهوية والتماسك الاجتماعي.
- تطوير البنية التحتية والضغوط البيئية: أدت التحولات الديموغرافية، لاسيما التحضر والنمو السكاني، إلى زيادة الطلب على تطوير البنية التحتية في العراق، بما في ذلك شبكات النقل، والإسكان، ومرافق الرعاية الصحية، والمؤسسات التعليمية، وتتطلب تلبية احتياجات العدد المتزايد من السكان، استثمارات استراتيجية في البنية التحتية، لدعم النمو الاقتصادي، وتحسين نوعية الحياة، وضمان الاندماج الاجتماعي، من جانب آخر يشكل النمو السكاني والتوسع الحضري ضغطاً على البيئة الطبيعية في العراق، ما يؤدي إلى تحديات مثل التلوث، وإزالة الغابات، وندرة المياه، وتدمير الموارد الطبيعية، ويعد التخطيط الحضري المستدام، وجهود الحفاظ على البيئة، واستراتيجيات إدارة الموارد، أمورًا ضرورية للتخفيف من الآثار البيئية للتحولات الديموغرافية وتعزيز المرونة البيئية[٢٨].
- أنظمة الرعاية الصحية والاجتماعية: تؤثر التغيرات الديموغرافية، بما

(28) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022; Fazil S. & Tartir A. 2023; Héau,L. et al. 2023; Climate, Peace and Security Fact Sheet 2023, "Iraq", SIPRI- Stockholm International Peace Research Institute, April 2023; Bourhrous A. et al. 2022.

في ذلـك التحولات في الهياكل العمرية للسـكان وأنـماط الأمراض، على الطلـب على خدمـات الرعاية الصحيـة وفعالية أنظمـة المرافق الصحية في العـراق، وإنَّ تلبيـة احتياجـات الرعايـة الصحية، وتحسـين الوصول إلى المنشـآت الطبيـة، وتعزيـز تدخلات الصحـة العامة أمـر بالغ الأهمية لتعزيز صحة السكان ورفاهيتهم. من جانب آخر تشكل هذه التغيرات، مثـل شـيخوخة السـكان أو تدفـق اللاجئين، تحديـات لأنظمـة الرعاية الاجتماعيـة في العـراق، ويتطلب ضـمان توفير الخدمـات الاجتماعية، بما في ذلك المعاشـات التقاعديـة، والرعاية الصحية، والتعليم، والمسـاعدة الإنسـانية، سياسـات تكييفية، واسـتراتيجيات لتخصيص الموارد لتلبية الاحتياجات المتطورة للمجموعات السكانية المتنوعة[٢٩].

تسـلط التأثيرات، المذكورة سـابقاً، الضوء عـلى الطبيعة متعددة الأوجه للتحـولات الديموغرافيـة، وآثارهـا بعيـدة المـدى عـلى جوانـب المجتمـع المختلفـة، والاقتصـاد، والبيئـة، والحكم داخـل العـراق، ويتطلب التصدي للتحديـات والفرص الناشـئة عن التغيرات الديموغرافية، اتباع نهج شـامل وتدخلات اسـتباقية، لتعزيز التنمية المستدامة، وتعزيز رفاه الفئات السكانية أجمعها[٣٠].

(29) UNHCR Iraq situation overview, (Entry date: 09/03/2024);
«العراق: البيان الختامي لخبراء الصندوق في نهاية بعثة مشـاورات المادة الرابعة لعام ٢٠٢٤، صندوق النقد الدولي، ٢٠٢٤، تاريخ الدخول ٩/ ٦/ ٢٠٢٤».

(30) WorldData.info - Population growth in Iraq, Updated on July 2024; United Nations Population Fund Fact, page on "Iraq", (Entry date: 06/04/2024);
وزارة التخطيـط والتعاون الإنمائـي – الجهاز المركزي للإحصاء، (تاريخ الدخـول: ٢٣/ ٦/ ٢٠٢٤)؛ عـامـر ٢٠٢٠ تقريـر وزارة التخطيـط وصنـدوق الأمـم المتحـدة للسـكان (UNDPA) ٢٠١٥،

ولقد شكلت التحولات الديموغرافية في تاريخ العراق الحديث، نسيجه الاجتماعي، وديناميكياته السياسية، ومساره الاقتصادي، وإنَّ فهم هذه الاتجاهات الديموغرافية، أمر بالغ الأهمية لصانعي السياسات، والمخططين، وأصحاب المصلحة، لمواجهة التحديات، والإفادة من الفرص، وتعزيز التنمية المستدامة، والنمو الشامل في العراق.

ولنحاول الآن الإجابة على سؤال مهم حول الزيادة السكانية الهائلة في العراق: أنعمة هي أم نقمة؟ من الممكن أن ننظر إلى الزيادة السكانية الهائلة في العراق، بعدِّها نعمة وتحدياً في آن واحد، اعتماداً على كيفية إدارتها ومعالجتها، وهنا نحتاج إلى النظر في القوى العاملة المحتملة؛ لأن تزايد عدد السكان يعني قوة عمل أكبر، إذ يمكن أنْ تساهم في النمو الاقتصادي والتنمية، وبوساطة السياسات والاستثمارات الصحيحة في التعليم والتدريب على المهارات، يمكن للقوى العاملة الآخذة في التوسع، أن تدفع الابتكار، والإنتاجية، وريادة الأعمال، ما يؤدي إلى الرخاء الاقتصادي الشامل.

أخيراً، في حين أن الزيادة السكانية في العراق توفر فرصاً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فإنَّها تنتج أيضاً تحديات تتعلق بإدارة الموارد، وتطوير البنية التحتية، والحوكمة، والتماسك الاجتماعي؛ ويلزم وجود سياسات واستثمارات فعالة، لتسخير الفوائد المحتملة للنمو السكاني، مع التخفيف من آثاره السلبية، والَّا فنحن نواجه قنبلة اجتماعية وسياسية مؤقتة وكبيرة[٣١].

"اتجاهات الانجاب وتنظيم الاسرة في العراق التحديات والتدخلات".

(31) WorldData.info - Population growth in Iraq, Updated on July 2024; United Nations Population Fund Fact, page on "Iraq", (Entry date: 06/04/2024); وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي – الجهاز المركزي للإحصاء، (تاريخ الدخول: ٢٣/ ٦/ ٢٠٢٤) عـ. عامر ٢٠٢٠ تقرير وزارة التخطيط وصندوق الأمم المتحدة للسكان (UNDPA) ٢٠١٥، «اتجاهات الانجاب وتنظيم الاسرة في العراق التحديات والتدخلات».

٣-٦. الطريق نحو التقدم – أهمية خلق سرديات إيجابية جديدة للعراقيين:

إنَّ خلق سرديات إيجابية جديدة في العراق لتحسين التماسك الاجتماعي، من شأنه أن يركز، بصيغة مثالية، على تعزيز المواطنة، والشعور بالوطنية العراقية، مع الاعتراف بالتنوع، وتعزيز القيم المشتركة، ويجب أن يقف المحتوى المحدد لهذه السرديات، على التحديات والفرص الفريدة، ضمن السياق الثقافي والديني والتاريخي للعراق. أدناه المواضيع والعناصر المحتملة التي يمكن دمجها في السرديات الجديدة:

١- **الوحدة في التنوع**: التأكيد على ثراء التنوع الثقافي والديني في العراق، وعدِّه مصدراً للقوة، وتسليط الضوء على مساهمات المجتمعات المختلفة في الهوية الجماعية للعراقيين، وتعزيز السرديات التي تؤكد أهمية الوئام الديني، والتأكيد على القيم المشتركة عبر الخطوط الدينية، وعرض أمثلة على التعاون بين الأديان محلياً ودولياً.

٢- **التاريخ والتراث المشترك**: تطوير سرديات تحتفي بالتجارب التاريخية المشتركة، مع التركيز على الخيوط المشتركة التي تربط المجتمعات المختلفة، وعرض اللحظات التاريخية التي تعكس صوراً مشرقة للتعاون والتعايش.

٣- **الفخر الوطني**: غرس الشعور بالفخر الوطني الذي يتجاوز الانتماءات الفردية القومية أو العرقية أو الدينية، والتركيز على الإنجازات الجماعية، وإمكانية بناء عراق موحد ومزدهر، مع تنمية الشعور بالمسؤولية المدنية والمشاركة، ويجب تشجيع السرديات المشاركة الفعالة في بناء المجتمع، وتعزيز الشعور بالملكية في تنمية المجتمع العراقي.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٤- **تمكين الشباب**: تسليط الضوء على دور الشباب بوصفهم عوامل للتغيير الإيجابي، وينبغي للسرديات أن تلهم جيل الشباب، وتمكنه من المساهمة في تنمية المجتمع، بغض النظر عن خلفيتهم[٣٢].

٥- **العدالة الاجتماعية والشمول**: الدعوة إلى السرديات التي تناصر العدالة الاجتماعية والشمول، ومعالجة قضايا انعدام المساواة والتمييز، وتعزيز الخطابات التي تقف ضد تهميش أي مجتمع أو شريحة أو طائفة، وتطوير السرديات التي تعترف بالمظالم التاريخية وتعزز المصالحة، والتأكيد على أهمية التعافي والمضي قدماً كأمة موحدة، ولاسيما عندما يكون هناك تاريخ من الانقسامات والصراعات العنيفة، هنا نشير بالمصطلح «تضميد الجراح» إلى الجهود المبذولة للتغلب على النزاعات، والمصالحة بين الأطراف المتحاربة أو المتنازعة؛ وذلك بالتعرف على المظالم التاريخية، ومحاولة إصلاح العلاقات، وتحقيق السلام الدائم. بلى؛ يُعدّ هذا الموضوع حساساً للغاية؛ لأنَّه يتطلب من الأطراف العراقية المتنازعة، أنْ تتحدى المفاهيم التقليدية، وتواجه التاريخ بصدر رحب، ما قد يستلزم التنازل عن مواقف قديمة ومتجذرة، هنا ضروري أن نعترف بإنّ تطوير السرديات التي تعترف بالمظالم التاريخية، يعني تغيير الروايات السائدة والنظر إلى الأحداث والتاريخ من منظور جديد، يسمح بالمصالحة، وبناء جسور الثقة بين الأطراف المتنازعة[٣٣].

٦- **المرونة في الشدائد**: عرض قصص المرونة في أوقات الصراع والشدائد،

---

(٣٢) مـ. حجازي .٢٠٠٨

(٣٣) ع. الوردي ١٩٩٥: ٢٦٢- ٢٧١.

وتسليط الضوء على قصص المجتمعات التي تجتمع معاً، وتدعم بعضها، وتعيد البناء بعد التحديات.

٧- **الإشراف البيئي**: دمج السرديات التي تؤكد على أهمية الإشراف البيئي، إذ إنَّ الالتزام المشترك بالاستدامة البيئية، يمكن أنْ يتجاوز الاختلافات الثقافية والدينية.

٨- **التعليم الجامع**: الدعوة إلى السرديات التي تدعم التعليم الجامع، وإظهار قيمة وجهات النظر المتنوعة في تشكيل فهم شامل للتاريخ والثقافة والمجتمع، والاعتراف بدور التكنولوجيا في تعزيز الاتصال والتفاهم، إذ يمكن أن تركز السرديات على الجوانب الإيجابية للاتصال الرقمي، في التقريب بين الأشخاص من خلفيات مختلفة.

٩- **التعاون المجتمعي**: تسليط الضوء على قصص التعاون والمبادرات المجتمعية الناجحة، التي توضح النتائج الإيجابية للمجموعات المتنوعة التي تعمل معاً.

١٠- **الرخاء الاقتصادي للجميع**: وضع خطابات تعزز السياسات الاقتصادية الشاملة، مع التأكيد على أهمية الفرص العادلة لجميع المجتمعات في المساهمة في الرخاء الاقتصادي والإفادة منه.

١١- **الاحتفال بأشكال التعبير الثقافي**: تشجيع السرديات التي تحتفي بالنسيج الغني للثقافة العراقية، بما في ذلك اللغة والأدب والفنون والعادات التقليدية، ويمكن لأشكال التعبير الثقافي أن تكون بمنزلة قوة موحدة.

من المهم ملاحظة أنَّ إنشاء سرديات إيجابية جديدة يجب أنّ يكون جهداً تعاونياً، يشمل أصحاب المصلحة والأطراف المعنية عامة، بما في ذلك

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

قادة المجتمع، والمعلمون، والفنانون، وممثلو المجتمعات المختلفة، ويجب أن تكون هذه الروايات ديناميكية، وقابلة للتكيف مع الظروف المتغيرة، وتتطور مع التطور المستمر للنسيج المجتمعي العراقي.

٣-٧. الطريق نحو التقدم – الإصلاح تدريجي ام ماذا؟

٣-٧-١. الإصلاح التدريجي يكفي؟

هل العراق محتاج إلى ثورة جديدة تعيد البناء السياسي والمجتمعي من جديد وبسرعة؟ أو هو يحتاج إلى إصلاح تدريجي فقط، وأن يحظى ببعض الوقت؟ الإجابة تعتمد على عوامل مختلفة، بما في ذلك الوضع الحالي للبلاد، وتطلعات شعبها، وجدوى التوجهات المختلفة، وهنا نحتاج إلى أن نأخذ بنظر الاعتبار بعض الاعتبارات.

الاعتبار الأول مرتبط **بالوضع الحالي**، وإذا استمر العراق على نطاق واسع بمواجهة: ظاهرة الفساد، والضغط السياسي، والظلم الاجتماعي، والصعوبات الاقتصادية، والتدخلات الخارجية، فقد يزداد الشعور عند أبناء الشعب بالحاجة إلى التغيير الجذري، وفي مثل هذه الحالات، فإن الدعوة إلى ثورة جديدة لإصلاح النظام القائم، ومعالجة القضايا النظامية، والهيكلية في النظام السياسي، قد تكتسب المزيد من الاهتمام والعجالة.

والاعتبار الثاني مرتبط **بالرغبة المجتمعية في الاستقرار**؛ أي من ناحية أخرى إذا أعطى العراقيون الاستقرار الأولوية، وكانوا يخشون الفوضى المحتملة والعنف الذي قد يصاحب الاضطرابات الثورية، فقد يفضلون اتباع نهج تدريجيٍّ أكثر للإصلاح، وسيسمح للأصلاح التدريجي بإجراء تغييرات تدريجية، وأنْ تأخذ وقتًا أطول، ويمكنها معالجة المخاوف

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

المباشرة مع تقليل مخاطر انعدام الاستقرار[٣٤].

وهنـاك من يعطـي الأولوية لاعتبار **القـدرة على التغيـير**؛ أي مدى قدرة النظام السياسي الحالي والمؤسسات، على تفعيل إصلاحات ذات تأثير تؤدّي، أيضـاً، دوراً حاسـماً، إذا كان النظـام راسـخاً ومقاوماً للتغيير، فقـد يُنظر إلى الثورة على أنها ضرورية لكسر الوضع الراهن، والدخول في عصر جديد من الحكـم، ومع ذلك إذا كانت هناك قنوات للإصلاح السـلمي والحوار، فمن الممكن بدلاً من ذلك متابعة جهود الإصلاح التدريجي.

ولعل اعتبارَ **مسـتوى المشـاركة العامة والتواصل** مهمٌ جداً أيضاً، إذ يعدُّ مسـتوى المشـاركة العامة والمشـاركة في العملية السياسـية عامـلاً آخراً يجب أخـذه في الاعتبـار، إذا كانـت هناك خيبة أمل واسـعة النطاق تجاه المؤسسـة السياسـية وحركة شـعبية قوية تدعو إلى التغيير، فقد يُنظر إلى الثورة على أنَّها وسـيلة لتعبئة قوة الشـعب، وأحداث تغيير تحويلي، وعلى العكس من ذلك، إذا كان هنـاك نقـص في التعبئـة الشـعبية، أو تفضيل للاسـتقرار، فقد يكون الإصلاح التدريجي أكثر قبولاً.

أخـيراً نحتـاج إلى أنْ نأخذ بنظر الاعتبار **الديناميكيـات الدولية**، إذ هناك تأثـير كبير للعوامـل الخارجية، بما في ذلك موقف الجهـات الفاعلة الإقليمية

(34) Relief Web Response (RW Response) is a specialised digital service of the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA), reports page on "Iraq", (Entry date: 30/04/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA; The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024;

صندوق الأمم المتحدة للإسكان ٢٠١٨، الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي ٢٠١٨)-(٢٠٣٠ حـ. بوزارسلان ٢٠١٥، د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

والدولية، على المشهد العراقي وأنّها يمكن أنْ تؤثر، أيضًا، على الاختيار بين الثورة والإصلاح، إذا كان هناك دعم من المجتمع الدولي للانتقال السلمي وجهود الإصلاح، فقد يشجع ذلك على تغييرات تدريجية بدلاً من الاضطرابات الثورية.

تاريخ الثورات والانتفاضات والانقلابات في العراق يعود إلى أزمنة عدَّة، وتميز بالتحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة، ومن أبرز هذه الأحداث في العراق: ١٩٢٠، ١٩٣٦، ١٩٤١، ١٩٥٨، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧٩، ١٩٩١، ٢٠٠٣، ٢٠١٩، أي بمعدل متغير سياسي كبير مرة لكل عقد من الزمن[٣٥].

طبيعة هذه الثورات والانتفاضات والانقلابات، تختلف وفقاً للظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية في كل مرحلة، ومن الملاحظ أن الشعب العراقي قد يميل إلى الثورة في ظل ظروف الظلم والقهر والفساد السياسي، ولاسيما في أزمنة تفتقر فيها الحكومات إلى الشرعية والشفافية وتفشي الفساد. ومع ذلك، يمكن أن يكون الشعب العراقي متردداً، أيضاً، في اللجوء إلى الثورة والعنف، بوصفهما آليتا تغيير؛ بسبب المخاوف من التدهور الأمني والاضطرابات الاقتصادية التي قد تنجم عنها[٣٦].

أما الانتفاضات في العراق فهي تشير إلى حركات احتجاجية جماهيرية شعبية، تهدف إلى التعبير عن الغضب والاستياء من الوضع السياسي

(35) Dodge T. & Simon S. (Eds.) 2003;

ف.ك. نظمي واخرون ٢٠٢٠.

(36) «The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030», UNFPA.

والاقتصادي والاجتماعي في البلاد، وتختلف هذه الانتفاضات عن الثورات في الطابع والمدى والهدف، إذ تتميز بتنظيم غير رسمي ومن دون قيادة مركزية، والافتقار إلى وجود برنامج سياسي واضح، وتتسم الانتفاضات بالتنظيم الذاتي والمشاركة الشعبية الواسعة، وكثيرًا ما تكون موجهة ضد السلطة الحاكمة والنظام السياسي القائم، مع تطلعات للتغيير والإصلاح. وبرغم أن بعض الانتفاضات قد تنجح في تحقيق بعض المكاسب، إلا أنَّ تحقيق التغيير الجذري يبقى تحدياً كبيراً، نظراً لتعقيدات وتداخل الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني في العراق[٣٧].

بالنسبة للإصلاح التدريجي، قد يرى بعض الأشخاص والجماعات أنَّه الخيار الأكثر استقراراً وتنفيذاً في بعض الأحيان، إذ يمكن أنْ تؤدي الثورات أو الانتفاضات إلى فوضى واضطرابات، تزيد من التحديات التي يواجهها العراق. ومع ذلك، فإنَّ نجاح الإصلاح التدريجي يعتمد على قدرة الحكومة على تلبية مطالب المواطنين وإجراء الإصلاحات السياسية والاقتصادية بفاعلية[٣٨].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

في نهاية المطاف، فإنَّ اختيار العراقيين لثورة جديدة، أو إصلاح تدريجي، يعتمد على تفاعل معقد من العوامل، بما في ذلك الظروف الاجتماعية والأمنية والاقتصادية والسياسية السائدة، والمشاعر الشعبية، والقدرة

(37) Pugh C. et al. 2020; USAID-TARABOT, Iraq Administrative Reform Project Annual Report 2013, October 2013, (Entry date: 02/05/2024); Dodge T. & Simon S. (Eds.) 2003;

إ. الحيدري ٢٠١٥.

(38) USAID-TARABOT, "Iraq Administrative Reform Project Annual Report 2013", October 2013, (Entry date: 02/05/2024).

المؤسسية، والتأثيرات الخارجية، ناهيك عن مواقف القوى السياسية، والمرجعية الدينية، والنخب والشارع، ولكل من النهجين مخاطره وتحدياته، وسوف يعتمد الاختيار بينهما على الظروف والديناميكيات الفريدة للسياق العراقي[٣٩].

٣-٧-٢. الجمهورية الجديدة- حاجة أم ترف؟

إنَّ الدعوة إلى «جمهورية جديدة» بوصفها حلًّا لتحديات العراق وإرثه، اقتراحٌ معقد، يتطلب دراسة متأنية للسياق السياسي والاجتماعي والتاريخي للبلاد. وفي حين قد يجادل بعضهم بأنَّ إنشاء شكل جديد من الحكومة، يمكن أنْ يعالج القضايا القائمة منذ زمن طويل، ويمهد الطريق لتغيير إيجابي؛ فقد يكون لدى آخرين تحفظات أو وجهات نظر بديلة عن أفضل السبل لمعالجة التحديات التي يواجها العراق.

لعلَّ الدعوة إلى إنشاء "جمهورية جديدة" تعني ضمناً إجراء عملية إعادة هيكلة جوهرية النظام السياسي العراقي، الذي يمكن أنْ يشمل صياغة دستور جديد أو تعديله بشكل كبير، وإنشاء مؤسسات جديدة، وإعادة تحديد العلاقة بين الدولة ومواطنيها، وبين المحافظات والعاصمة السياسية، وقد يزعم أنصار هذا النهج أن هناك حاجة إلى بداية جديدة للخروج من الماضي، وبناء إطار حكم أكثر شمولاً وعدالةً وديمقراطيةً وخضوعاً للمساءلة.

مع ذلك، فإنَّ الانتقال إلى جمهورية جديدة، لا يخلو من المخاطر والتعقيدات، وسيتطلب ذلك التغلب على العديد من التحديات السياسية

(39) Mawlawi al-, A. 2020.

والقانونيـة والإدارية واللوجسـتية، فضلاً عن معالجة الانقسـامات المتأصلة وديناميكيـات السـلطة داخل المجتمـع العراقي، علاوة عـلى ذلك قد تكون هنـاك رؤى وأولويـات مختلفة بـين العراقيين فيـما يتعلق بشـكل الجمهورية الجديدة وطبيعتها، ما يؤدي إلى صراعات وخلافات محتملة[٤٠].

فضـلا عـن ذلك، مـن الـضروري النظـر في السـياق الإقليمـي والدولي الأوسـع الذي يعمـل فيه العـراق، بما في ذلـك الديناميكيات الجيوسياسـية والتأثيرات الخارجية والمنافسات الإقليمية، إذ إنَّ أي تغيير سياسي كبير داخل العراق، قد تكون له آثار بعيدة المدى على الاستقرار والأمن الإقليميين، وهو ما يتطلب إدارته ومعالجته بعناية.

ننتهي إلى أنَّ مسـألة مـا إذا كانت «الجمهورية الجديـدة» هي الحل الأكثر جدوى وفعالية للتحديات التي يواجهها العراق، هي مسألة نقاش ومداولات بـين العراقيين أنفسـهم، وسـوف يتطلب الأمر إجـراء حوار مكثـف، وبنَّاء الإجماع، والتعاون بين أصحاب المصلحة عامة، لرسـم مسار للأمام، يعكس تطلعات ومصالح الشعب العراقي كلّه[٤١].

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٣-٨. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والهندسة المجتمعية:

يعـد الإصلاح المجتمعي في العراق من الضرورات الملحة، لتحقيق التـوازن والاسـتقرار الاجتماعـي، في ظـل التحديـات المتزايدة التـي تواجه البلاد، علماً أنَّ عملية الهندسـة المجتمعية تهدف إلى إعادة تشـكيل العلاقات

(٤٠) ع. الوردي ١٩٩٤: ١١٣-١٣١.
(٤١) ل. الفيلي ٢٠٢١.

الاجتماعية والمؤسسات، بما يتماشى مع قيم العدالة والمساواة والتطور. أدناه سنستعرض من هم المسؤولون عن الهندسة المجتمعية، وما آليات التأثير وأسباب الحاجة الملحة للهندسة المجتمعية في العراق؟ وكيف يمكن أن تكون أداة فعالة لتحقيق الإصلاحات الشاملة وتعزيز التماسك الاجتماعي؟

٣-٨-١. المسؤولون عن الهندسة الاجتماعية

في مجتمع مضطرب مثل العراق، تقع مسؤولية الهندسة الاجتماعية على عاتق جهات فاعلة متعددة، بما في ذلك:

- **المؤسسات الحكومية: تؤدّي المؤسسات الحكومية دوراً مهماً في تشكيل السياسات الاجتماعية، وتنفيذ برامج التنمية، وتنظيم الأعراف والسلوكيات المجتمعية، وهي مسؤولة عن إنشاء وتنفيذ الاستراتيجيات، التي تهدف إلى تعزيز التماسك الاجتماعي، والتنمية الاقتصادية، والاستقرار السياسي، ويشمل ذلك المبادرات المتعلقة بالتعليم والرعاية الصحية والبنية التحتية والتوظيف والرعاية الاجتماعية.**
- **القادة السياسيون: يتمتع القادة السياسيون بالقدرة على التأثير على الخطاب العام، ووضع جداول الأعمال الوطنية، وتعبئة الموارد لتحقيق أهداف اجتماعية محددة، فهم يؤدون دوراً حاسماً في تعزيز الحكم الشامل، وتشجيع الحوار بين المجموعات المتنوعة، ومعالجة المظالم وانعدام المساواة داخل المجتمع، ويمكن للقيادة الفعالة أن تساعد في بناء الثقة وبثّها، وتعزيز الشعور بالوحدة بين المواطنين.**
- **منظمات المجتمع المدني: وتشمل كذلك المنظمات غير الحكومية**

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

والمجموعات المجتمعية وشبكات المناصرة، إذ تؤدّي دوراً حيوياً في تعزيز التغيير الاجتماعي، والدفاع عن حقوق الفئات المهمشة ومصالحها، وكثيرًا ما تعمل على المستوى الشعبي لمعالجة القضايا الاجتماعية، وتقديم الخدمات للفئات السكانية الضعيفة، وتمكين المجتمعات من المشاركة في عمليات صنع القرار.

- المؤسسات التعليمية: تؤدّي دوراً رئيساً في تشكيل القيم والاتجاهات والسلوكيات بين الأفراد والمجتمعات، وهي مسؤولة عن نقل المعرفة، وتعزيز مهارات التفكير النقدي، وتعزيز التسامح والتنوع وغرس القيم، والمسؤوليات المدنية في الأجيال المقبلة، والتعلم عالي الجودة ضروري لتعزيز التماسك الاجتماعي، والحراك الاقتصادي، والمشاركة الديمقراطية.
- الزعماء الدينيون والثقافيون: يتمتع الزعماء الدينيون والثقافيون بتأثير كبير على الأعراف والقيم والممارسات المجتمعية، فهم يؤدّون دوراً حاسماً في تشكيل الأطر الأخلاقية، والتوسط في النزاعات، وتعزيز التماسك الاجتماعي داخل المجتمعات، ويمكن للمؤسسات الدينية والتقاليد الثقافية أن تكون بمنزلة منصات لتعزيز الحوار والمصالحة والاحترام المتبادل، بين المجموعات الدينية والعرقية المتنوعة.
- المجتمع الدولي: يستطيع المجتمع الدولي، بما في ذلك المنظمات الحكومية الدولية، والوكالات المانحة، والحكومات الأجنبية، تقديم الدعم والموارد لجهود الهندسة الاجتماعية في المجتمعات التي تحتاج إلى التعافي مثل العراق، ويمكنها تقديم المساعدة الفنية والمساعدات المالية والدعم الدبلوماسي لتعزيز أنظمة الحكم، وتعزيز حقوق الإنسان، ومعالجة

دار الورق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الأسباب الكامنة وراء الصراع وانعدام الاستقرار[٤٢].

- وسائل الإعلام وقنوات الاتصال: تتمتع وسائل الإعلام وقنوات الاتصال بالقدرة على تشكيل الرأي العام، والتأثير على الأعراف المجتمعية، ونشر المعلومات إلى جمهور واسع، فالصحافة المسؤولة والأخلاقية، من الممكن أن تعمل على تعزيز الشفافية والمساءلة والوعي العام بالقضايا الاجتماعية، في حين قد تؤدي التقارير غير المسؤولة أو المتحيزة إلى تفاقم الانقسامات وإدامة الصور النمطية.
- المواطنون الأفراد: في نهاية المطاف، يتحمل المواطنون الأفراد، أيضاً، مسؤولية المساهمة في جهود الهندسة الاجتماعية داخل مجتمعاتهم والمجتمع ككل، ويشمل ذلك الانخراط في حوار بناء، واحترام حقوق الآخرين وكرامتهم، والمشاركة في الأنشطة المدنية، والدعوة إلى التغيير الإيجابي، فالمواطنة النشطة ضرورية لتعزيز ثقافة الديمقراطية والتسامح والمسؤولية الاجتماعية.
- قادة المجتمع: كثيرًا ما يكون لزعماء المجتمع المحلي، بما في ذلك شيوخ القبائل وزعماء العشائر وممثلو الأحياء، تأثير كبير على الديناميكيات الاجتماعية وتماسك المجتمع، ويمكنهم العمل وسطاء وميسرين وداعمين للمبادرات الشعبية، التي تهدف إلى معالجة الاهتمامات المحلية، وتعزيز التضامن داخل المجتمعات.

---

(42) The Amnesty International 2024, «The State of the World's Human Rights», p. 206; The Centre for Preventive Action 2024, «Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq», Updated February 13, 2024;

صندوق النقد الدولي ٢٠٢٤، «العراق: البيان الختامي لخبراء الصندوق في نهاية بعثة مشاورات المادة الرابعة لعام ٢٠٢٤»، (تاريخ الدخول ٩/ ٦/ ٢٠٢٤).

- المؤسسات الأكاديمية والبحثية: يمكن للمؤسسات الأكاديمية، والمنظمات البحثية، المساهمة في جهود الهندسة الاجتماعية، باعتمادها على البحث والتحليل وتوصيات السياسات، ويمكنهم توليد المعرفة عن القضايا الاجتماعية، وتحديد أفضل الممارسات، وإرشاد عمليات صنع القرار القائمة على الأدلة، على المستويات المحلية والوطنية والدولية.
- الحركات الشبابية والطلابية: كثيرًا ما تكون الحركات الشبابية والطلابية، في طليعة التغيير الاجتماعي والنشاط في المجتمعات المضطربة، ويستطيع الشباب تعبئة أقرانهم، ورفع مستوى الوعي حول القضايا الملحة، والدعوة إلى الإصلاحات السياسية والاجتماعية، ويمكن لطاقتهم وإبداعهم وممثليتهم أن تحفز التحولات الإيجابية داخل المجتمع.
- الجمعيات المهنية: تمثل النقابات والهيئات المهنية، مصالح مجموعات وقطاعات مهنية محددة، ويمكنهم أن يمارسوا دوراً في الدفاع عن حقوق العمل، والمعايير المهنية، والممارسات الأخلاقية، فضلاً عن المساهمة في أجندات التنمية الاجتماعية والاقتصادية الأوسع.
- المؤسسات الخيرية: يمكن للمؤسسات والمنظمات الخيرية توفير التمويل والمساعدة الفنية، ودعم بناء القدرات لمبادرات الهندسة الاجتماعية في المجتمعات المضطربة، وهي تركز، في كثير من الأحيان، على معالجة الأسباب الجذرية للفقر، وانعدام المساواة والظلم، وتعزيز نتائج التنمية المستدامة.
- المنظمات الدولية غير الحكومية (NGOs): تعمل المنظمات غير الحكومية الدولية في المجتمعات المضطربة، لتقديم المساعدة الإنسانية، وتعزيز حقوق الإنسان، ودعم جهود بناء السلام وحل النزاعات،

Al Rewaq Publishing House

ويمكنها أنْ تكمل وتعزز المبادرات المحلية، بالإفادة من الشبكات والخبرات والموارد العالمية، لمعالجة التحديات الاجتماعية المعقدة.

- **الجاليات العراقية في الخارج: يمكن للمجتمعات أو الجاليات العراقية في الخارج، التي تتكون من الأفراد الذين هاجروا من المجتمعات المضطربة إلى بلدان أخرى، أن تؤدّي دوراً مهماً في جهود الهندسة الاجتماعية، وكثيرًا ما يحتفظون بعلاقات قوية مع بلدانهم الأصلية، ويساهمون بالتحويلات المالية، والخبرة، ودعم مشاريع التنمية، ومبادرات بناء السلام، وبرامج التبادل الثقافي.**

بإيجاز، تتطلب الهندسة الاجتماعية في مجتمع يحتاج إلى التعافي مثل العراق نهجاً تعاونياً ومتعدد الأبعاد، يشمل (المؤسسات الحكومية، والقادة السياسيين، ومنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات التعليمية، والزعماء الدينيين والثقافيين، والمجتمع الدولي، ووسائل الإعلام، والمواطنين الأفراد)؛ فهو يتطلب بذل جهود متضافرة لمعالجة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأساسية، وتعزيز الحكم الشامل، وبناء القدرة على الصمود في مواجهة الصراع وانعدام الاستقرار، وكل واحد من هؤلاء الممثلين قد يجلب وجهات نظر فريدة من نوعها. الموارد والقدرات لجهود الهندسة الاجتماعية في المجتمعات المضطربة مثل العراق، وبالتعاون وتنسيق جهودهم، يمكنها مجتمعة المساهمة في بناء مجتمعات أكثر مرونة وشمولية واستدامة، تعالج الأسباب الجذرية للصراع وانعدام المساواة والاستقرار[٤٣].

(43) The Centre for Preventive Action 2024, "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024.

٣-٨-٢. آليات التأثيرات للهندسة الاجتماعية:

تشير الهندسة الاجتماعية إلى التلاعب أو التأثير على الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات، لتحقيق نتائج أو أهداف محددة. ويشمل تقنيات واستراتيجيات وتكتيكات مختلفة، تهدف إلى تشكيل السلوكيات والمعتقدات والمواقف والأعراف الاجتماعية. يمكن للهندسة الاجتماعية أنْ تؤثر داخل المجتمع بوساطة آليات عدَّة:

- **الدعاية والتلاعب الإعلامي: كثيرًا ما تتضمن الهندسة الاجتماعية نشر الدعاية والتلاعب بالقنوات الإعلامية، لتشكيل التصورات والآراء والمواقف العامة، ومن خلال المعلومات الانتقائية والسرديات المتحيزة والرسائل المقنعة، يسعى الأفراد والمؤسسات إلى التأثير على الرأي العام، والسلوك بشأن قضايا أو أيديولوجيات محددة.**
- **تكييف التعليم: تؤدّي أنظمة التعليم الرسمية وعمليات التنشئة الاجتماعية غير الرسمية، دوراً حاسماً في الهندسة الاجتماعية، بغرسها القيم والمعتقدات والأعراف في الأفراد منذ سن مبكرة، إذ تستطيع الحكومات والمؤسسات الدينية والجماعات الأيديولوجية، استعمال المناهج التعليمية، والكتب المدرسية، والأنشطة الثقافية، لتعزيز أيديولوجيات وهويات ووجهات نظر عالمية معينة.**
- **آليات الرقابة الاجتماعية: تعتمد الهندسة الاجتماعية على أشكال مختلفة من الرقابة الاجتماعية، بما في ذلك القوانين واللوائح والأعراف والعقوبات غير الرسمية، لتنظيم السلوك والحفاظ على النظام الاجتماعي،**

وبإنفاذ القواعد والمعايير، تمارس السلطات والمؤسسات نفوذها على

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الأفراد والمجتمعات، وتشكيل أفعالهم وخياراتهم.

- التطور السيبراني: لقد وفر التقدم التكنولوجي سبلاً جديدة للهندسة الاجتماعية، بما في ذلك استعمال الخوارزميات، ومنصات الوسائط الاجتماعية، وأنظمة المراقبة؛ لرصد السلوك البشري، والتلاعب به، والتأثير عليه، ومن الممكن أن تعمل الإعلانات الموجهة، والتوصيات الخوارزمية، وغرف الصدى على الإنترنت، على تعزيز المعتقدات القائمة، واستقطاب الآراء، وتشكيل تفضيلات المستهلك.
- الاستثمار في الإنتاج الثقافي: تعمل المنتجات الثقافية، مثل الأدب، والفن، والموسيقى، والسينما، والتلفزيون، بوصفها أدوات مؤثِّرة للهندسة الاجتماعية، وتشكيل الهويات والقيم والتطلعات الجماعية. يجوز للحكومات والشركات ومجموعات المصالح، الترويج لروايات وتمثيلات ثقافية محددة، لتعزيز أجنداتها أو التأثير على الخطاب العام.
- تقنيات الإقناع النفسي: قد تستعمل الهندسة الاجتماعية إقناعاً نفسياً قائمًا على التقنيات الأيونية، مثل التأطير، والتهيئة، والتحيزات المعرفية، للتلاعب بعمليات صنع القرار والتأثير على السلوك الفردي، وباستغلال نقاط الضعف المعرفية والمحفزات العاطفية. تستطيع الهندسة الاجتماعية التأثير على الآراء، والحث على الامتثال، وتعزيز النتائج المرجوة.
- المجتمع والشبكات الاجتماعية: تعمل الهندسة الاجتماعية، في أكثر الأحيان، اعتمادًا على الشبكات الاجتماعية والمجتمعات والعلاقات الشخصية، ما يزيد من التأثير الاجتماعي وضغط الأقران لتشكيل السلوك والمواقف، وباستهداف الأفراد المؤثرين، وقادة الرأي، والفئات

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الاجتماعية، تستطيع الهندسة الاجتماعية نشر الرسائل، وحشد الدعم، وتحفيز العمل الجماعي.

- إدارة الإدراك: كثيرًا ما تتلاعب الهندسة الاجتماعية بالتصورات والواقع، لإنشاء السرد أو الصورة المرغوبة، يمكن أن يشمل ذلك تشكيل الرأي العام بوساطة معلومات انتقائية، أو تأطير الأحداث في ضوء معين، أو حتى اختلاق الأكاذيب، بالتحكم في السرد، يمكن للمهندسين الاجتماعيين التأثير على كيفية إدراك الأفراد لأنفسهم ومجتمعاتهم والعالم من حولهم، ما يؤدي في النهاية إلى تشكيل معتقداتهم ومواقفهم وسلوكياتهم. قد تتضمن تقنيات إدارة الإدراك استراتيجيات مثل «الإضاءة الغازية»، حيث يُشكَّك الأفراد في تصوراتهم وذكرياتهم، أو الترويج لنظريات المؤامرة لزرع الارتباك وانعدام الثقة.
- التكييف السلوكي: قد تستعمل الهندسة الاجتماعية تقنيات التكييف السلوكي لتشكيل السلوكيات والنتائج المرغوبة. يمكن أن يشمل ذلك المكافآت على الامتثال أو العقوبة على الانحراف، ما يدفع الأفراد إلى استيعاب الأعراف الاجتماعية والالتزام بها، كما يُستعمل تقنيات مثل التكييف الفعال، حيث تُعزَّز السلوكيات أو تُطفأ بالمكافآت والعقوبات، بشكل شائع في الهندسة الاجتماعية لتعديل السلوك.
- عمليات التنشئة الاجتماعية: تعمل الهندسة الاجتماعية بمساعدة عمليات التنشئة الاجتماعية التي تحدث داخل الأسر ومجموعات الأقران والمؤسسات الاجتماعية الأخريات، على الاهتمام بالإنسان وتطوره في محيطه الاجتماعي، ويتطلب أنْ يستوعب الأفراد المعايير والقيم والأدوار المجتمعية، التي توجه سلوكهم وتفاعلاتهم، وقد تسعى الهندسة الاجتماعية إلى التأثير على نشأة الإنسان الاجتماعي، بالترويج

دار الروضة للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

لأيديولوجيات أو روايات معينة، داخل المؤسسات التعليمية، والمنظمات الدينية، والمجموعات الثقافية.

- استغلال الأزمات: قد تستغل الهندسة الاجتماعية الأزمات، مثل الكوارث الطبيعية أو الركود الاقتصادي أو الاضطرابات السياسية، لتعزيز أجنداتها أو تنفيذ تغييرات لن تكون مقبولة في الظروف الاعتيادية، وبالإفادة من الخوف وفقدِ اليقين والرغبة في الاستقرار. تستطيع الهندسة الاجتماعية المضي قدماً في السياسات أو الأنظمة أو التغييرات الاجتماعية، التي ربما لم تكن ممكنة في أوقات الاستقرار.
- الحرب النفسية: في أوقات الصراع أو الحرب، تأخذ الهندسة الاجتماعية شكلاً أكثر علنية، بالاعتماد على تكتيكات الحرب النفسية، وتهدف هذه التكتيكات إلى تقويض معنويات العدو، وزرع بذور المعارضة داخل الجماعات المعارضة، والتلاعب بالرأي العام للحصول على مزايا استراتيجية. وقد تتضمن الحرب النفسية حملات دعائية، أو عمليات تضليل، أو عمليات نفسية (PSYOPS) تهدف إلى التأثير على معتقدات السكان المستهدفين ومواقفهم وسلوكياتهم.
- المراقبة والتحكم: يتيح التقدم في تقنيات المراقبة هندسة اجتماعية لمراقبة السكان، والسيطرة عليهم بفعالية أكثر، إذ تسمح أنظمة المراقبة، بما في ذلك كاميرات الدوائر التلفزيونية المغلقة، وبرامج التعرف على الوجه، وأدوات التتبع الرقمية، للسلطات بمراقبة وتنظيم السلوك الفردي، ويمكن أن يكون التهديد بالمراقبة أيضاً، بمنزلة شكل من أشكال السيطرة الاجتماعية، وتشكيل السلوك بوساطة الخوف من المراقبة والعقاب على الانحراف.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **تطبيع الانحراف: قد تعمل الهندسة الاجتماعية على تطبيع بعض السلوكيات أو المواقف التي كانت تعدُّ، في السابق، منحرفة أو غير مقبولة، وبإزالة التحسس التدريجي والتغييرات التدريجية، فإنَّهم يسعون إلى تغيير الأعراف والقيم المجتمعية مع مرور الزمن، وبتأطير السلوكيات المنحرفة على أنَّها مقبولة أو حتى مرغوبة. تستطيع الهندسة الاجتماعية تغيير البوصلة الأخلاقية للمجتمع، ما يجعله أكثر تقبلاً لأجنداتهم أو أهدافهم.**

بتصوُّر عام، تدخل الهندسة الاجتماعية حيز التنفيذ داخل المجتمع، بوساطة مجموعة من الآليات النفسية والثقافية والتكنولوجية والمؤسسية، التي تمارس التأثير على الأفراد والجماعات والمجتمعات، لتحقيق أهداف اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية محددة(٤٤).

٣-٨-٣. أسباب الحاجة الملحة للهندسة المجتمعية في العراق:

دعونا نستقرئ، الآن، لماذا نحتاج إلى التركيز في العراق على الهندسة الاجتماعية؟ في السياق العراقي يعد التركيز على الهندسة الاجتماعية أمراً بالغ الأهمية لأسباب عدَّة:

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

للعراق تاريخ معقد وإرث تاريخي يتسم بحالات من الحكم الاستبدادي والتوترات الطائفية والتدخل الخارجي، يمكن أن تساعد الهندسة الاجتماعية في معالجة القضايا المجتمعية عميقة الجذور، التي استمرت لعقود من الزمن وساهمت في فقد الاستقرار والصراع.

وكذلك العراق موطن لمجموعة متنوعة عرقيًّا ودينيًّا من السكان، تضم

(٤٤) مـ. الشناوي ٢٠١٢.

مجموعـات عرقيـة ودينية مختلفة، بـما في ذلك العرب، والأكـراد، والتركمان، والآشـوريون، والأيزيديـون، والأرمن، والمسـيحيون، والمسـلمون السـنة، والمسـلمون الشـيعة، يمكن لجهـود الهندسـة الاجتماعية أن تعزز الشـمولية والتسـامح واحـترام التنـوع، وتعزيـز التماسـك الاجتماعـي، والحـد مـن الانقسامات الطائفية.

وواجـه العـراق تحديات كبـيرة في **إعـادة الإعمار عقـب الصراعات**، بما في ذلـك حرب الخليـج، واحتلال العـراق، وصعود تنظيم داعـش، وأخيراً التظاهـرات التشرينيـة في عامـي ٢٠١٩ و٢٠٢٠، وتعـد مبادرات الهندسـة الاجتماعيـة ضروريـة لإعادة بنـاء الثقة بـين المجتمعات، وتعزيـز المصالحة، ومعالجة المظالم التي غذت العنف[٤٥].

ومـع وجـود عدد كبـير من الشـباب، فإنَّ الاسـتثمار في برامج الهندسـة الاجتماعية **تمكين الشباب**، يمكن أن يمكّن الشباب العراقي من أن يصبحوا مشـاركين نشطين في تشكيل مستقبل بلدهم، وبتوفير التعليم وفرص العمل ومنصـات المشـاركة المدنية. يمكن للهندسـة الاجتماعية توجيـه طاقتها نحو التغيير الاجتماعي الإيجابي.

بينما يواصل العراق انتقاله نحو الديمقراطية، يمكن للهندسة الاجتماعية أنْ تدعم بقوة عملية **التنمية الديمقراطية**، وتطوير المؤسسـات الديمقراطية،

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

(45) Relief Web Response (RW Response) is a specialised digital service of the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA), reports page on "Iraq", (Entry date: 30/04/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA; Allawi A.A. 2008;

صنـدوق الأمـم المتحـدة للإسـكان ٢٠١٨، «الاسـتراتيجية الوطنيـة لمناهضـة العنـف القائـم عـلى النوع الاجتماعـي ٢٠٣٠ – ٢٠١٨» ف.كـ. نظمـي واخـرون ٢٠٢٠، حـ. بوزارسـلان ٢٠١٥، د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

ومنظمات المجتمع المدني، وثقافة المشاركة السياسية، ويشمل ذلك تعزيز القيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وسيادة القانون.

نتهي إلى أنَّ الهندسة الاجتماعية ضرورية تعدُّ لبناء عراق أكثر **استقراراً وازدهاراً على المدى الطويل**، وبمعالجة الأسباب الجذرية للتحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإنَّه يضع الأساس للتنمية المستدامة والسلام والازدهار.

وعليه فالتركيز على الهندسة الاجتماعية في العراق أمر ضروري لمعالجة المظالم التاريخية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتمكين الشباب، وتعزيز القيم الديمقراطية، وتعزيز الاستقرار والازدهار على المدى الطويل[٤٦].

٣-٩. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والدولة:

يعد الإصلاح في الدولة العراقية ضرورة حتمية لضمان التنمية المستدامة والاستقرار الاجتماعي والسياسي، لقد عانى العراق، على مر العقود، من تقلبات سياسية وأزمات اقتصادية، ما جعل الدولة محور اهتمام المواطنين، في البحث عن الأمن والاستقرار والحقوق الأساسية، إلا أنَّ هذا الاعتماد الكبير على الدولة أدى إلى مشكلات عدَّة، أهمها تقليص دور المجتمع المدني، وتعزيز النزاعات الطائفية والعشائرية، عندما تفشل الدولة في تلبية احتياجات المواطنين[٤٧].

---

(٤٦) مـ. حجازي ٢٠٠٨.

(47) The Amnesty International 2024: p. 206; Dodge T. 2012; Mawlawi al-, A. 2020;

عـ. الوردي ٢٠٠٧، عـ. المولوي وغـ. المنهلاوي ٢٠٢٤.

٣-٩-١. أسباب الاعتماد على الدولة:

أما أسباب الاعتماد غير الطبيعي للعراقيين على الدولة أكثر من هيئات المجتمع الأخرى غير الحكومية، تعود لأسباب عدة وعوامل مترابطة، منها:

١. **تاريخ مركزية الحكم: يتمتع العراق بتاريخ من الحكم المركزي القوي، يعود تاريخه إلى الحضارات القديمة لبلاد ما بين النهرين، وعلى مر التاريخ أدَّت السلطة المركزية دوراً مهماً في تنظيم المجتمع، وتوفير الأمن، وإدارة الخدمات العامة، وقد ساهم هذا الإرث في خلق ثقافة يُنظر فيها إلى الدولة بعدِّها المزود الرئيس للموارد والخدمات.**

٢. **الحكم الاستبدادي: عززت عقود من الحكم الاستبدادي لحكام مثل صدام حسين، فكرة وجود دولة قوية تسيطر على جميع جوانب الحياة العامة، في ذلك الزمن، كانت مؤسسات الدولة مركزية وعسكرية، وكان المواطنون يعتمدون، في كثير من الأحيان، على الدولة في التوظيف والرفاهية والحماية، وقد استمر هذا الإرث من السيطرة المركزية، ما أدى إلى تشكيل تصورات المواطنين للدولة بعدِّها سلطة مركزية، وإنْ كان الدستور الأخير يدعو إلى اللامركزية.**

٣. **الاعتماد على الموارد: يعتمد الاقتصاد العراقي كثيرًا على عائدات النفط، التي تسيطر عليها الدولة وتوزعها؛ ونتيجة لذلك يعتمد أكثر العراقيين على الدولة في التوظيف، والإعانات، والخدمات الاجتماعية. إنَّ سيطرة الدولة على الموارد الاقتصادية الرئيسة، تعزز دورها بعدِّها المزود الرئيس لسبل العيش والرفاهية لجمٍّ غفير من المواطنين[٤٨].**

(48) International Energy Agency 2019, «Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future», April 2019; Ebel R.E. 2010.

٤. ضعف المجتمع المدني: منح العراق، تاريخياً، مساحة محدودة لمنظمات المجتمع المدني المستقلة، والحركات الشعبية؛ بسبب القمع السياسي والصراع، وعلى الرغم من النمو الذي شهده المجتمع المدني في العراق، منذ سقوط نظام صدام حسين، إلَّا أنَّه لا يزال ضعيفاً، نسبياً، مقارنة بالدولة؛ ونتيجة لذلك قد يلجأ المواطنون إلى الدولة، وليس المجتمع المدني، بعدِّها السبيل الرئيس لمعالجة احتياجاتهم وتظلماتهم، علماً أنَّ دائرة تحرك منظمات المجتمع المدني في المجتمع ضرورية لأنْ تكون مكملة لدور الدولة وليس بديلة.

٥. المخاوف الأمنية: واجه العراق تحديات أمنية كبيرة، بما في ذلك الإرهاب، والتمرد، والعنف الطائفي، في مثل هذه البيئة، قد يتطلع المواطنون إلى الدولة من أجل الحماية والأمن، وينظرون إليها بوصفها الضامن الرئيس للاستقرار والنظام، وأنَّ دور الدولة في الحفاظ على الأمن، يعزز أهميتها في نظر السكان.

٦. العقد الاجتماعي: هناك عقد اجتماعي متصور بين الدولة والمواطنين، إذ من المتوقع من الدولة توفير الرفاهية والأمن للسكان، مقابل الولاء والطاعة، وهذا العقد الاجتماعي برغم أنَّه ضمني، في أحيان كثيرة، لكنه يعزز اعتماد المواطنين على الدولة، لتلبية الاحتياجات والخدمات الأساسية.

٧. الأعراف الثقافية: قد يكون لدى المجتمع العراقي أعرافٌ ثقافيةٌ، تعطي الأولوية للرفاهية الجماعية والتماسك الاجتماعي، ما قد يؤدي إلى الاعتماد على المؤسسات المركزية مثل الدولة، لتوفير المصلحة العامّة، وقد تؤثر مفاهيم مثل الوساطة (الاتصالات) والشورى (التشاور)، على الأفراد؛ لطلب المساعدة، وحل المشكلات بالاتّكاء على القنوات الرسمية، بما في

ذلك الوكالات الحكومية.

٨. انعدام البدائل: في أجزاء كثيرة من العراق، ولاسيما في المناطق الريفية والمهمشة، قد تكون هناك بدائل محدودة للخدمات والدعم الذي توفره الدولة، وقد تكون تنمية القطاع الخاص والمنظمات المجتمعية والكيانات غير الحكومية، متخلفة، أو لا يمكن الوصول إليها، ما يُصيِّر الدولة الخيار الوحيد القابل للتطبيق لتلبية الاحتياجات الأساسية.

٩. المحسوبية السياسية: يمكن لشبكات المحسوبية السياسية، التي ترتبط، في كثير من الأحيان، بالانتماءات الطائفية أو العرقية او الحزبية، أن تؤدّي دوراً مهماً في توزيع الموارد والوصول إلى الفرص، وقد يعتمد المواطنون على القادة السياسيين والأحزاب المتحالفة مع الدولة، لتأمين المزايا والخدمات والحماية، ما يعزز اعتمادهم على مؤسسات الدولة.

١٠. تحسين مستوى التعليم: قد يروج نظام التعليم ووسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة في العراق، لخطابات تؤكد على أهمية الدولة في بناء الأمّة وتنميتها وأمنها، فمنذ الصغر، قد تجري تنشئة العراقيين اجتماعياً على النظر إلى الدولة بعدِّها السلطة المطلقة والمزود، ما يشكل مواقفهم وسلوكياتهم تجاه مؤسسات الدولة.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

١١. الصدمة التاريخية: شهد العراق عقوداً من الصراع والقمع والاضطرابات، التي يمكن أن تترك نتائج سلبية نفسية دائمة على الأفراد والمجتمعات، في أوقات فقد اليقين وانعدام الأمن، قد يبحث الناس عن ملجأ في المؤسسات التي يُنظر إليها على أنها مستقرة وقوية، مثل الدولة، بوصفها مصدرًا للحماية والاستقرار.

١٢. الإطار القانوني: الإطار القانوني في العراق قد يعزز سلطة الدولة ومركزيتها في الحكم والحياة العامة، وقد تمنح القوانين واللوائح صلاحيات واسعة النطاق لمؤسسات الدولة، مع الحد من استقلالية ومن نفوذ الجهات الفاعلة غير الحكومية، ما يزيد من ترسيخ هيمنة الدولة على المجتمع.

تتفاعل العوامل المذكورة فيما بينها بطرائق معقدة لتشكيل اعتماد العراقيين على الدولة، ما يؤثر على مواقفهم وسلوكياتهم وتوقعاتهم فيما يتعلق بالحكم والرفاهية والأمن، وتتطلب معالجة هذا الاعتماد إصلاحات شاملة تعزز اللامركزية، والمساءلة، وسيادة القانون، وتمكين الجهات الفاعلة غير الحكومية، ما يعزز نظام بيئي مجتمعي أكثر توازناً ومرونة[٤٩].

٣-٩-٢. الأطراف البديلة عن الدولة:

عندما تعجز الدولة عن توفير الأمان والخدمات الأساسية، يلجأ المواطنون إلى الهياكل الاجتماعية التقليدية مثل العشيرة والطائفة، وهناك عوامل عدَّة تدفع الأفراد إلى الالتفاف حول هذه الهياكل، وكيف يمكن أن تكون العشيرة والطائفة مصادر دعم بديلة، توفر الحماية الاجتماعية والاقتصادية، وقد شهدنا في السنوات الأخيرة تطورات مختلفة في المجتمع العراقي، منها:

ظهور وصعود المنظمات غير الحكومية والمجموعات المجتمعية والحركات الشعبية؛ لسد الفجوات في تقديم الخدمات، والدفاع عن حقوق

(49) Dodge T. 2012;

عـ. المولوي وغـ. المنهلاوي ٢٠٢٤.

الفئـات المهمشـة ومصالحها، وكثـيراً ما تعمل هذه المنظمات باسـتقلالية عن الدولة، وقد تحظى بثقة المواطنين المحبطين.

وفي بعـض المناطـق، نـرى بوضوح ازديـادًا في أهميـة **الشـبكات القبلية والدينيـة**، التـي توفِّـر دورًا مهـمًّا في الدعـم الاجتماعـي، وحـل النزاعـات، والحفاظ على النظام، وقد توفر هذه الشبكات مصدراً بديلاً للحكم والحماية للمجتمعات، عندما تشعر بالإهمال من لدُنِ الدولة.

مـن جانـب آخـر أدى غيـاب مؤسسـات الدولـة الرسـمية إلى **ازدهار الاقتصادات غير الرسـمية، بما في ذلك** الباعة الجائلون، وأسـواق العمل غير الرسمية، وأنشطة السوق السوداء، وبينما توفر هذه الاقتصادات سبل العيش لطيف واسـع من العراقيين، فإنَّها تعمل، أيضـاً، خارج الأطر القانونية، وقد تؤدي إلى تفاقم انعدام المساواة الاجتماعية.

وسـط كل هذا الصعود للأطـراف البدائل عن الدولة نرى **تلقى العراق الدعـم من المنظـمات الدوليـة والحكومات الأجنبيـة والوكالات الإنسـانية؛** لمعالجـة الأزمـات الإنسـانية، وإعـادة بنـاء البنيـة التحتيـة، وتعزيـز الحكم، وقـد يتطلع المواطنـون إلى هذه الجهـات الخارجية، للحصول على المسـاعدة والتوجيه، عندما تفشل مؤسسات الدولة في تلبية احتياجاتهم.

بتصـوّرٍ عام، يمكن أن يؤدي فقدان الثقة بمؤسسـات الدولة، إلى زيادة الاعتـماد عـلى مصادر بديلة للدعـم والحوكمة، بما في ذلـك منظمات المجتمع المدني، والشـبكات التقليدية، والاقتصادات غير الرسمية، والجهات الفاعلة الدولية. ومع ذلك، يظل بناء الثقة في الدولة أمراً ضرورياً، لتعزيز الاستقرار والشمولية والازدهار في العراق.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٣-٩-٣. معالجات لتقليل الاعتماد على الدولة:

مـن جانب آخـر تتطلب معالجة أزمة اعتماد العراقيـين على الدولة، اتباع نهـج متعدد الأوجه يعـزز التمكين الفـردي، وقدرة المجتمع عـلى الصمود، والتحول نحو مجتمع أكثر مسـاواة وتشـاركية، وفيما يأتي بعض الاقتراحات والحلول لمساعدة العراقيين، على اتخاذ تدابير لحل هذه المشكلة:

تشـجيع نمو وتمكـين منظمات المجتمع المـدني، والمجموعات المجتمعية، والمبادرات الشـعبية، التي يمكنها تقديم الخدمـات الاجتماعية، والدفاع عن حقوق المواطنين، وتعزيز مرونة المجتمع باستقلالية عن دعم الدولة، وتمكين المواطنين من المشاركة بفعالية في جهود الحوكمة، والمناصرة، وتنمية المجتمع، من أجل مساءلة المؤسسات الحكومية، وصياغة السياسات العامة.

الاسـتثمار في المبادرات التي **تعزز التمكين الاقتصادي**، وريادة الأعمال، وخلـق فرص العمـل على المسـتوى المحـلي، وتوفـير التدريـب، والوصول إلى رأس المـال، ودعـم تطويـر الأعمال؛ لمسـاعدة الأفـراد والمجتمعات على توليد سـبل عيش مسـتدامة، وتقليل الاعتماد على برامـج الرعاية الاجتماعية الحكوميـة، ولعـل تمكـين الاقتصـاد يمكـن أنْ يزداد **بتشـجيع التعـاون بين القطاعين العـام والخاص**، لتقديم الخدمات الأساسـية، وتلبية الاحتياجات المجتمعيـة، ومـن الممكـن أن تُفيد الـشراكات بين القطاعين العـام والخاص من نقاط القوة في القطاعين كليهما، لتحسـين تقديم الخدمات، وتطوير البنية التحتية، والنمو الاقتصادي.

إعطـاء الأولويـة للاسـتثمارات في التعليـم والتدريـب عـلى المهـارات وبنـاء القدرات و**الاسـتثمار في تنميـة رأس المال البشري** لتمكـين الأفراد من

دار وممدوح الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

المساهمة بشكل هادف في المجتمع والاقتصاد، إذ إنَّ تزويد المواطنين بالمعرفة والمهارات يعزز قابليتهم للتوظيف، وإنتاجيتهم، وقدرتهم على الصمود في مواجهة الصدمات الاقتصادية.

دعم نمو المؤسسات الاجتماعية والمشاريع الريادية، التي تعالج التحديات الاجتماعية والبيئية، مع توليد مصادر دخل مستدامة، وتعمل ريادة الأعمال الاجتماعية، على تمكين الأفراد من خلق تأثير اجتماعي إيجابي، وبناء مجتمعات مرنة من الداخل، وهنا ضروري أيضاً أنْ نفكر في كيفية **تقوية وتوسيع برامج الرعاية الاجتماعية**، لتوفير مستوى أساسيٍّ من الدعم والمساعدة للفئات السكانية الضعيفة، بما في ذلك الفقراء وكبار السن والمعاقين، والتأكد من أنَّ الخدمات الاجتماعية متاحة ومنصفة، وتستجيب لاحتياجات شرائح المجتمع كلها[٥٠].

إعطاء الأولوية لمبادرات المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، بما يتيح لها المشاركة الكاملة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إنَّ تمكين المرأة يعزز الأسر والمجتمعات والاقتصاد، ما يؤدي إلى مجتمعات أكثر شمولاً ومرونةً، فضلا عن المساوات بين الجنسين، نحتاج إلى أنْ نفكر في كيفية تسهيل **الحوار والتعاون بين الأجيال**؛ لتسخير حكمة الفئات العمرية المختلفة وخبرتها وطاقتها، وكذلك لتوفير التماسك الاجتماعي، والدعم المتبادل، وتعزيز الشعور بالمسؤولية الجماعية عن رفاهية المجتمع.

تعزيز الشفافية والمساءلة: تحسين الشفافية والمساءلة والنزاهة في المؤسسات الحكومية لبناء ثقة الجمهور، وتعزيز تدابير مكافحة الفساد، وتشجيع

---

(٥٠) وزارة التخطيط والبنك الدولي٢٠١٨ ، «إستراتيجية التخفيف من الفقر في العراق ٢٠١٨-٢٠٢٢»، (تاريخ الدخول ٢٢/ ٣/ ٢٠٢٤).

المبـادرات الحكومية المفتوحة، وضـمان إدارة الموارد العامة بطريقة مسـؤولة وفعالة لمصلحة المواطنين كافة.

الدعـوة إلى **تعزيـز سياسـات اللامركزية** التي تمكن المجتمعـات المحلية، والمناطـق من اتخاذ القرارات وإدارة الموارد بشـكل مسـتقل، ومن الممكن أن يـؤدي نقل السـلطة مـن الحكومة المركزيـة، إلى الكيانات المحليـة، إلى تعزيز الابتكار والمسـاءلة والاستجابة للاحتياجات المحلية، ولعل جزءًا من عملية تعزيـز اللامركزيـة سـتكون **بنقـل السـلطة والمـوارد إلى الحكومـات المحلية والبلديـات**، لتمكينها من تلبية احتياجات وأولويات مجتمعاتها بفعالية أكبر، وتمكين القادة والمؤسسـات المحلية، من مشـاركة المواطنين في عمليات صنع القرار، وتقديم الخدمات الأساسية على المستوى الشعبي.

توسـيع **الوصول إلى التقنيـات الرقمية وموارد المعلومات، لسـد الفجوة الرقميـة**، وتمكين المواطنين من الوصـول إلى المعلومات والخدمات والفرص عبر الإنترنت، ويمكن لمبادرات الشـمول الرقمي أنْ تعزز المشـاركة المدنية، والمشاركة الاقتصادية، والتواصل الاجتماعي.

تعزيـز ثقافـة الابتـكار والإبـداع وحـل المشـكلات، التي تمكـن الأفراد والمجتمعـات من إيجاد حلـول جديدة للتحديات المعقدة، وإن الاسـتثمار في البحـث والتكنولوجيا وريـادة الأعمال، يمكـن أن يطلق العنـان لإمكانات المجتمع العراقي، لدفع التغيير والتحول الإيجابي.

دمـج مبـادئ الاسـتدامة البيئية في سياسـات وممارسـات التنميـة، لحماية المـوارد الطبيعية، والتخفيف من آثار تغير المناخ، وتعزز الإدارة البيئية مرونة المجتمع، وتساهم في الاستدامة والرفاهية على المدى الطويل.

بتبنـي هذه الاقتراحات والحلـول، يمكن للعراقيين أن يقللـوا، تدريجياً،

مـن اعتمادهم على الدولة، وينشـئوا مجتمعـاً أكثر حيوية ومرونـة وتمكيناً، إذ يمارس الأفراد والمجتمعات أدوارًا نشـطة في تشكيل مصائرهم، والمساهمة في المصلحة العامّة. فضلًا عن الاسـتمرار في البناء على نقاط قوتهم وتطلعاتهم، لإنشاء مجتمع أكثر مرونة وشمولاً واعتماداً على الذات، حيث يزدهر الأفراد والمجتمعات بشـكل مسـتقل، بينـما يسـاهمون في الرخاء الجماعـي، ورفاهية الشعب العراقي[٥١].

٣-١٠. الطريق نحو التقدم – الإصلاح والقيادة المرجوة:

٣-١٠-١. القيادة المرجوة:

لا تستقيم القيادة من دون تمتع من يتصدى لها بجميع الصفات المذكورة، فالقيادة التي تتصدر لحكم بلد مثل العراق، يجب أنْ تمثل الجميع، ولا تقتصر على الفئة، الإثنية أو الطائفية أو القومية، التي تنتمي إليها فقط، وحكيمة تلهم الأمل وتحشد المواطنين، ومستجيبة لاحتياجات الشعب وتطلعاته، ومخلصة تتمتع بالأخـلاق العالية والنزاهة، ومتعاونة لحل المشـكلات والقضايا التي تواجـه العراقيـين، وغـير محتكـرة للسـلطة، وتتخذ مـن اللامركزية أسـلوباً أمثـل لـلإدارة، وتتمتع بالمرونة والقـدرة على التكيف والتعلـم من الأخطاء ومعالجتهـا، وحـل النزاعـات، والقدرة على الإيثـار، وتسـخير التكنلوجيا، وتحقيـق التنمية، ويجب، بدءًا، أن تكون شـجاعة وقادرة على اتخاذ القرارات الجريئة والضرورية.

بتجسـيد هذه الصفات والأسـاليب القيادية، يسـتطيع القادة العراقيون إلهـام الثقـة، وتعزيز الوحـدة، وقيـادة بلادهم نحو مسـتقبل أكثر اسـتقراراً

(٥١) عـ. المولوي وغـ. المنهلاوي ٢٠٢٤.

وازدهـاراً وشـمولاً، وعنـد التعمـق في نسـيج التاريـخ العراقـي المعقـد، لا يسـتطيع المـرء أن يتجاهل التأثـير العميق للديكتاتورية عـلى النفس الجماعية للأمـة، وبعيـداً عن مرحلة حكم نظام صدام حسـين سـيئ السـمعة، ألقت العديـد مـن الأنظمـة الاسـتبدادية الأخرى بظلالهـا على شـخصية المواطن العراقـي، إذ ترك كل منها بصماته التي لا تمحى بسـهولة على نسـيج المجتمع وذاكرته الجماعية[٥٢].

٣-١٠-٢. السيستاني والقيادة التاريخية – أنموذجًا:

أية الله العظمى علي الحسـيني السيستاني، أحد أكثر الشخصيات الدينية تأثـيراً في العراق، شـخصية معاصرة جليلة، اسـتطاعت أن تكسـب ثقة كل أطيـاف المكونـات العراقيـة، ولاسـيما دوره في الحفاظ على وجوديـة الدولة والسلم الأهلي. لهذا الرجل الجليل تأثير عميق على المجتمع العراقي وبطرائق عدَّة، منها:

١. **السـلطة الدينية والإرشاد: بصفته مرجعًا دينيًّا يحظى باحترام كبير داخل المجتمع الإسـلامي الشيعي، يتمتع آية الله العظمى السيستاني بنفوذ كبير على التفسـيرات والممارسـات والطقوس الدينية في العـراق، إذ إنَّ فتاواه وتوجيهاتـه في مسـائل الإيمان والأخلاق والسـلوك الاجتماعـي، يتبعها ملايين المسلمين الشيعة في العراق وحول العالم على نطاق واسع.**

(52) Sandell K. 2012; Deng C. et al. 2023; "What is transformational leadership? Understanding the impact of inspirational guidance", University of Massachusetts Global, (Entry date: 05.05.2024); Trevor J. & Hill R. 2012; Karimi S. et al. 2023; "The Transformational Leadership Report", TL Publications 2007, (Entry date: 05.02.2024).

٢. التأثير السياسي وحسم الكثير من النزاعات السياسية: أدَّى آية الله العظمى السيستاني دوراً محوريًّا، في تشكيل المشهد السياسي العراقي، والتوسط في النزاعات السياسية، وقد ساعدت تدخلاته في حل الأزمات السياسية، والتوسط في اتفاقيات تقاسم السلطة، وتعزيز جهود المصالحة الوطنية، وقد أيَّد اتِّبَاع الطرق السلمية والحوار في الاستقرار السياسي، والتحول الديمقراطي في العراق.

٣. تعزيز الديمقراطية والحقوق المدنية: يُوصف آية الله العظمى السيستاني بأنَّه مدافع قوي عن الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحريات المدنية في العراق، وقد دعا إلى إجراء انتخابات حرة ونزيهة، وحماية حقوق الأقليات، وتشكيل حكومة مسؤولة أمام الشعب، وقد أدى دعمه للحكم الديمقراطي إلى تعزيز انتقال العراق إلى نظام سياسي أكثر شمولاً وتمثيلاً[٥٣].

٤. السلطة الأخلاقية والعدالة الاجتماعية: يُعدّ آية الله العظمى السيستاني، على نطاق واسع، رمزاً للسلطة الأخلاقية، والعدالة الاجتماعية في العراق، وقد ألهم تركيزه على السلوك الأخلاقي، والرحمة، والتضامن، كثيرًا من العراقيين للمشاركة في الأنشطة الخيرية، وخدمة المجتمع، وبرامج الرعاية الاجتماعية، وقد ساعدت دعوته لحقوق الفقراء والمهمشين والضعفاء، في معالجة انعدام المساواة الاجتماعية، وتعزيز التماسك الاجتماعي.

٥. الدور في التعليم الديني والمنح الدراسية: مارس آية الله العظمى

(53) The Amnesty International 2024: p. 206.

السيستاني دوراً حاسماً في التعليم الديني والعلم في العراق، إذ أشرف على المعاهد الدينية والمؤسسات الدينية التي تدرب رجال الدين والعلماء في المستقبل، وقد ساهم تركيزه على التسامح الديني، والحوار، والبحث الفكري، في خلق خطاب ديني أكثر انفتاحاً وتنوعاً في المجتمع العراقي.

٦. قوة الاستقرار في أوقات الأزمات: خلال الأوقات وفي ظل الاضطرابات السياسية والصراع وانعدام الأمن، كان آية الله العظمى السيستاني بمنزلة قوة استقرار، وحث على الهدوء وضبط النفس والوحدة بين العراقيين، وقد ساعدت تدخلاته في منع المزيد من تصعيد العنف والتوترات الطائفية، وتعزيز الوحدة الوطنية والتضامن[٥٤].

٧. دوره المتميز في محاربة داعش والعصابات الإرهابية: كان لدور السيد علي السيستاني، أهمية كبيرة في محاربة داعش والعصابات الإرهابية في العراق، وقد تمثل هذا الدور في جوانب عدَّة، منها الإصدارات الدينية والفتاوى، والدعم السياسي للحكومة العراقية في معركتها ضد داعش الإرهابي، وكان يشجع على التعاون بين الأطياف السياسية والمجتمعية المختلفة لمواجهة التهديد الإرهابي، وكذلك مع التأثير الاجتماعي، وكان لتوجيهاته ومواقفه الدينية تأثير كبير على الجماهير، وهذا ساهم في تعزيز الوعي بخطر التطرف والإرهاب، وتعزيز روح المقاومة ضدهم، وأخيراً

(54) Relief Web Response (RW Response) is a specialised digital service of the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA), reports page on "Iraq", (Entry date: 30/04/2024); "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 2018-2030", UNFPA;

صندوق الأمم المتحدة للإسكان ٢٠١٨، «الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي ٢٠١٨ – ٢٠٣٠»، حـ. بوزارسلان ٢٠١٥، د. سي نورث وآخرون (ت.) ٢٠١٦.

تبنيه للدعم الإنساني، إذ قامت مؤسسات ومنظمات تابعة للمرجعية الدينية، بتقديم دعم إنساني ومساعدات للنازحين والمتضررين من أعمال داعش، ما أسهم في تخفيف معاناتهم وتعزيز الوحدة الوطنية(٥٥).

بتصوّرٍ عام، فإن تأثير آية الله العظمى علي السيستاني على المجتمع العراقي متعدد الأوجه، ويشمل الأبعاد الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، وقد ساعدت قيادته في تشكيل مسار مرحلة ما بعد نظام صدام في العراق، وتطلع بجهوده في إرساء الديمقراطية والمصالحة والعدالة الاجتماعية في البلاد.

إنَّ الظل الذي يلوح في الأفق لآية الله العظمى علي الحسيني السيستاني، له تأثير عميق على السياسة العراقية، ومن المتوقع أن يرسل غيابه عن المشهد في العراق _ بعد عمر طويل إن شاء الله _ موجات من التغيير والتحدي في جميع أنحاء البلاد.

لعقود من الزمن، كان السيستاني شخصية بارزة، ليس داخل المجتمع الشيعي فحسب، بل عبر المشهد الديني والسياسي المتنوع في العراق، ومما لا شك فيه فإنَّ غيابه سيترك فراغاً كبيراً، سيؤثر على السياسة العراقية والمجتمع العراقي بطرائق مختلفة الأوجه(٥٦).

---

(55) Sayej C. 2019; Jiyad S. 2023; Khalil L. 2019; The Associated Press 2021, "Shiite powerhouse al-Sistani helped shape today's Iraq", published in March 6, 2021; Alshamary M. 2021; Alshamary M. 2021; Slavin B. 2019; Mamouri A. & Khalaji M. 2019;

«السيد السيستاني قائد استثنائي يحمل روح الابداع في مواقفه القيادية»، مقال نشر على موقع مؤسسة الامام علي/ لندن، (تاريخ الدخول: ٧/ ٦/ ٢٠٢٤)، عـ. الربيعي ٢٠٢٢ ص. عبدالرزاق ٢٠١٩.

(٥٦) المصادر اعلاها.

٣-١١. الطريق نحو التقدم – المركزية مقابل اللامركزية والوحدة الوطنية:

في المنظـور العراقـي، يمكـن تعريف الوحـدة الوطنية على أنها الشـعور بالانتـماء والـولاء للوطن الواحد، والتمسـك بالهوية الوطنية المشـتركة التي تجمع بين الطوائف والأعـراق والثقافات المختلفة داخل العراق، وعليه فإن الوحدة الوطنية تعني، هنا، العمل المشـترك والتعاون بين أفراد المجتمع، من جميع الطبقات والمناطق لتحقيق مصالح الوطن ورفاهيته.

كذلـك تعني الوحدة الوطنية أيضاً الانسـجام المجتمعي على الرغم من الاختلافـات، حيث يعمل أفـراد المجتمع على التعايش السـلمي، والتفاهم المتبـادل، برغـم اختلاف الأفكار والمعتقـدات والثقافات، كـما تعني، أيضاً، الالتـزام بالقيـم الوطنيـة المشـتركة، مثـل العدالة والحريـة والمسـاواة، ومع ذلـك، فإنَّ الوحـدة الوطنية لا تقتصر على التوافقات السياسـية، كتحالفات الأحـزاب لتشـكيل الحكومـة؛ بـل تتعدى ذلـك إلى بنـاء نظام حكـم يتمتع بشرعية وشمولية، ويحظى بقبول شرائح المجتمع المختلفة.

مـن جانـب آخـر، ولاسـتكمال حلـول تقويـة أواصر التماسـك الاجتماعـي، وربطهـا بالوحدة الوطنيـة، نحتاج إلى فهم الاختيـار في الحكم بـين المركزيـة واللامركزية؛ لأنه يمكـن أن يكون له تأثير كبير على التماسـك الاجتماعي، ولكل من النهجين مزاياه وتحدياته، ويعتمد تأثيرهما على عوامل مختلفة، بما في ذلك السـياق المحدد، والتنوع الثقافي، والخلفية التاريخية، وفيما يلي نظرة عامة على تأثير المركزية واللامركزية على المجتمع:

مزايا المركزية:

- **التوحيد:** يمكن للمركزية أن توفر نهجاً موحداً للإدارة، ما يضمن الاتساق في السياسات والممارسات في أنحاء البلاد كافّة، وقد يسهم هذا التوحيد في الشعور بالهوية الوطنية.
- **الكفاءة:** يمكن أن تكون عملية صنع القرار المركزية أكثر كفاءة، لاسيما في تنفيذ المشاريع واسعة النطاق، أو الاستجابة للأزمات الوطنية.

تحديات المركزية:

- **التهميش:** قد تؤدي المركزية إلى تهميش الأصوات ووجهات النظر المحلية، وقد تشعر المجتمعات بأنَّها بعيدة عن عمليات صنع القرار، ما يؤدي إلى الشعور بالاغتراب.
- **عدم الحساسية الثقافية:** قد لا يعالج النهج الموحد الذي يناسب الجميع التنوع الثقافي داخل البلد بشكل كافٍ، ما قد يؤدي إلى فقد الحساسية الثقافية وانعدام الرضا بين مجتمعات معينة.

المركزية والتماسك الاجتماعي:

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **الوحدة الوطنية:** يمكن للمركزية أنْ تساهم في الشعور بالوحدة الوطنية، بالتأكيد على مجموعة مشتركة من القيم والسياسات.
- **الاغتراب المحتمل:** إذا تجاهلت عملية صنع القرار المركزية تنوع الثقافات ووجهات النظر المحلية، فقد يؤدي ذلك إلى مشاعر الاغتراب بين مجموعات معينة.

مزايا اللامركزية:

- **التمكين المحلي:** تعمل اللامركزية على تمكين المجتمعات المحلية، بمنحها

المزيد من السيطرة على عمليات صنع القرار، الذي من الممكـن أن يؤدي إلى مشـاركة مجتمعية أكبر والشـعور بالملكية.

- **الحساسـية الثقافيـة**: كثـيرًا ما تكون هياكل الحكم المحـلي في وضع أفضل، لفهـم، ومعالجـة الديناميكيـات الثقافيـة والاجتماعية الفريدة لمجتمعاتها.

تحديات اللامركزية:

- **تبايـن الاتسـاق**: قـد تـؤدي اللامركزيـة إلى اختلافـات في السياسـات والخدمات بين المناطق، وعلى الرغم من أنَّ هذا يسمح بالمرونة، فإنَّه قد يـؤدي، أيضاً، إلى تناقضات قد تؤدي إلى تفاقم انعدام المساواة الاجتماعية.
- **تحديات القدرات**: قد تفتقر بعض الحكومات المحلية إلى القدرات والموارد اللازمة لإدارة مسـؤوليات معينة بشكل فعال، ما يؤثر على جودة الخدمات المقدمة.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

اللامركزية والتماسك الاجتماعي:

- **الهوية المحلية**: اللامركزية يمكن أنْ تعزز الهويات المحلية، وتعزز الشـعور بالانتماء بين المجتمعات المتنوعة.
- **التجزئـة المحتملـة**: على الجانـب الآخر، إذا أدت اللامركزيـة إلى تفاوتات كبـيرة بـين المناطـق، فقد يـؤدي ذلـك إلى مجتمـع مجزأ بمستويات متفاوتة من التنمية والخدمات.

توصيات مفيدة لأصحاب القرار في عملية تحقيق الوحدة الوطنية:

تمثل الشخصية العراقية مزيجاً فريداً من الثقافة والدولة والدين؛ إذ تمتزج هذه الأبعاد الثلاثة لتشكل هوية الأفراد والجماعات، في ظل التاريخ العريق والتحديات الراهنة، تسعى القوى العراقية، اليوم، إلى تحقيق المصالحة الوطنية، والوحدة بين أبناء الشعب، ولكنَّ تحقيق الوحدة الوطنية يتطلب خطوات عملية ملموسة، وتوصيات مستندة إلى الفهم العميق للعلاقة بين الثقافة والدولة والدين، مع التركيز على التحديات الخاصة بالعراق[٥٧].

والآن بعد أنْ بيَّنَّا مزايا المركزية واللامركزية، ضروري أن نترجم هذا الفهم والإدراك إلى خطوات عملية لأصحاب القرار؛ ولاسيما مع سعيهم إلى تحقيق مصالحة وطنية بين أبناء الشعب الواحد، هنا الخطوات العملية والتوصيات لتحقيق الوحدة الوطنية في العراق تتطلب:

إصلاح النظام السياسي بتطبيق اللامركزية بشكل متوازن؛ إذ يجب أن يكون هناك توزيع عادل للسلطات بين الحكومة المركزية والمحافظات، مع تعزيز قدرة المحافظات على إدارة شؤونها الداخلية، وهذا يمكنه أنْ يقلل من التوترات المناطقية، ويوفر حلًّا محليًّا للمشكلات، وكذلك ضروري أن يشمل هذا الإصلاح السياسي قرارًا بتحسين الشفافية والمساءلة؛ فبتعزيز مؤسسات الرقابة والمحاسبة لضمان الاستعمال الفعال والعادل للموارد، وتطبيق نظام الشفافية، سيزيد من ثقة المواطنين في الحكومة.

وكذلك هناك حاجة لتحقيق العدالة والمساواة بإصلاح المنظومة القضائية؛ إذ يجب أن يكون القضاء مستقلاً وغير متحيز، لضمان تحقيق العدالة

(57) Dodge T. 2012.

للجميع، وتحسين نظام العدالة يساهم في استقرار المجتمع، وكذلك محاربة الفساد بتبني استراتيجية وطنية شاملة لمكافحة الفساد، في جميع المؤسسات الحكومية والخاصة، فالفساد يقوض الثقة في الدولة ويعوق التنمية.

تعزيز التماسك الاجتماعي، أيضاً، مهم جداً لتحقيق الوحدة الوطنية، وهذا يحصل بوساطة برامج المصالحة الوطنية، وإطلاق حملات ومبادرات للمصالحة بين الطوائف، والمجموعات العرقية المختلفة، وتشجيع الحوار بين المجتمعات؛ لتعزيز التفاهم المتبادل، كما نحتاج إلى تعزيز الهوية الوطنية، بالتركيز على القواسم المشتركة بين العراقيين، اتكاءً على المناهج التعليمية والإعلام، لتعزيز الهوية الوطنية الشاملة.

أيُّ عملية وحدة وطنية لا تكتمل، إلَّا بعد أخذ الأبعاد التنموية والاقتصادية والاجتماعية بنظر الاعتبار، هنا سنحتاج إلى تطوير البنية التحتية والاستثمار في مشاريعها، لرفع مستوى الخدمات، وتوفير فرص عمل جديدة، ما يساهم في الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك تحقيق التنمية المتوازنة بتوزيع الموارد والثروات بعدالة بين المناطق المختلفة؛ لضمان التنمية المستدامة والشاملة، ما يقلل من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

إصلاح النظام التعليمي، مع إطلاق برامج توعية ضرورية لأي برامج وحدة وطنية؛ وهنا تطوير المناهج التعليمية لتعزيز قيم التسامح والتعايش وقبول الآخر مهم؛ لأنَّه سيساهم في بناء جيل واعٍ وقادر على مواجهة التحديات، ولاسيما إذا أطلقت معه حملات توعية لتعزيز مفهوم المواطنة، والمسؤولية الاجتماعية بين المواطنين.

موضوع الانفتاح على المجتمع المدني، بدعم منظماتها، وتشجيعها على

تعزيز التماسك الاجتماعي، والتعايش السلمي مهم كونه سيساهم في بناء مجتمع مدني قوي، وهذا لا يمكن ان يحصل من دون إشراك المجتمع المحلي، وتعزيز دوره في عمليات صنع القرار، وتحديد الأولويات التنموية، ما يعزز الشعور بالملكية والمسؤولية المشتركة.

الوحدة الوطنية لا يمكن أن تحصل، ويؤمن المواطن بأهمية دوره، إلا بعد تعزيز الأمن والاستقرار، وإعادة بناء الثقة بين المواطن والدولة، بتحسين الخدمات الأمنية، وضمان حقوق الإنسان، ما يساهم في استقرار المجتمع، غير ناسين أهمية مكافحة الإرهاب، والسيطرة على السلاح المنفلت، بتبني استراتيجية شاملة لمكافحة الإرهاب والتطرف، بالتعاون مع دول الجوار والمجتمع الدولي، لضمان أمن العراق واستقراره.

تحقيق التوازن بين المركزية واللامركزية واحد من أهم التحديات التي ستواجه العراق، في موضوع ترسيخ الوحدة الوطنية؛ فهو سيكون المنطلق للتوزيع العادل بين سلطات الحكومة المركزية المختلفة، والحكومات المحلية، بما يضمن تحقيق التوازن، ويعزز الوحدة الوطنية، وهذا لا يمكن أنْ يحصل من دون إجراء تقييمات دورية لفعالية السياسات اللامركزية، وتعديلها بناءً على النتائج والمستجدات.

Al-Rewaq Publishing House

تشجيع الحوار الوطني اعتمادًا على المؤتمرات والملتقيات الوطنية، وعقدها دوريًّا لمناقشة القضايا الوطنية. ولعلَّ التحديات المشتركة مهمة وضرورية لترسيخ الوحدة الوطنية، وهذا يتطلب إشراك القيادات الدينية والعشائرية في عملية الحوار الوطني؛ لتعزيز التفاهم والتعاون بين فئات المجتمع عامّة.

أخيراً تطوير السياسات والبرامج الاجتماعية، التي تهدف إلى تحسين مستوى المعيشة. ولعلَّ توفير الحماية الاجتماعية للفئات الضعيفة والمهمشة

ضروريّ، أيضًا، بوصفه عنصرًا مهمًّا في عملية ترسيخ الوحدة الوطنية، وهنا نحتاج إلى أنْ نركز على تنمية المناطق الريفية والمهمشة؛ لتحقيق توازن تنموي بين المناطق المختلفة.

تحقيـق الوحدة الوطنية في العراق يتطلب تعاون جميع الأطراف، والعمل الجـاد لتحقيـق الإصلاحـات الشـاملة في النظـام السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي، بتنفيذ هذه الخطوات العملية، يمكـن لأصحاب القرار تعزيز التماسـك الاجتماعي، وتحقيق المصالحة الوطنية بين أبناء الشعب العراقي، ما يضمن مسـتقبلًا مشرقًا ومستدامًا للعراق. تحقيق الوحدة الوطنية ليس مجرد هدف؛ بل هو أساس لبناء دولة قوية ومستقرة قادرة على مواجهة التحديات، وتحقيق التنمية المستدامة[٥٨].

٣-١٢. الطريق نحو التقدم – المسار المستقبلي للعراق:

بينما ننظر إلى مسـتقبل العراق، علينا أن نعـترف بالتعقيدات والتحديات التي ميزت تاريخه الحديث، ومشـهده السـياسي المعقد والمتشـابك، وفيما يلي العديـد من الروايات والاتجاهات التي يمكن أنْ ترسـم المسـارات المحتملة للتنمية المستقبلية في العراق:

إذا كانـت الطبقة السياسـية في العراق غير قادرة على قيـادة البلاد بفعالية على طول المسـارات المحتملة المبينة سـابقاً، فقد تتكشف سيناريوهات سلبية محتملة، منها:

اسـتمرار انعـدام الاسـتقرار والصراع؛ ولاسـيما مـع الافتقـار إلى وجود

(58) Mawlawi al-, A. 2020; USAID-TARABOT, "Iraq Administrative Reform Project Annual Report 2013", October 2013, (Entry date: 02/05/2024).

قيـادة قوية، وحكم فعـال. هنا قد يواجه العراق صعوبـات في معالجة المظالم والانقسـامات الأساسـية؛ وقـد يـؤدي ذلـك إلى اسـتمرار قلق الاسـتقرار السياسي، والاضطرابات الاجتماعية، والصراعات المحلية، لاسيما في المناطق التي تعاني من قضايا لم تُحل، أو مناطق سكانية مهمشة.

الركـود الاقتصـادي والتبعيـة أيضاً، سـتكون نتيجـة طبيعـة، ومتوقعة، في حالـة ضعـف فعاليـة الطبقـة السياسـية، وهـذه يمكـن أنْ تـؤدي انعدام الإصلاحـات الاقتصاديـة، وجهـود التنويـع، إلى اسـتمرار الاعتـماد عـلى عائـدات النفط، والتعرض لتقلبات السـوق العالمية، ومـن الممكن أن يؤدي الركـود الاقتصـادي، وارتفاع معـدلات البطالة، ومحدوديـة الفرص المتاحة للشـباب، إلى تفاقـم فقـد المسـاواة الاجتماعيـة والاقتصاديـة، ما يـؤدي إلى السخط والإحباط بين السكان[٥٩].

أمـا **التفتـت الإقليمي** فأنـه سـيؤدي إلى فقْدِ القـدرة على تعزيـز التعاون والاسـتقرار الإقليميـين، وإلى تصاعـد التوتـرات مـع الدول المجـاورة، أو التـورط في صراعـات إقليميـة، وهـذا يمكن أنْ يـؤدي إلى مزيد مـن تفتيت النسـيج المجتمعـي في العـراق، وعرقلـة الجهـود الرامية إلى تحقيـق المصالحة والوحدة الوطنية[٦٠].

(59) International Labour Organization (ILO), "Iraqi Labour Force Survey 2021", (Entry date: 11/06/2024); International Energy Agency 2019, "Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future", April 2019; Ebel R.E. 2010; Republic of Iraq, Ministry of planning, "Iraq 2030 Vision", (Entry date: 11/03/2024); USAID-TARABOT, "Iraq Administrative Reform Project Annual Report 2013", October 2013, (Entry date: 02/05/2024).

(60) The International Crisis Group 2024, page on "Iraq", (Entry date: 02/07/2024);

ر. غاتي واخرون ٢٠٢٤.

الشيء نفسه فيما يخصُّ **التدهور البيئي**؛ إذ من دون اتخاذ إجراءات استباقية لمعالجة البيئة، ومع التحديات الكبيرة، قد يواجه العراق تدهوراً بيئيًّا متزايدًا، وندرة في المياه، مع التلوث، وقد يكون لذلك آثارٌ ضارةٌ على الصحة العامة، والإنتاجية الزراعية، ونوعية الحياة العامة للعراقيين(٦١).

أمَّا **التآكل الثقافي وأزمة الهوية**، فهما مع ضعف الطبقة السياسية، ستساهم في افتقاد التركيز على الحفاظ على التراث الثقافي، وتعزيز التبادل المعرفي في التآكل الثقافي، وأزمة الهوية بين العراقيين، وقد يؤدي فقدان الممارسات التقليدية، والمواقع التراثية، والتنوع الثقافي، إلى إضعاف التماسك الاجتماعي، والهوية الوطنية(٦٢).

ضعف الطبقة السياسية من المكن _ جدًا _ أن يؤدي إلى **انفصال الشباب عن المجتمع وتطرفهم**؛ ولاسيما إذا بقيت فرص التعليم، والتوظيف، والمشاركة المدنية محدودة؛ فقد يصبح الشباب المحبطون عرضة للتطرف، أو التورط في أنشطة إجرامية، مثل تجارة المخدرات، وهذا يمكن أن يشكل تحديات أمنية، ويقوض الجهود المبذولة لبناء مجتمع سلمي وشامل، ناهيك على أنَّ إحباطهم، قد يترجم بهجرتهم إلى خارج العراق، وفقدان قدراتهم وطاقتهم الفتية(٦٣).

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

---

(61) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022; Climate, Peace and Security Fact Sheet 2023, "Iraq", SIPRI- Stockholm International Peace Research Institute, April 2023; Bourhrous A. et al. 2022; Mahmoud S. 2022;

«الامراض غير السارية»، تقرير منظمة الصحة العالمية/ مكتب الشرق الأوسط، ٢٠١٩.

(62) Mühlberger W. 2023; Sarwar A. 2019;

هـ. وهولبورن ٢٠١٠.

(٦٣) مـ. حجازي ٢٠٠٨، تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات لعام ٢٠٢٣، الأمم المتحدة، ٢٠٢٤.

ومن تبعات ضعف الطبقة السياسية، زيادة في **التحديات الإنسانية ومنها الهجرة**، ولاسيما للشباب وذوي العقول، وهذا بطبيعته سيؤدي إلى انعدام الاستقرار لمدّة طويلة، والصعوبات الاقتصادية، فضلًا عمّا تسببه الضغوط البيئية إلى زيادة الاحتياجات الإنسانية والنزوح الداخلي، وقد يسهم، أيضاً، في الهجرة إلى الخارج، حيث يبحث الأفراد عن فرص أفضل، أو ملجأ أفضل في بلدان أخرى، ما يفرض ضغطاً على الموارد الإقليمية والدولية.

وأخيراً سنرى زيادة في **عزلة وتبعية المجتمع والدولة على الصعيد الدولي**، التي قد تؤدي إلى استمرار التحديات في مجالات الحكم، والأمن، والتنمية الاقتصادية، وهي _ أيضًا _ ستترجم إلى العزلة الدولية، أو الاعتماد على الجهات الفاعلة الخارجية للحصول على الدعم، وهذا قد يحد من سيادة العراق ويعوق قدرته على انتهاج سياسات خارجية مستقلة أو مبادرات إقليمية.

أما إذا كانت الطبقة السياسية في العراق قادرة على قيادة البلاد بفعالية على طول المسارات المحتملة المبينة سابقاً، فقد تتكشف سيناريوهات ايجابية محتملة عدّة، منها:

السير على **طريق المصالحة الحقيقية**، وتضميد جراح الصراعات، والانقسامات الماضية، وبالحوار الشامل، وبذل الجهود لمعالجة المظالم، حتى يستطيع العراقيون بناء الجسور، وتجاوز الانقسامات العرقية والدينية والطائفية، ويتصور هذا المسار عراقاً موحداً، يُحتفي فيه بالتنوع، وتعزيز التماسك الاجتماعي.

لقد كانت رحلة العراق الديمقراطية مضطربة، لكنَّ المستقبل يحمل وعداً **بتعزيز وترسيخ الديموقراطية** ولاسيما مع استمرار الجهود لتعزيز المؤسسات الديمقراطية، وضمان سيادة القانون، وحماية حقوق الإنسان. يستطيع العراق

تعزيز ثقافة الحكم المسؤول والمشاركة المدنية، وترى هذه الرواية أن العراق يتطور إلى ديمقراطية مستقرة، حيث يُسمع صوت كل مواطن ويُحترم.

يعتمد الاقتصاد العراقي منذ زمن طويل على عائدات النفط، ما يؤدي إلى نقاط ضعف أمام تقلبات السوق العالمية، ويتضمن المسار المستقبلي بذل الجهود **لتنويع الاقتصاد ومرونته**، وتعزيز نمو القطاع الخاص، والاستثمار في القطاعات غير النفطية، مثل التكنولوجيا، والطاقة المتجددة، والسياحة، والزراعة، والاستثمار في مشاريع النقل والاتصالات، وبتعزيز المرونة الاقتصادية، وخلق الفرص لتوظيف الشباب، وريادة الأعمال، يمكن للعراق تحقيق التنمية المستدامة والازدهار(٦٤).

يعرض الموقع الجيوسياسي للعراق تحديات وفرصاً معًا، فالمسار **المستقبلي للتعاون والاستقرار الإقليميين**، ينطوي على تعزيز العلاقات البناءة مع الدول المجاورة، وتشجيع الحوار لحل الصراعات الإقليمية، وأدَّى دورًا إيجابيًّا في المبادرات الإقليمية، وبكونه جسراً للمشاركة الدبلوماسية، والتكامل الاقتصادي، يستطيع العراق أنْ يسهم في السلام والاستقرار في الشرق الأوسط الكبير.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

يعتمد مستقبل العراق على الاستثمار في أعظم ثرواته، ألا وهو شعبه. إنَّ إعطاء الأولوية **والاستثمار في تعليم وتنمية المهارات والرعاية البشرية** سيعمل على تمكين الشباب العراقي، وتعزيز رأس المال البشري، ودفع الابتكار والإنتاجية، ويتصور هذا السرد وجود قوة عاملة متعلمة وماهرة،

(64) International Energy Agency 2019, "Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future", April 2019; Ebel R.E. 2010; Republic of Iraq, Ministry of planning, "Iraq 2030 Vision", (Entry date: 11/03/2024);

س. حسين ٢٠١٨.

تعمل على تغذية النمو الاقتصادي والتقدم التكنولوجي والاجتماعي.

يواجه العراق تحديات بيئية، مثل ندرة المياه، والتلوث، والتصحر، ويؤكد المسار المستقبلي على **السياسات البيئية المستدامة**، وجهود المحافظة على البيئة، واستراتيجيات المرونة المناخية، وبحماية الموارد الطبيعية، واعتماد التقنيات الخضراء، وتعزيز الوعي البيئي، يستطيع العراق حماية أنظمته البيئية للأجيال المقبلة(٦٥).

أخيراً يتمتع العراق بتراث ثقافي غني، يمتد لآلاف السنين؛ لكنه عانى أيضاً من الخسارة الثقافية، وتدمير التراث بسبب الصراع، ويتضمن المسار المستقبلي مبادرات **النهضة الثقافية**، بوساطة الحفاظ على المعالم الثقافية، وإحياء الفنون والحرف التقليدية، وتعزيز التبادل الثقافي، والسياحة. تصور هذه الرواية العراق بعدِّهِ منارةً للنهضة الثقافية، تحتفل بتراثه المتنوع، وتساهم في الحوار الثقافي العالمي.

هذه السيناريوهات (السلبية والإيجابية)، ليست متضادة؛ بل إنها جوانب مترابطة لمستقبل العراق المحتمل، وباجتياز هذه المسارات بعزم وشمول ومرونة؛ ولاسيما مع وجود قيادة فعالة، وإصلاحات الحكم، واستراتيجيات تنمية شاملة، يستطيع العراق أنْ يرسم مساراً نحو مستقبل أكثر إشراقاً وازدهاراً لمواطنيه أجمعهم، ولعلَّ التصدي للتحديات الرئيسة، واغتنام الفرص، يتطلب بذل جهود متضافرة من القادة السياسيين، والمجتمع المدني،

(65) The World Bank Group Iraq, "Country Climate and Development Report", November 2022; Bourhrous A. et al. 2022; Climate, Peace and Security Fact Sheet 2023, "Iraq", SIPRI- Stockholm International Peace Research Institute, April 2023; Héau,L. et al. 2023; Fazil S. & Tartir A. 2023; Mahmoud S. 2022.

والمجتمع الدولي، للتغلب على هذه المخاطر المحتملة، ورسم مسار التقدم المستدام للعراق وشعبه[٦٦].

٣-١٣. الطريق نحو التقدم - الأخيرة - إدراك حجم التحديات ونطاقها وحلولها:

عندما ينظر المرء إلى حجم التحديات المستمرة التي تواجه العراق _ دولةً ومجتمعًا _ ونطاقها وعمقها؛ ربما لا يسعه إلا أنْ يأخذ نفساً عميقاً ويقول لنفسه: هل يمكن لشخص واحد أو مجموعة تعمل معًا، التغلب على هذه العقبات الكثيرة، والمعقدة، والمتداخلة؟ وهل ستعمل مجموعة من القادة معاً، على معالجة هذه التحديات عميقة الجذور؟ ولاحظوا معي أنّ هذه التحديات تتجاوز السياسة، إلى الاقتصاد والمجتمع، وربما حتى الثقافة، والمعتقدات المتجذرة، ومحتمل، أيضاً، تحدي الافتراضات الأساسية للمجتمع كلّيًا؛ وعليه: هل سيستطيع الفرد والمجتمع من التوفيق بين تطلعاتهما الثقافية، والتزاماتهما الدينية، وإيجابية تعاطي المسؤول والمواطن مع الدولة والمجتمع وتحدياتها المشتركة؟

لقد تحول المجتمع العراقي، وتغيَّر جدًّا على مدى الخمسين سنة الماضية، ومن ثم يمكن للمرء القول إن التطور الديموغرافي وحده يمكن أن يكون ساحقاً، فضلاً عن كثير من التطورات الأخرى، الاجتماعية، والسياسية، والأمنية والاقتصادية والبيئية، وغيرها، التي يواجهها العراقيون.

(66) Republic of Iraq, Ministry of planning, "Iraq 2030 Vision", (Entry date: 11/03/2024); Dodge T. 2012;

س. حسين ٢٠١٨.

كما أنَّه بمجرد إدراك المرء لحجم التحدي وهوله، فسيكون مقيداً، لا شعورياً، بقدرته على مواجهة هذه التحديات. ومن ناحية أخرى، إذا كانت الجماعة أو الشخص لا يعرف حجم هذه التحديات، فقد لا تكون اقتراحاته وحلوله عميقة بما يكفي، وقد تعالج الأعراض بدلاً من معالجة أسباب هذه الأمراض[٦٧].

هنا يأتي دور الإرادة، والعزيمة العالية، وعمق الخبرات، والثقة لدى القادة، وقدرتهم على إدارة هذه التحديات بثبات؛ ومن المؤكد أن هذه التحديات، بعمقها، وسعتها، تتجاوز قدرة أي شخص منفرد على معالجتها؛ لذا هناك حاجة إلى فريق، أو مجموعة من رجال الدولة الحقيقيين، لمواجهتها معاً[٦٨].

إنَّ أيَّ حلٍّ لأيِّ تحدٍ كبيرٍ بمفرده، سيكون من دون فائدة حقيقية؛ بسبب ترابط هذه التحديات واعتمادها على بعضها، وعليه يتطلب منا معالجته ومواجهته على جبهات عدَّة؛ لذا لا يوجد حل اقتصادي لأيِّ تحدٍ من دون استيعاب جوانبه السياسية، والاجتماعية، وغيرها، مثل البيئية، أو القانونية، و/ أو التكنولوجية، وما إلى ذلك.

لا بأس أنْ يدرك المرءُ حجم التحديات العراقية عندما تنكشف له، فهذا أمر طبيعي؛ لكن القادة الحقيقيين لا يقيدون أنفسهم، أو يستسلموا للقيود التي تغل أيديهم، ويجب أن يسعوا إلى العمل معاً لفك قيود الدولة والمجتمع العراقي، من قيود هذه التحديات، وهنا يحتاجون إلى إشراك المجتمع معهم، في طريق الحلول الوعرة والصعبة التي تواجههم، وإلا فإن المستقبل لا يبدو مشرقاً.

---

(67) Diamond J. 2019.

(٦٨) عـ. الوردي ١٩٩٦

مـا يمـر به العـراق ليس ببعيـد عـن دروس التاريخ، بـلى، مرحلة صعبة وعصيبـة تواجه المجتمع؛ لأنَّها تحتاج إلى مراجعة الأداء والإجابة على أسـئلة مهمـة، مرتبطة بأمهـات وجودها، مثل طبيعة عقدهـا الاجتماعي، وهويتها، ودور الدين في المجتمع، وحجم تدخل الدولة في يوميات المواطن، وغيرها.

التاريـخ يعلمنـا أنَّ الأمـم إذا عزمـت معًـا تحيـا وتقوى في وجـه المحن، ومـن جانـب آخر تضمحل وتنتهي إذا استسـلمت لهذه المحـن، تحت ذريعة هـول حجمها. الإجابة والحلول لمشـكلات الشـخصية العراقية، لا تأتي من الخارج؛ بل سـتحتاج إلى محـرك وضابط إيقاع داخلي، وهـذه ممكن جداً، مع عمق التراث العراقي وغناه عبر التاريخ.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

خاتمة وعقيدتي

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

يتضح ما تقدم أنَّ الدين والدولة والثقافة، تؤدي أدواراً متشابكة ومؤثرة، في تشكيل جوانب المجتمع العراقي المختلفة. فبالنسبة للثقافة، فهي تشكل الهويات الفردية والجماعية، وتؤثر على كيفية رؤية الناس لأنفسهم وللآخرين، وتعزز الشعور بالانتماء إلى مجموعة أو مجتمع معين، وتوفر الثقافة، أيضاً، منصة للتعبير الفني، والإبداع، والابتكار، وتشمل أشكالاً مختلفة من الفن، والأدب، والموسيقى، والرقص، والمطبخ، والتقاليد، وأخيراً تسهل الثقافة نقل المعرفة، والقيم، والتقاليد، من جيل إلى جيل، ما يحافظ على التراث الثقافي، ويعزز الاستمرارية بين الأجيال.

كما يتمتع العراق بتراث ثقافي غني، نابع من الحضارات القديمة، مثل بلاد ما بين النهرين، وينعكس تنوعه الثقافي في أدبه، وفنه، وموسيقاه، ومطبخه، وتقاليده، ما يسهم في خلق مشهد ثقافي نابض بالحياة، وعلى الرغم من التحديات، تستمر الثقافة العراقية في الازدهار، إذ يعّبر الفنانون، والكتاب، والموسيقيون، وصانعو الأفلام عن أنفسهم، ويتناولون القضايا الاجتماعية، والسياسية بأعمالهم، وتعد أشكال التعبير الثقافي، بمنزلة شكل من أشكال المرونة والهوية في مواجهة الشدائد، وواجه التراث الثقافي العراقي تهديدات من الصراعات والنهب والإهمال، كما إنَّ الجهود المبذولة للمحافظة على المواقع الثقافية والتحف والتقاليد وحمايتها، ضرورية لحماية التراث الثقافي العراقي للأجيال المقبلة.

ومن جانب آخر، فإنَّ الدولة مسؤولة عن إدارة المجتمع، وسنّ القوانين،

وتوفير الخدمات الأساسية لمواطنيها، بما في ذلك الأمن، والبنية التحتية، والتعليم، والرعاية الصحية، كما تحمي الدولة حقوق مواطنيها وحرياتهم، وتضمن المساواة أمام القانون، والوصول إلى العدالة، وحماية حقوق الإنسان، وأخيراً تعمل الدولة على تعزيز رفاهية مواطنيها، بمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية، والحد من الفقر، وتعزيز التنمية المستدامة.

إنَّ الدولة العراقية مسؤولة عن حكم البلاد، وسنّ القوانين، وتوفير الخدمات الأساسية لمواطنيها، حيث يؤثر هيكل الحكومة وسياساتها، على جوانب مختلفة من المجتمع، بما في ذلك الأمن، والاقتصاد، والتعليم، والرعاية الصحية، والبنية التحتية، وتأثر هيكل الدولة العراقية بتاريخها الاستعماري، وتطور ما بعد الاستعمار.

لقد أسهم إرث الحكم الاستبدادي، في ظل أنظمة مثل نظام صدام حسين البعثي، في تشكيل المؤسسات السياسية، وديناميكيات السلطة، وممارسات الحكم، ويواجه العراق تحديات تتعلق بالحكم، بما في ذلك الفساد والطائفية وانعدام الاستقرار. إنَّ الجهود المبذولة لتعزيز مؤسسات الدولة، وتعزيز سيادة القانون، وضمان المساواة، أمر بالغ الأهمية لتعزيز الاستقرار والازدهار.

Al-Rewaq Publishing House

أما بخصوص البعد الثالث من البحث، فكثيرًا ما يكون الدين بمنزلة مصدر للإرشاد الروحي، الذي يزود الأفراد بالمبادئ الأخلاقية، لتوجيه سلوكهم ومعتقداتهم، ويمكن للدين، أيضاً، أن يعزز التماسك الاجتماعي؛ بجمع المجتمعات معاً، بوساطة الطقوس، والقيم، والمعتقدات المشتركة، ما يخلق شعوراً بالانتماء والهوية. وأخيراً يمكن للدين أن يوفر الأساس الأخلاقي للمجتمع، والتأثير على القوانين والعادات والأعراف الاجتماعية،

بتعزيز الفضائل، مثل الرحمة، والعدالة، والتسامح، والتعاطف.

يعدُ الإسلام الدين الرسمي للمجتمع العراقي، استنادًا إلى أنَّ أكثرية السكان مسلمون، إذ توجه المعتقدات والممارسات الدينية من جوانب عدة للحياة اليومية، بما في ذلك الطقوس والأخلاق والتفاعلات الاجتماعية. وفي العراق عدد كبير من السكان المسلمين الشيعة، الذين شكلوا جزءاً كبيراً تاريخياً المشهد الديني والسياسي في البلاد. إذ يؤثر التفاعل بين الطائفة الشيعية والطائفة السنية، على الممارسات الدينية، والتقاليد الثقافية، والانتماءات السياسية، ويتمتع الزعماء الدينيون بما في ذلك رجال الدين والعلماء، بنفوذ كبير في المجتمع العراقي، فهم يقدمون التوجيه الروحي، ويفسرون التعاليم الدينية، وكثيرًا ما يؤدّون أدواراً نشطة في تشكيل الخطاب العام، والشؤون السياسية، ولاسيما أثناء الأزمات.

ففي حين أنَّ لكل من الثقافة، والدولة، والدين، أدوار، ووظائف مميزة، وكثُر ما تكون مترابطة ويعزز بعضها بعضاً، ما يشكل الطابع العام وديناميكيات البلد، إلَّا أنَّه يمكن أن تختلف العلاقة بين هذه العناصر كثيرًا، اعتماداً على السياقات التاريخية، والسياسية، والثقافية؛ إذ يؤدّي كلٌّ منها دوراً حيوياً في تشكيل المشهد الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، للمجتمع، وفي العراق تتقاطع الثقافة والدولة والدين بطرق معقدة، ما يؤثر على الأعراف المجتمعية، وهياكل الحكم، والهويات الفردية، ولعلَّ فهمَ التفاعل بين هذه العناصر، أمرٌ بالغ الأهمية لفهم ديناميكيات المجتمع العراقي، ومعالجة التحديات والفرص التي يواجها.

إنَّ الأدوار الأساسية للثقافة، والدولة، والدين، في أي بلد، متعددة الأوجه، ومترابطة، ويساهم كل منها في النسيج الاجتماعي، والسياسي،

والثقافي، للمجتمع بطرائق مختلفة، إذ حاولنا، في دراستنا هذه، الكشف عن التفاعل المعقد بين القوى التي تشكل الشخصية العراقية؛ وذلك بالتنقل عبر ملامح النسيج المعقد لحاضر وتاريخ العراق، بثقافته، ودولته، وأديانه؛ فمن الحضارات القديمة على طول نهري دجلة والفرات، إلى تحديات العصر، تركت ديناميكيات الجاذبية بين الثقافة والدولة والدين، بصمة لا تمحى على هوية المجتمع العراقي.

بخصوص الأمّة العراقية، والاختلاف حول وجودها من عدمه، أو حول كونها ضعيفة، وتحتاج إلى إعادة عافية وإحياء، ضروري أنْ نميِّز بين الانطباع والحقيقة، في أنَّ العراقيين _ الآن _ أمة واحدة، أو أنَّهم كانوا أمة، وحدث شرخ كبير؛ نتيجة المتغيرات الكبيرة، والمخاض الصعب الذي عاناه العراقيون، طوال العقود الأخيرة، قد يتعامل البعض مع الانطباع بوجود الأمّة العراقية، وقد ينسى أو يتجاهل حقيقة الشرخ الداخلي. يمكن جداً أنْ تكون الأمّة موجودة، ولكن لكي يكون لها تأثير، فإنَّنا نحتاج إلى إيمان درجة عالية من العراقيين بوجودها، وتشخيص كيفية تقويتها، وإحيائها بوصفها كيانًا متجانسًا، وقد نحتاج إلى أنْ نتفق على مشروع عمل مجتمعي، لإيجاد ماهية جديدة أكثر إيجابية وبنَّاءة لها.

هناك، دائماً، تساؤل: أيُّهما أقدم أو أسبق، الأمّة على الدولة، أم أنَّ الدولة تنشأ وعلى غرار استقرارها تخرج وتنتج أمة؟ غير ناسين أنَّ العراق بلد، أو جغرافيا سكنها العراقيون، قبل نشوء الدولة الحديثة، بعد الحرب العالمية الأولى، وعليه فالمجتمع العراقي موجود قبل نشوء الدولة العراقية، مع دعوة الكثيرين لإحياء الأمّة العراقية، ضروري أنْ لا ننسى أنَّنا نحتاج إلى أن نعرف ما الأمّة العراقية المرجوة؟ وكيف نستطيع أن نعمل معاً لأحياء هذه الماهية الجديدة؟

Al-Rewaq Publishing House

دعنا الآن نوجز أدناه النتائج الرئيسة التي توصل لها الباحث في هذه الدراسة المتواضعة:

حول الثقافة:

١. ساهمت الحضارات القديمة مثل السومرية، والبابلية، في تشكيل الهوية الثقافية للعراقيين أيضاً، وعندما نتعمق في الجذور التاريخية للعراق، يصبح من الواضح أن التفاعل بين الحضارات القديمة، وأسسها الدينية، قد زرع بذور الهوية الثقافية التي تستمر في التطور إلى يومنا هذا[١].

٢. تسهم اللغة والأدب والفنون، إلى جانب العادات التقليدية والعشائرية، في ثراء العراق الثقافي.

٣. في أحيان عدة كانت أشكال التعبير الثقافي بمنزلة مقاومة وامتثال في مواجهة الشدائد والصعاب التي يواجهها العراقيون.

٤. تظل المرونة الثقافية سمة مميزة وسط تعقيدات إعادة بناء الأمّة، وإنَّ مرونة العراق الثقافية تتألق بوضوح في مواجهة الشدائد، ونجح المجتمع طوال تاريخه في النجاة من الغزوات والصراعات الخارجيّة والداخلية، كما تؤدّي أشكال التعبير الثقافي، سواء أفي شكل رسم أم نحت أم فن أم موسيقى أم رواية القصص، دوراً عميقاً في تشكيل النفس الوطنية، وفي أوقات الصراع لا تصبح هذه التعبيرات شكلاً من أشكال المقاومة فحسب؛ بل وسيلة للمحافظة على الهوية الجماعية تحت الإكراه.

(١) ف. رشيد ١٩٧٣.

حول الدولة:

١. لقد أثر الإرث الاستعماري على بناء الدولة العراقية الجديدة، وخلق توترات عرقية وطائفية.

٢. لقد كان للقادة السياسيين وسياساتهم داخل الدولة، دورٌ في تشكيل هيكل الحكم والقيم المجتمعية.

٣. العولمة والعوامل الخارجية أدَّت وستؤدّي دوراً مؤثراً جدًا في تشكيل هوية العراقية.

٤. لقد أدّى الحكام السياسيون منذ تأسيس الدولة العراقية، دوراً محورياً في تشكيل الشخصية الوطنية للعراق، تاركين بصمة لا تمحى على النفس الجماعية للسكان، وساهم كل من أمثال الملك فيصل الأول، الذي واجه تحديات الدولة في السنوات الأولى، واللاحقين مثل صدام حسين، وشخصيات ما بعده، في سرد الهوية العراقية. وأثّروا أيضاً في القيم المجتمعية، والانتماءات الأيديولوجية، وتصوُّر "الأمّة المرجوة" على المسرح العالمي، وكانت سياساتهم، وقراراتهم، ورواياتهم الشخصية، تتشابك مع النسيج التاريخي الأوسع، ما يؤثر على مسار الشخصية العراقية[٢].

٥. زادت عملية تقاسم السلطة السياسية، على أسس طائفية وقومية، من تعقيد عملية إعادة البناء، وواجه الساسة الجدد على الحكم، صعوبة إنشاء نظام سياسي جديد، لتجاوز الانقسامات التاريخية، ما يؤدي إلى سنوات من عدم الاستقرار السياسي والأمني، وتحديات في تشكيل نظام حكم متماسكٍ.

(2) Allawi A.A. 2014.

٦. معالجة تحديات العراق تتطلب إجراء إصلاحات شاملة، تمنح الأولوية للحكم الرشيد، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستدامة.

٧. للديكتاتورية ولاسيما الصدامية، تأثير عميق على الثقافة؛ بتحكمها في التعبير، وفرض خطاب فردي، وعلى الدولة، بالاتكاء على مركزية السلطة والقضاء على العمليات الديمقراطية، وعلى الدين بوساطة التلاعب بالمؤسسات الدينية، أو استغلال الهوية الدينية لأغراض سياسية، وكثيرًا ما تكون تأثيرات الديكتاتورية ضارة بتنوع واستقلالية وحيوية هذه الجوانب الرئيسة للهوية المجتمعية.

٨. في ظل حكم نظام صدام والبعث، عاشَ العراقيون تحت عباءة الخوف السائدة، والتعرض إلى قسوة الديكتاتور، إذ قوبلت المعارضة بانتقام سريع وبلا رحمة، وقد أدت النظرة المطلقة لأجهزة أمن النظام، إلى غرس ثقافة جنون العظمة والرقابة الذاتية، إذ يمكن حتى (للمعارضة الهامسة)، أن تؤدي إلى عواقب وخيمة على الشخص نفسه، أو أهله، أو معارفه. في هذه البيئة، أصبح الصمت استراتيجية المواطن للبقاء، حيث تعلم المواطنون الإبحار في مياه الاستبداد الغادرة بحذر، وتكيفوا على عزل أنفسهم عن أجهزة الدولة قدر المستطاع، بل السعي إلى القطيعة الكاملة مع الدولة إنْ أمكن.

٩. لا يزال إرث دكتاتورية حكم نظام صدام حسين، يلقي بظلاله الطويلة على العراق حتى يومنا هذا، ويشكل مشهده الاجتماعي والسياسي، وذاكرته الجماعية.

١٠. المواطنة ضرورية، ويجب ألّا تتعلق بالاستحقاق فحسب؛ بل

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

أن تتعلق أيضاً بالواجب والمسؤولية. وإلى جانب حقوقهم، يتحمل المواطنون مجموعة من الالتزامات تجاه وطنهم ومواطنيهم، يتعهدون بالولاء للدولة، ويلتزمون بإطاعة قوانينها، ويساهمون في رفاهيتها بالاعتماد على الضرائب والخدمات، فالمواطنة تدعو الأفراد إلى أن يكونوا مشاركين نشطين، في المسعى الجماعي إلى بناء المجتمع، ومن ثم الأمّة، وتعزيز الشعور بالواجب المدني والتضامن.

١١. إنَّ وصف العراق بأنَّه "دولة حديثة" تتمتع بكل سمات الحداثة اللازمة، تسود فيها المواطنة على الأنواع الأخرى من العضوية في المجتمع؛ هو أمر معقد، ويتطلب دراسة متأنية لعوامل مختلفة، وبينما خطا العراق خطوات واسعة نحو التحديث في مجالات معينة، مثل تطوير البنية التحتية، والنمو الاقتصادي، والإصلاحات السياسية، فإنَّه لا يزال يواجه تحديات كبيرة، تؤثر على قدرته على العمل بوصفه دولة حديثة بكل جوانبها، ومنها صلاحيات المواطن والدولة ومسؤولياتهم.

١٢. على الرغم من أن العراق أحرز تقدماً نحو التحديث والتحول الديمقراطي منذ سقوط نظام صدام حسين، فإنه لا يزال يواجه تحديات هائلة تعيق تحقيق المواطنة، بعدِّها الشكل السائد للعضوية في المجتمع، وسيتطلب التغلب على هذه التحديات، بذل جهود متواصلة لتعزيز المؤسسات الديمقراطية، وتعزيز حقوق الإنسان، وسيادة القانون، وترسيخ مبدأ المواطنة بحقوقها وواجباتها، ومعالجة الانقسامات الطائفية، وتعزيز التنمية الاقتصادية الشاملة، فضلًا عن ذلك، سوف يتطلب الأمر التعامل مع ديناميكيات إقليمية معقدة، وتأكيد سيادة العراق على الساحة الدولية.

١٣. تؤثر الديناميكيات الإقليمية والجيوسياسية كثيرًا على استقرار العراق الداخلي وأمنه وسيادته، ولعلَّ الترابط بين هذه العوامل، يؤكد الحاجة إلى حوار شامل، ومشاركة دبلوماسية، وجهود تعاونية بين أصحاب المصلحة الإقليميين؛ لتعزيز السلام والاستقرار والتنمية في العراق والشرق الأوسط الكبير.

١٤. يتطلب التصدي للتحدي المتمثل في التعاطف مع الدول المجاورة، اتِّباع نهج متعدد الأوجه، يعالج القضايا الأساسية، ويعزز التفاهم والتعاون المتبادل، وعندها، فقط، سيستطيع العراق اتخاذ خطوات هادفة نحو التغلب على المظالم التاريخية، وتعزيز التعاطف، وبناء علاقات بنَّاءة مع الدول المجاورة له، والمساهمة، في نهاية المطاف، في الاستقرار والازدهار والسلام الإقليمي.

١٥. لقد شكلت التحولات الديموغرافية في تاريخ العراق الحديث، نسيجه الاجتماعي وديناميكياته السياسية، ومساره الاقتصادي، وإنَّ فهم هذه الاتجاهات الديموغرافية، أمر بالغ الأهمية لصانعي السياسات، والمخططين، وأصحاب المصلحة، لمواجهة التحديات، والإفادة من الفرص، وتعزيز التنمية المستدامة، والنمو الشامل في العراق.

١٦. إنَّ إحياء المبادئ والقيم الأخلاقية والاجتماعية، وتذكير المجتمع العراقي، بها من شأنه العمل على تحسين التماسك الاجتماعي، ويركز بشكل مثالي على تعزيز المواطنة، والشعور بالوطنية العراقية، مع الاعتراف بالتنوع، وتعزيز القيم المشتركة.

١٧. اختيار العراقيين لثورة جديدة، أو إصلاح تدريجي لحل مشكلاتهم،

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

سيعتمد على تفاعل معقد من العوامل، بما في ذلك الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة، والمشاعر الشعبية، والقدرة المؤسسية، والتأثيرات الخارجية، ناهيك عن مواقف القوى السياسية، والمرجعية الدينية، والنخب والشارع، ولكل من النهجين مخاطره وتحدياته، وسوف يعتمد الاختيار بينهما على الظروف والديناميكيات الفريدة للسياق العراقي.

١٨. مسألة ما إذا كانت "الجمهورية الجديدة" هي الحل الأكثر جدوى وفعالية للتحديات التي يواجهها العراق، هي مسألة نقاش ومداولات بين العراقيين أنفسهم، وسوف يتطلب الأمر إجراء حوار مكثف، وبناء الإجماع، والتعاون بين أصحاب المصلحة عامة لرسم مسار للأمام، يعكس تطلعات الشعب العراقي ومصالح كلها.

١٩. تدخل الهندسة الاجتماعية حيز التنفيذ داخل المجتمع بمجموعة من الآليات النفسية والثقافية والتكنولوجية والمؤسسية، التي تمارس التأثير على الأفراد والجماعات والمجتمعات، لتحقيق أهداف اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية محددة، وتتطلب الهندسة الاجتماعية في مجتمع مضطرب مثل العراق نهجاً تعاونياً ومتعدد الأبعاد، يشمل المؤسسات الحكومية، والقادة السياسيين، ومنظمات المجتمع المدني، والمؤسسات التعليمية، والزعماء الدينيين والثقافيين، والمجتمع الدولي، ووسائل الإعلام، والمواطنين الأفراد.

٢٠. هناك عوامل كثيرة تشجع العراقيين في زيادة اعتمادهم على الدولة في حل مشكلاتهم وتطلعاتهم، ما يؤثر على مواقفهم وسلوكياتهم وتوقعاتهم فيما يتعلق بالحكم والرفاهية والأمن، وتتطلب معالجة هذا الاعتماد إصلاحات شاملة تعزز التعددية، واللامركزية، والمساءلة،

وتمكين الجهات الفاعلة غير الحكومية، ما يعزز نظامًا بيئيًّا مجتمعيًا أكثر توازناً ومرونة.

٢١. إن معالجة الافتقار إلى القيادة التاريخية وطنية بوصفها نماذج يحتذى بها في المجتمع العراقي، سوف تتطلب بذل جهود لتعزيز ثقافة تنمية القيادة، وتعزيز المساواة والتنوع في المناصب القيادية، وتنمية القيم والتطلعات المشتركة التي تتجاوز الانقسامات العرقية والدينية والطائفية، وبوساطة الاستثمار في تمكين القادة الناشئين، وتعزيز نماذج القيادة الأخلاقية والبصيرة، يستطيع العراق بناء مجتمع أكثر مرونة وشمولاً قادراً على معالجة التحديات المعقدة التي يواجها.

حول الدين:

١. أدّى التعايش بين الطائفة الشيعية والطائفة السنية دوراً محورياً في تشكيل الديناميكيات الدينية بين العراقيين.

٢. الصراعات، في أكثر الأحيان، تنشأ من تقاطع المؤثرات الثقافية والحكومية والدينية، أو نتيجة تقاطع الدين مع العلمانية.

٣. تحديات العراق ما بعد نظام صدام تشمل البعد الأمني، والانقسامات السياسية وزيادة النفوذ الديني.

٤. تجاوز الانقسامات الطائفية وتعزيز المصالحة الوطنية أمر محوري لتحقيق مستقبل مستقر ومتماسك.

٥. كثيراً ما يكون الدين بمنزلة المصدر الأساس للتوجيه القيمي والأخلاقي، ويسهم التفاعل بين الثقافة والدولة والدين في إرساء

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الأعـراف والقيم المجتمعيـة، ويؤثر هذا الإطار الأخلاقي على السـلوك الفردي، والتفاعلات الاجتماعية، والضمير الجماعي للشعب العراقي.

٦. كانت للانقسـام الطائفي بين المذهبين الشـيعي والسـني آثارٌ عميقة على الشـخصية العراقية، واسـتمرار الانقسـام التاريخي المتجذر في النزاعات المبكرة حول القيادة والخلافة، في تشـكيل الممارسات الدينية والانتماءات السياسـية والأعراف المجتمعيـة، وهنا من المفيد أن نذكـر تعاظم الثقافة الشـيعية وليـس العقيدة الشـيعية فقـط، وأدى التفاعـل الديناميكي بين الطائفتين الشيعية والسنية، في بعض الأحيان إلى توترات وصراعات، ما أثر في المشهد الاجتماعي والسياسي؛ إذ إنَّ فهم هذا التنوع الديني أمر بالغ الأهمية لفهم تعقيدات الشخصية العراقية، ولعل الإجابة على دور الدين بالمجتمع والدولة لا تزال غير واضحة، أو لم تتوضح بشكل وافٍ بعد.

٧. يتمتع الزعماء الدينيون، مسـلمون وغيرهم، بنفوذ كبير في العراق، ليس في المسـائل الدينية فقط؛ ولكن في تشكيل الشـخصية الأوسع للمجتمع أيضًا، وتؤدّي المؤسسـة الدينية في العقود الأخيرة؛ ولاسـيما عند الشيعة، دوراً محورياً في توجيه الاتباع والتأثير على الرأي العام.

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

خاتمة بتفاعل العوامل الثلاثة (الثقافة والدولة والدين):

١. إنَّ السياق التاريخي للعراق الذي تميز بالحضارات القديمة، والإمبراطوريات الإسلامية، والتأثيرات الاستعمارية، والتطورات الجيوسياسية الحديثة، أسهم بعمق في تشكيل طابعه الحالي، وإنَّ فهم هذا التاريخ يوفر نظرة ثاقبة للتعقيدات، والتحديات، والمرونة التي يواجها العراق المعاصر، وإنَّ التفاعل بين الثقافة والدولة والدين متجذر بعمق في هذا النسيج التاريخي، ما يؤثر على هوية الأمّة وديناميكياتها المجتمعية.

٢. كان لقرون الحكم العثماني في العراق تأثيرٌ دائمٌ على المنطقة، إذ أثر على الطابع الحالي للمجتمع العراقي وأسهم في توثيق الترابط بين الثقافة والدولة والدين.

٣. التحولات المحتملة في ميزان النفوذ بين الثقافة والدولة والدين، ستعيد رسم المشهد السياسي والثقافي والأمني العراقي.

٤. التحديات الكبيرة تحتاج إلى جهود مشتركة من جميع شرائح المجتمع لتحقيق التقدم والازدهار.

٥. فهم ديناميكيات الجاذبية للثقافة والدولة والدين، هي الأساس أو المفتاح لفهم الشخصية العراقية، فهي توفر منظوراً متميزاً يمكن به استكشاف الجذور التاريخية والتحديات المعاصرة والمسارات المستقبلية للهوية المجتمعية في العراق.

٦. يؤثر التفاعل بين الثقافة والدولة والدين على المنظومة التشريعية وإنشاء القوانين، ولعلَّ فهمَ كيفية تأثير المبادئ الدينية، والعناصر الثقافية، على الأطر القانونية والأعراف المجتمعية، أمرٌ ضروري لفهم بنية الشخص والمجتمع العراقي.

Al-Rewaq Publishing House

٧. يتميز العراق بتنوع سكاني من خلفيات ثقافية وعرقية ودينية مختلفة، وإنَّ فهم التفاعل بين هذه العناصر يساعد على تقدير الوحدة أو الاختلاف ضمن هذا التنوع، وهو يسلط الضوء على طرائق التعايش من عدمه، للمجتمعات والمكونات والجماعات المختلفة، وتساهم في تشكيل الشخصية العراقية الأوسع، وهي تكشف، أيضاً، الخيوط المعقدة التي تنسج الهوية، وأنظمة المعتقدات والأعراف المجتمعية، في السياق التاريخي والثقافي والديني الفريد للعراق[٣].

٨. أصبحت عملية التفاعل بين الثقافة والدولة والدين في العقود الأخيرة، عملية تناحر تنعكس سلباً على يوميات العراقي، بدلاً من أن تكون عملية تكامل، وخلق مناخات وفضاءات إيجابية، لبناء معالم أمة واضحة، ذات هوية وطنية جلية.

٩. من الضروري التعامل مع خصائص المجتمع العراقي بحساسية وإدراك، ويمكن لتأثير الأحداث التاريخية، وفقد الاستقرار السياسي، والتحديات الاقتصادية، أنْ تشّكل سمات الأفراد وسلوكهم بطرائق معقدة، ويجب أن يُتعامل مع التعميم بحذر، ومن المستحسن دائماً مراعاة تنوع كل فرد وتفرُّده، ولعل الحصول على إجابة لسؤال «من نحن؟» عراقيون! وستبقى محل جدل لأمد طويل.

١٠. يشكل الوئام الاجتماعي حجر الزاوية في تطور أيَّةِ أمة وتقدمها، وتتجلى أهميته بصورة خاصة في الحالة العراقية، وتتشابك سردية الوئام

(٣) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي - الجهاز المركزي للإحصاء، (تاريخ الدخول: ٢٣/ ٦/ ٢٠٢٤)، عـ. عامر ٢٠٢٠، تقرير وزارة التخطيط وصندوق الأمم المتحدة للسكان (UNDPA) ٢٠١٥، «اتجاهات الانجاب وتنظيم الاسرة في العراق التحديات والتدخلات».

الاجتماعي في العراق، مع تاريخ البلاد وتنوعها وتطلعاتها لمستقبل سلمي ومزدهر. إنَّ الوئام الاجتماعي في العراق ليس مجرد مثال نبيل، بل هو ضرورة عملية لإطلاق العنان لإمكانات الأمّة الكاملة، وتعزيز التنمية المستدامة، وضمان مستقبل أكثر إشراقاً للأجيال المقبلة، وهو سرد يتصور العراق دولة موحدة ومرنة، تستمد قوتها من تنوعها وتطلعاتها الجماعية إلى السلام والتقدم والازدهار.

١١. من المهم أن نلاحظ أن مستوى ارتياح الشيعة العراقيين في الحكم مقابل أدوار المعارضة، ليس ثابتاً ويمكن أن يتطور بناءً على الديناميكيات السياسية المتغيرة، والظروف الأمنية، والمشاعر العامة، والضغوط الخارجية. إن تحقيق التوازن بين الحاجة إلى الحكم الفعال، والوحدة الوطنية، والمساءلة الديمقراطية، وحماية حقوق الأقليات يظل تحدياً معقداً ومستمراً، في سياق ما بعد الصراع في العراق. وبشكل عام، يتأثر مستوى ارتياح الشيعة العراقيين في أدوار المعارضة، مقابل أدوار الحكم، بتفاعل معقد بين العوامل التاريخية والسياسية والاستراتيجية والخارجية. ويظل تحقيق التوازن بين فوائد المعارضة القوية، والحاجة إلى الحكم الفعال والوحدة الوطنية، يشكل تحدياً رئيساً في المشهد السياسي العراقي، ويمكن أيضاً أن نحتاج إلى متابعة مستوى تفاعل أو ارتياح السُنّة أو القوميات والمكونات الأخرى للتغيرات السياسية والحكم.

١٢. مع فقد الاستقرار السياسي، والتوترات الطائفية، والتهديدات الخارجية، نرى لجوء أفراد ومجتمعات الشعب العراقي إلى القبلية والعشائرية، بوصفها وسيلة للبحث عن الأمن وحماية هويتهم، وعليه من الضروري الاعتراف، بأن العراق يواجه تحديات كبيرة أمام الوحدة

الوطنية والتماسك، بما في ذلك التوترات القومية والطائفية، والانقسامات السياسية، والمنافسات الإقليمية، والتدخل الخارجي، ولقد أدى تفتيت المجتمع العراقي على أسس قومية ودينية وطائفية، الذي تفاقم بسبب عقود من الصراع وعدم الاستقرار إلى إعاقة ظهور هوية وطنية قوية وشاملة ومتماسكة.

١٣. يتطلب تكوين الأمم ونضجها بشكل عام مزيجاً من الهوية المشتركة، والتماسك الإقليمي، والتماسك الثقافي، والسرد التاريخي، والمواطنة الشاملة، والحكم الفعال، والتنمية الاقتصادية، والتماسك الاجتماعي، وتوفر هذه المتطلبات الرئسية، الأساس اللازم لازدهار الأمم والتكيف مع التغيير وتحقيق تطلعات شعوبها.

١٤. التفكير والعمل كمجموعات وفرق على الترابط بين الجهود الفردية والأهداف المجتمعية الأوسع، ويؤكد على قوة العمل الجماعي، والتضامن في التغلب على التحديات، وبناء القدرة على الصمود وتوجيه العراق نحو مستقبل من الرخاء والسلام والتنمية المستدامة.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

بينما نتأمل في هذه النتائج الرئيسة، يصبح من الواضح أن فهم ديناميكيات الجاذبية بين الثقافة والدولة والدين ليس مجرد رؤية أو تمرين أكاديمي، بل مسعى حاسم له آثار بعيدة المدى، وإن التعامل مع الشخصية العراقية يتطلب حساسية ثقافية، وإن الاعتراف بالتنوع داخل الهويات الثقافية والعرقية والدينية، يسمح بفهم أكثر دقة للتجارب الفردية والجماعية، وهذا الوعي ضروري لحكام العراق وصناع الرأي والقرار،

وكذلك للدبلوماسيين وصناع السياسات، والجهات الفاعلة الدولية التي تسعى إلى المشاركة في البناء.

تعدُّ الشخصية العراقية مرآة تعكس تاريخاً غنياً وتنوعاً ثقافياً هائلاً، ومع ذلك يواجه العراق اليوم تحديات عدَّة، تؤثر في تطوره واستقراره، تقتضي فهم العلاقة العميقة بين الثقافة والدولة والدين، بما يمكن أن يسهم في تحديد مسارات التطور المستقبلية للعراق، وتحقيق التنمية والازدهار لشعبه، وستتطلب عملية الفهم هذه جهوداً شاملة وتعاوناً بين جميع الفئات في المجتمع؛ للوصول إلى حلول مستدامة وفعالة للتحديات التي تواجه البلاد.

إنَّ ديناميكيات الجاذبية بين الثقافة والدولة والدين في العراق متعددة الأوجه، ولعلَّ التغلب على التحديات، واغتنام الفرص التي يوفرها هذا التفاعل المعقد، يتطلب التزاماً مستمراً بفهم واحترام والاحتفال بالجوانب المتنوعة للشخصية العراقية، وبينما نتطلع إلى المستقبل فإنَّ الدروس المستفادة من هذا الاستكشاف توفر أساساً لتعزيز الحوار، وبناء الجسور، والمساهمة في التطور المستمر لهوية العراق الغنية والمرنة.

كُتب البحث والآراء ووجهات النظر الواردة فيه من خلال عيون شخص ممارس، لديه خبرة عمل ضمن أجهزة الدولة، وشركات عالمية كبيرة، ومؤسسات المجتمع المدني، وفي إدارة المؤسسات والممارسة السياسية والحزبية لعقود، وليس بوصفه محللًا أكاديميًّا صرفًا، كاتب البحث لديه، أيضاً، اطلاع وخبرة طويلة وعميقة، نتيجة عيشه، فضلًا عن العراق، في اليابان، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة، وألمانيا، في كيفية تجاوز أمم أخرى تحدياتها، عقب نكبات قد تكون أكبر مما يواجهه العراق.

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

لقد يسّرت الأبحاث والنظريات والأدوات الأكاديمية، بشأن سبل تحليل شخصية أو مجتمع معين، للكاتب فرصة لتحديد إطار للتفكير، وتحديد طبيعة الشخص أو المجتمع، وهو منهج صحيح ودقيق في حالة متابعة ومراجعة أداء مجتمع، يمر بتطورات وصيرورة طبيعية ومعقولة، وفي الحالة العراقية ومنذ منتصف القرن الماضي، فإنَّ المتغيرات وعوامل التأثير الداخلية كثيرة، ومتشعبة، مثل: (اقتصاد ريعي بامتياز، حروب، انتفاضات وتظاهرات كبيرة ومستمرة، زيادة سكانية هائلة، وتغيير ديموغرافي كبير، تدفق مالي كبير جداً، تغيير مناخي هائل..الخ)، أما الخارجية فلا تقل تعقيداً عن الداخلية، مثل: (احتلال، قرارات وعقوبات أممية قاسية جداً بحق العراق والعراقيين، غزو داعشي أرهابي ..الخ)، ما صعّبت على الباحث مهمة تحديد نظرية واضحة وثابتة بشأن طبيعة الشخصية العراقية.

فتطورات الشخصية العراقية في القرن الأخير، أو بالأحرى المتغير البردايغم/ الجذري، لا يمكن أن نراها من مقياس تطور تراكمي؛ أي بمسيرة إنشاء خط بياني مستقيم ومتواصل لبناء الشخصية العراقية؛ بل هي أقرب إلى «اللاخطية»[٤]، وإنشاء منحنى في شخصيته وتفاعلاته، وعليه نرى سرعة تغيُّر في شخصيته وطريقة تعاطيه مع الأحداث ومتغيراتها.

بلى، من الممكن تشخيص إيجاد إطار نظرية اجتماعية وسياسية، بوساطة تقييم ومراقبة وتحليل عملية تفاعل بين "الثالوث": الثقافة مع الدولة مع

(٤) **ملاحظة**: «اللاخطية» هو مصطلح إحصائي، يستعمل لوصف الحالة التي لا يوجد فيها خط مستقيم، أو علاقة مباشرة بين متغير مستقل ومتغير تابع، في العلاقات غير الخطية، لا تتغير التغيرات في المخرجات بشكل طردي مع التغيرات في أي من المدخلات، وعليه تنشئ العلاقة الخطية خطاً مستقيماً عند رسمها على الرسم البياني، بينما العلاقة غير الخطية لا تنشئ خطاً مستقيماً، بل تنشئ منحنىً.

الديـن، لتـضيء لنا بعضًا من ظلمات الطريق الذي نسـير فيه، وهذا ما حاول الباحث تضمينه وشموله في أقسام هذه الدراسة الموجزة.

لعلَّ من أهم التحديات التي ستواجه القيادات السياسية للعراق، هي قدرتها على فهم درجة التعقيد وعمقه في تركيبة المجتمع العراقي، فالمجتمع العراقي خليط ديني وعرقي وقومي وطائفي، وإدارة اختلافاته لا يمكن أن يجري بها إقناع كل الأطراف، والأشخاص، والفئات، بما تريد القيادات السياسية اتخاذه من قرارات وسياسات اصلاحية وتنموية؛ ولاسيما مع كون الجدلية جزء من الطبيعة العراقية، وعليه هذه القيادات تحتاج إلى اجتراح سياسات ناضجة، وفرض قوانيين مدروسة وواضحة وصارمة، تضبط بها أمن البلاد، وتهيئ الفضاءات لتطوير المجتمع، نحو ثقافة وأعراف بنَّاءة ومطلوبة للمرحلة المقبلة؛ إذ لا يمكن للمجتمع أنْ يمضي ويتطور إلى الأمام بثقافة متأخرة متخلفة، وسياسات غير بناءة، ومجتمع مكوناته متناحرة لا تعيش على وئام مع بعض.

أمّا ما يخصُّ الدولة، فنحتاج إلى أن نفهم، أفرادًا ونخبًا ومجتمعًا وقيادات، مقومـات تقويتها، بوصفهـا كيانًا منظـمًا للمجتمع، وبعدِّها وسـيلة تعجل، وتسـهل، وتدير، عمليـة التطور والتنمية والاسـتقرار المجتمعي؛ هنا نحتاج إلى الاتفاق على قاموس سـياسي مشـترك، ولا نختلف مثلاً في فهم معطيات المواطنة، أو الحكم الرشيد، أو معنى وضريبة الديمقراطية علينا.

وبخصـوص الديـن، نحتـاج إلى أن نحـدد، بالضبـط، دوره في المجتمع، ومدى الحاجة إلى تبنينا له، وممارسـة مفاهيمه، وتعاليمه، أفرادًا أو جماعاتٍ؛ أي، هل نسـتحضر مسـبقاً أثر دعواتنا الشـمولية وفرضنا على الكل، باسـم الأكثريـة الطائفيـة أو الدينيـة، معتقداتنا وممارسـاتنا وفكرنـا، أو نرى الدين

بوصفه أفضل داعم لإكمال مسيرة بناء الدولة، وأنه يكمل مفهوم الدولة الحديثة ويعضدها؟ أما إذا كان لنا فهمٌ آخر للدين، ونريد أن نحمل فكرًا دينيًّا عابرًا للدولة والمجتمع العراقي، فذلك من حق كل مواطن؛ ولكن بشرط ألّا يخطف المشهد، بل أن يعمل مع الآخرين لتحديد معالم دور الدين، مع حفظ حقوق من يختلف معهم.

وبخصوص الثقافة، فهنا ضروري أن نفهم بوصفنا أفرادًا ومجتمعًا، ما العرف المرجو، والثقافة المطلوبة لبناء دولة مستقرة، تنمو حسب تطلعاتنا، مقابل العرف الحالي، والممارسات الثقافية السابقة، وإنْ كانت هذه الممارسات والأعراف معيقة أو داعمة باتجاه العرف المرجو. مثلًا لا يمكن أن نحمل ثقافات مناهضة لسلطة القانون، وفي الوقت نفسه نتحدث عن أهمية ترسيخ أعراف وثقافات موروثة، معارضة لحكم الدولة، أو مخالفة للقيم الدينية المتفق عليها.

إيجاد معادلة وخلطة مفيدة ومثمرة ومتجانسة بين الثقافة والدولة والدين، يجب أن تكون من أولويات القيادات المجتمعية والدينية والحكومية، وإلا فسنبقى ندور في دائرة التوتر وانعدام الاستقرار وتطبيقات المعدلات الصفرية (خسارة – خسارة)، بدلًا من أنْ نبني عراقًا يعيش فيه أفراده ومجتمعاته، بأطيافها عامة، ممارسات ترسخ ثقافة التكامل (ربح – ربح).

نستطيع القول إنَّ هناك ضعفًا للبوصلة المجتمعية العراقية في بناء الدولة ورصانتها، ولاسيما تجاه مسيرة تطورها للوصول إلى أمالها وأحلامها، وهي تقارن، دائماً، بين ماضيها "النوستالجيا" وحاضرها المشوه، **وإنَّ ضعف أو فقدان البوصلة، أدى إلى حالة تيه مجتمعي حقيقي، تجاه كيفية إدارة شؤون الدولة، وقبلها إدارة المجتمع لنفسه، وسبل الوصول إلى أهدافها**، فضلاً عن

أنَّ هذه الأهداف في، بعض الحالات، تكون متضاربة أو متناقضة مع نظريات إدارة الدولة الحديثة وحسن حوكمتها، وهنا سنحتاج بوصفنا عراقيين من خلفيات مختلفة، إلى البدء **بتحديد والاتفاق على هوية عراقية ووطنية واضحة، تحدد معالم المسيرة المرجوة، وسبل الوصول لها**، وهذا لا يمكن الوصول إليه ما لم نجد ونتمسك بقيادات تاريخية، تستطيع أن ترسوَ بالعراقيين إلى شاطئ الأمان، وسط تلاطم أمواج تحدياتها، وأحلامها، وأهدافها المختلفة.

في الخاتمة، ومن منطلق شخصي، أودُّ القول، بوصفي باحثًا وسياسيًّا ودبلوماسيًّا، إنَّ عقيدتي الاجيوستراتيجية تجاه العراق يمكن إيجازها بالآتي:

إنَّ السعي إلى تطبيق نظرية أنَّ العراق بلد أم القرى، أو أي مفهوم مشابه، وضروري أن ينتج كل شيء، ويكون محور منطقة الشرق الأوسط وقلبها؛ نظرية لا تقوم على أسس صحيحة، وفرضياتها ناقصة بالأصل، نعم من الممكن، جداً، أن يكون العراق بلد ممر (وليس بلد مُستقّر) استراتيجي، ويكون أقرب إلى بلد منتج يقدم السلع والخدمات لمحيطه الإقليمي وآخرين، ومحطة مهمة في المنطقة؛ فلنسمها «**محطة خدمة متعددة الأغراض**» (**Multi Purpose Service Station /Hub**)، وممكن، جداً، أنْ يكون العراق:

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- محطةً إقليمية وعالمية لإمدادات الطاقة بأنواعها كافّة.
- محطةً إقليمية وعالمية لإمداد وتقوية التراث الحسيني، و(مكة للشيعة) حول العالم، وفي الوقت نفسه مركزًا إسلاميًا سنيًّا مهمًّا جداً.
- محطةً إقليمية وعالمية للسياحة الدينية والأثرية والترفيهية.
- محطةً إقليمية وعالمية لتلاقح الأفكار والأديان والمذاهب، من منطلق أنَّ

موزايك التراث العراقي غني جداً، وأنَّ النظام السياسي العراقي أساسه الديموقراطية، وحرية التعبير والتفكير، ممارسة طبيعية ومحمية من لدُن النظام والثقافة المجتمعية.

- محطةً إقليمية وعالمية وجغرافيا ومتلقى لنقل البضائع والأشخاص بين البلدان، وجسرًا بين آسيا وأوروبا.

- محطةً إقليمية للامدادات الغذائية والمعادن وغيرها من ثروات طبيعية.

أي بالمختصر نجعل من العراق «منطقة / (محورًا) حرّةً إقليمية» «Regional Duty Free-Zone /Hub»

العراقيون هنا يحتاجون، أولاً، إلى تحديد عقيدة سياسية واستراتيجية جديدة وحيوية والاتفاق عليها؛ وهذه تأتي بعد تحديد الإجابة على سؤال من نحن؟ وماذا نستطيع أنْ نقدم للمنطقة من دون أنْ نثير الآخر أو أنْ نستفزه ويعادينا؟ هذه العقيدة تأتي بعد دراسة عميقة لجيوسياسة العراق، مع فهم كامل لطبيعة دول الجوار، والقوى الكبرى في تعاملاتها المعاصرة مع العراق، ومع بعضها.

دورة الحياة لهذه العقيدة ستحتاج إلى ما بين عشرين وأربعين سنة، وعندها يمكن، جداً، أنْ يكون العراق من ضمن الدول العشرين الأولى، العراق لا ينقصه ثروة بشرية، أو ثروات طبيعية، أو عمق حضاري، أو جغرافيا محورية، والتقدم لا يأتي بامتلاك الثروات والتاريخ الغني والجغرافيا فقط؛ بل بحسن الإدارة لهذه الثروات واستثمارها الصحيح بعد امتلاك الإرادة والتخطيط الاستراتيجي الواقعي والفعال، وإلا سيبقى الوضع العراقي غير مستقر، وتنميته متعثرة، وسيبقى، أيضًا، محط أطماع الآخرين، أو محط قلقهم.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

هنـا نحن نحتاج إلى تشـكيل وعـي مجتمعي لإعادة إنتاج أنفسـنا بوصفنا مجتمعًا عراقيًّـا منتجًا، وإلى إعادة الحيوية والديناميكية لجهاز الدولة المترهل، نحتـاج هنـا إلى وقفة جدية لمراجعـة أداء دولتنا ومجتمعنـا، فمن دون الإنتاج والحيويـة سـنبقى حيـث نحـن، مـن دون وضـوح وإدراك لكيفيـة النمـو والاستقرار. حاولنا في بحثنا هذا أنْ نبيَّن معالم الطريق لتعافي العراق وشعبه، وأنْ نعكس أنَّ البناء والتنمية والاستقرار لا يأتي بالتمني؛ بل بوضوح المهمة، وحسن التخطيط، وتعاضد أبناء وطنه.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

أسئلة مستقبلية

مفيدٌ أنْ نستحضر مجموعة من الأسئلة المستقبلية، التي قد تساعد الباحثين في المراحل المقبلة في بلورة موضوع البحث هذا أكثر:

١. كيف يمكن إعادة تشكيل أو إعادة صياغة أو مراجعة الروايات والأساطير، التي يمكن أنْ تعزز الوحدة الوطنية والمساواة في المجتمع العراقي؟

٢. كيف يمكن للتقدم في التكنولوجيا والاتصالات أنْ يشكل المسار المستقبلي للعراق وشعبه؟

٣. ما الدور الذي يؤدّيه التعليم في تشكيل مستقبل العراق؟ وكيف يمكن للمؤسسات التعليمية التكيف لتلبية الاحتياجات المتطورة للمجتمع؟

٤. كيف يمكننا المحافظة على التراث الثقافي والهوية الثقافية، والاحتفاء بهما في مواجهة التحديات والتغيرات المستمرة؟

٥. ما الاستراتيجيات التي يمكن استعمالها لمعالجة التوترات الطائفية وتعزيز التسامح الديني والتعايش في المجتمع العراقي؟

٦. ما الاستراتيجيات المحتملة لتعزيز التفاهم والتعاطف بصيغة أفضل بين العراقيين والدول المجاورة؟

٧. ما الطرائق التي يمكن بها للحكومة العراقية والمجتمع المدني معالجة تحديات الحكم والقيادة المحددة؟

٨. كيف يمكن للعراق أنْ يتنقل في علاقاته الجيوسياسية وديناميكياته الإقليمية لتعزيز الاستقرار والأمن داخل حدوده؟

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٩. إلى أي مدى تؤثر الجهات الخارجية، بما في ذلك الدول المجاورة والمنظمات الدولية، على ديناميكيات الجاذبية للدولة والدين والثقافة في العراق؟

١٠. كيف تتقاطع العوامل الاجتماعية والاقتصادية، مثل انعدام المساواة في الدخل والوصول إلى الموارد، مع حكم الدولة والمعتقدات الدينية والقيم الثقافية لتشكيل الشخصية العراقية؟

١١. كيف تتقاطع المفاهيم المتطورة حول أدوار الجنسين والهياكل الأسرية مع التعاليم الدينية وسياسات الدولة والأعراف الثقافية لتشكيل الهوية الجنسية والديناميكيات الاجتماعية في العراق؟

١٢. ما تأثير مجتمعات الهجرة والجاليات في الخارج على قوى الجاذبية التي تشكل الشخصية العراقية، لا سيما فيما يتعلق بالروابط العابرة للحدود الوطنية والتبادل الثقافي؟

١٣. كيف تؤثر جاليات الخارج والشبكات العابرة للحدود الوطنية على نقل القيم الثقافية والمعتقدات الدينية والأيديولوجيات السياسية بين العراقيين داخل البلاد وخارجها؟

١٤. كيف تؤثر تصورات الأمن القومي والتهديدات الجيوسياسية على سياسات الدولة والخطاب الديني والسرد الثقافي، وكيف يؤثر ذلك على الشعور بالهوية الجماعية والتضامن بين العراقيين؟

١٥. ما الآليات الموجودة للمعارضة والمقاومة ضد سيطرة الدولة أو العقيدة الدينية أو الهيمنة الثقافية، وكيف تساهم في تطور الشخصية العراقية؟

١٦. كيف يمكن الإفادة من التكنولوجيا والابتكار لمواجهة التحديات

دار وهكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

الملحة في مجالات مثل التعليم والرعاية الصحية وتطوير البنية التحتية في العراق؟

١٧. ما الدور الذي تؤدّيه اللغة والتواصل بالتوسط في التفاعلات بين المجموعات الثقافية والدينية والعرقية المختلفة داخل المجتمع العراقي؟

١٨. ما الطرائق التي تعمل بها المؤسسات والقيادات الدينية على تشكيل الأعراف والسلوكيات والمواقف المجتمعية داخل المجتمعات العراقية؟

١٩. كيف أدّت العوامل الجيوسياسية والجيو-اقتصادية للعراق دورها في فهم ديناميكيات الجاذبية في تشكيل الشخصية العراقية؟

٢٠. كيف ينظر العراقيون إلى هويتهم الوطنية، وهم يتنقلون عبر التحالفات والصراعات والتبعيات الاقتصادية أو السياسية مع الدول المجاورة والعالمية؟

٢١. كيف ينظر من هم خارج العراق من أجانب ودول الجوار وآخرين إلى العراقيين وخصالهم؟

دار وكتاب الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

٢٢. ما دور الطبقة الوسطى العراقية في تشخيص طبيعة الشخصية العراقية، ومن ثم السعي إلى توضيحها ومعالجة بعض التحديات التي تواجهها في العملية التشخصية هذه؟

٢٣. كيف يمكن أن نوفق في معالجة الاستفسار حول، هل الأمّة تخلق وتقوم دولة؟ أم المسؤولية على الدولة في خلق وتقويم سردية الأمّة وماهيتها؟

٢٤. منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة، ما المراحل التي مرت بها

الشـخصية العراقيـة في علاقتها بالدولة ودرجـة اعتقادها بأنّها جزء من أمة عراقية؟

٢٥. ما العلاقة بين نشـوء الأمّـة العراقية ومعالم الهويـة الوطنية؟ وكيفية صناعتها وإحيائها؟

٢٦. كيـف تغيرت معالم القيم عند المجتمع العراقي بعد تغيير النظام بعد ٢٠٠٣؟

٢٧. يقسـم علماء الاجتماع والعلوم السياسية الدول إلى أقسام عدة، منها الدول القومية، والدول الدينية، والدول الاصطناعية، وكل منها لها تعريف خاص يقف على مقومات مختلفة، وعليه نحتاج إلى أن نبحر في فهم طبيعة الدولة ونوعها في العراق؟

٢٨. مثلما قام الباحث بالتنظير وتشـخص قراءة المكون الشـيعي للحكم وطبيعـة علاقتـه بها، نحتـاج إلى مراجعة ودراسـة مشـابهه للمكون الكـردي والسـني منفردين، ولاسـيما مـا يرجون مـن علاقة شراكة بينهـم مع الحكومـات المركزية وطبيعة العقد السـياسي الذي يدعم ويلبي طموحهم، وكذلك يجيب على مخاوفهم.

٢٩. مثلـما قـام الباحـث بالتنظـير وتحديـد معـالم عقيدتـه السياسـية الاسـتراتيجية اتجاه مسـيرة العراق المقبلة، نحتاج إلى باحثين آخرين أو كاتب البحث نفسـه في التوسـع بهـا، وكتابة معالمهـا وتفاصيلها بوضـوح؛ لتكـون إحـدى الخيـارات أو الـرؤى للمرحلـة المقبلـة للحكومة العراقية، التي نحتاج فيها إلى رسـم مسـار واضح وممكن الوصول إليه.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

كـما نـرى أعـلاه، تهـدف هـذه الأسـئلة إلى التعمـق في جوانب المشـهد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي المختلفة في العراق، وتوفير إطار شـامل لمزيـد من البحـث والتحليل عن الشـخصية العراقية، وعـن المواطنة وغيرهـا من مسـتلزمات ومفاهيـم مهمة، وهـي بمجموعها قـد تقدم رؤية اسـتراتيجية واضحـة المعالم بشـأن التعقيدات والمسـارات المحتملـة للتنمية المستقبلية في العراق.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

المراجع

المصادر الإنجليزية (المجلات والكتب العلمية)

- **Allawi A.A. 2008,**
- "The Occupation of Iraq: Winning the War, Losing the Peace", Yale University Press.
- **Allawi A.A. 2014,**
- "Faisal I of Iraq", Yale University Press.
- **Andrews, M., Pritchett, L., & Woolcock, M. 2017,**
- "Building state capability: Evidence, analysis, action", Oxford University Press.
- **Baker III J.A., &. Hamilton L.H. 2006,**
- "The Iraq Study Group Report: The Way Forward-A New Approach", Vol. 31. Vintage, 2006.
- **Bautista M.A. et al. 2023,**
- "Dictatorship, Higher Education and Social Mobility", Chicago.
- **Bourhrous A. et al. 2022,**
- "Post-conflict Reconstruction in the Nineveh Plains of Iraq: Agriculture, Cultural Practices and Social Cohesion", Stockholm.
- **Brum M. 2018,**
- "Do Dictatorships Affect People's Long-Term Beliefs and Preferences? An Empirical Assessment of the Latin American Case", Montevideo.
- **Cambanis T. et al. (eds.) 2023,**
- "Shia power comes of age a century foundation", a Century Foundation Book, USA.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **Chow, J. C. 2020,**
- "Strategic Policy Design: A Practitioner's Guide to Statecraft", Routledge.
- **Connable B. 2022,**
- "Iraqi Army Will to Fight: A Will-to-Fight Case Study with Lessons for Western Security Force Assistance", RAND Army Research Division.
- **Cordesman A.H. 2021,**
- "Correcting America's Grand Strategic Failures in Iraq", Center for Strategic & International Studies.
- **Deng C. et al. 2023,**
- "Transformational leadership effectiveness: an evidence-based primer." Human Resource Development International 26, no. 5, pp: 627641-.
- **Diamond J. 2019,**
- "Upheaval- Turning Points for Nations in Crisis", New York- Boston- London.
- **Dodge T. & Simon S. (eds.) 2003,**
- "Iraq at the Crossroads: State and Society in the Shadow of Regime Change", Oxford: Oxford University Press.
- **Dodge T. 2003,**
- "Inventing Iraq: The failure of nation building and a history denied", Columbia University Press.
- **Dodge T. 2012,**
- "Iraq's Future: The Aftermath of Regime Change", Routledge.
- **Ebel R.E. 2010,**
- "Geopolitics and Energy in Iraq: Where Politics Rules", Center for Strategic and International Studies, 2010.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **Fawcett L. 2023,**
- "The Iraq War 20 Years on: Towards a New Regional Architecture", International Affairs 99, no. 2, pp: 567585-.
- **Fawcett L. 2023,**
- "The Iraq War 20 years on: towards a new regional architecture", International Affairs 99, no. 2, pp: 567585-.
- **Fukuyama F. 2018,**
- "Identity: The Demand for Dignity and the Politics of Resentment. Farrar", Straus and Giroux.
- **Hasan H. 2024,**
- "Iraq's Development Road: Geopolitics, Rentierism, and Border Connectivity", Carnegie Endowment for International Peace.
- **Ismael S.T. 2004,**
- "Dismantling the Iraqi Social Fabric: From Dictatorship Through Sanctions to Occupation", (in:) Journal of Comparative Family Studies, pp. 333349-.
- **Kamppeter W. 2008,**
- "Dictatorship, Democracy and Economic Regime Reflections on the Experience of South Korea" Friedrich Ebert Stiftung publications.
- **Karimi S. et al. 2023,**
- "The Role of Transformational Leadership in Developing Innovative Work behaviors: The mediating role of employees' psychological capital", Sustainability 15, no. 2, pp: 121-.
- **Kausch, K. (ed.) 2015,**
- "Geopolitics and democracy in the Middle East", Fride.
- **Lidén G. 2014,**
- "Theories of Dictatorships: Sub-Types and Explanations", Studies of Transition States and Societies, vol.6, Issue 1, pp: 5067-.

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **Lockhart P.G, 2014,**
- "Iraq Geopolitics, Borders, and Federalism: Challenges for Post-War", Master Theses, Western Kentucky University.
- **Mawlawi al-, A. 2020,**
- "Public Sector Reform in Iraq", Chatham House, Middle East and North Africa Programme, pp: 114-.
- **Mühlberger W. 2023,** "Iraq's Quest for a Social Contract, An Approach to Promoting Social Cohesion and State Resilience", Bonn.
- **Papaioannou K.J. & van Zanded J.L. 2015,**
- "The Dictator Effect: How Long Years in Office Affect Economic Development", Journal of Institutional Economics 11, pp. 11139-.
- **Preston Z.E. 2000,**
- "The Crystallisation of the Iraqi State: Geopolitical function and form", University of London, School of Oriental and African Studies (United Kingdom).
- **Rahimi B. 2007,**
- "Ayatollah Sistani and the democratization of post-Ba'athist Iraq", Vol. 187, United States Institute of Peace, 2007.
- **Rashed D. 2019,**
- "Geography, resources and the geopolitics of Middle East conflicts", Regional Security in the Middle East 131.
- **Razo A. 2008,**
- "Social Structures, Informal Institutions, and Governance in Dictatorships", (in:) "Dictatorships: Their Governance and Social Consequences", pp: 136- Princeton.
- **Rohde A. 2010,**
- "State-Society Relations in Ba'thist Iraq. Facing Dictatorship", New

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

York.

- **Sandell K. 2012,**
- "Transformational leadership, engagement, and performance: A new perspective" Colorado State University.
- **Sayej C. 2019,**
- "Ayatollah Sistani: Much More than", POMPES Studies 35: Religion, Violence, and the State in Iraq, pp: 282-.
- **Sen K., et al. 2018,**
- "Democracy Versus Dictatorship? The Political Determinants of Growth Episodes", Journal of Development Perspectives 2, no. 12-, pp: 3–28.
- **Sharp, G., & Raqib, J. 2010,**
- "Self-liberation: A Guide to Strategic Slanning for Action to End a Dictatorship or other Oppression", Boston, MA: Albert Einstein Institution.
- **Shen L. 2005,**
- "When Will a Dictator Be Good?", Bonn.
- **Taie al- A. (ed.) 2023,**
- "The Hawza and the State – The Shiite Islam, Question of Authority, Women and Geopolitics", Friedrich-Ebert-Stiftung.
- **Trevor J. & Hill R. 2012,**
- "Developing Transformational Leadership Capability", Developing Leaders Executive Education in Practice, issue 9, pp: 4247-.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

المصادر العربية (المجلات والكتب العلمية)

- **أبو طه ا. وآخرون 2016،**
- «الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين»، الطبعة الأولى، جسور للترجمة والنشر، بيروت.
- **أبو عليان ب. 2021،**
- « محاضرات في علم اجتماع السكان»، الطبعة الثالثة، مكتبة الطالب الجامعي، خانيونس.
- **اوزتونا ي. 1988،**
- «تاريخ الدولة العثمانية – الجزء الأول»، ترجمة عـ.مـ. سلمان، الطبعة الأولى، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول.
- **براون آ. 2017،**
- «خرافة الزعيم القوي»، ترجمة: ن. كرم الله، الطبعة الأولى، العبيكان للتعليم، الرياض.
- **بطاطو حـ. 2018،**
- «الشيخ والفلاح في العراق 1917 – 1958"، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد.
- **بلقزيز عـ. 2015،**
- «الدولة والدين في الاجتماع العربي الإسلامي» الطبعة الأولى، منتدى المعارف، بيروت.
- **بلقزيز عـ. وآخرون 2001،**
- «المعارضة والسلطة في الوطن العربي»، مركز دراسات الوحدة العربية، بير
- **بوزارسلان حـ. 2015،**
- «قراءة في تاريخ العنف في الشرق الأوسط – من نهاية السلطة العثمانية إلى تنظيم القاعدة»، ترجمة هـ. مقنص، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- **جعفريان ر. 2008،**
- «التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وإيران»، ترجمة: حـ. مجيد، دار الحبيب

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

للطباعة والنشر.
- **جميل س. 2021،**
- «الشخصية العراقية: تفكيك الأنما دراسة في سوسيولوجية وسايكولوجية المجتمع العراقي المعاصر»، الطبعة الأولى، مكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.
- **حجازي م. (ا) 2005،**
- "الانسان المهدور – دراسة تحليلية نفسية اجتماعية»، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- **حجازي م. (ب) 2005،**
- "التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور»، الطبعة التاسعة، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- **حجازي مـ. 2008،**
- «الشباب الخليجي والمستقبل دراسة تحليلية نفسية اجتماعية»، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- **حسين س. 2018،**
- «نحو رؤية استراتيجية للتنمية المستدامة لعام 2030 في العراق»، مركز البيان للدارسات والتخطيط، بغداد.
- **حميد عـ. وعـ. عبد الله 2020،**
- «تحليل البيئة الإستراتيجية العراقية من منظور امني»، مجلة حمورابي (33ـ34)، ص: 211–231.
- **الخضرمي عـ. 2014،**
- «ظاهرة الفساد الخطورة والتحدي – سياسيا واقتصاديا واجتماعيا»، الطبعة الأولى، منشورات عمادة البحث العلمي، عمان.
- **الحلاوي م. 2019،**
- «خواطر في الغربة صفحات من الاغتراب العراقي»، الطبعة الأولى، مكتبة دار دجلة للنشر والتوزيع، بغداد.
- **الحمود عـ. 2023،**
- «مكافحة الفساد في العراق أوراق... سياساتية»، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد.
- **الحيدري إ. 2013،**

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

- «الشخصية العراقية البحث عن الهوية»، الطبعة الأولى، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – القاهرة – تونس.
- **الحيدري إ. 2014،**
- «الشخصية العراقية مرحلة ما بعد السقوط وتشوهات الشخصية»، دار عدنان، بغداد.
- **الحيدري إ. 2015،**
- «سوسيولوجيا العنف والإرهاب – لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتش فرحا؟» الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت.
- **الخاقاني م. 2013،**
- «مئة عام مع الوردي»، الطبعة الثانية، دار الحكمة، لندن.
- **خليل خ. 1984،**
- "المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع»، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت.
- **راضي مـ. وحـ. الطائي 2015،**
- «الفساد الإداري في الوظيفة العامة» الطبعة الأولى، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان.
- **الربيعي إ. 2020،**
- « التيه والدلالة المثقف العربي والفضاء السيبراني» بيت الحكمة، بغداد.
- **رشيد ف. 1973،**
- «الشرائع العراقية القديمة»، مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب الحديثة (57)، بغداد.
- **الزيادي حـ. 2023،**
- «الفساد المالي والإداري في العراق رؤية جغرافية – سياسية»، الطبعة الأولى، مركز الرافدين للحوار، بيروت.
- **سكوت جـ. 2009،**
- «علم الاجتماع – المفاهيم الأساسية»، ترجمة م. عدنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت.
- **سايا كـ. وآخرون 2015،**
- «مشكلة الشيعة والتشيع في العراق العثماني» ترجمة واعداد: عـ. أبو الطحين، الطبعة الأولى، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **سلطان جـ. (أ) 2013،**
- «الجغرافيـا والحلم العربي القـادم (جيوبوليتيك) عندما تتحـدث الجغرافيا»، الطبعة الأولى، تمكين للأبحاث والنشر، بيروت
- **سلطان جـ. (ب) 2013،**
- «القواعـد الاسـتراتيجية في الـصراع والتدافـع الحضـاري قوانـين النهضة»، الطبعة الخامسة، تمكين للأبحاث والنشر، بيروت.
- **الشناوي مـ. 2012،**
- «العـراق التائه بـين الطائفية والقومية – هذا ما جرى بعد الصدمة والرعب»، الطبعة الأولى، القاهرة.
- **صالح ق. 2016،**
- «الشـخصية العراقية من السومرية إلى الطائفية»، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- **صالح ق. 2020،**
- «المرجعيـة الدينيـة قضايـا حسـينية، تظاهرات الشـباب وكوميديـا من وطن التراجيديا»، الطبعة الأولى، سومر، بغداد.
- **الطاهر عـ. 2016،**
- « أصنـام المجتمع – بحث في التحيـز والتعصب والنفاق الاجتماعي»، الطبعة الأولى، المركز الأكاديمي للأبحاث/ العراق – نورنتو– كندا، بيروت.
- **عبد الله ا. 2014،**
- «تاريخ العراق الحديث 1258 – 1918"، دار ومكتبة عدنان، بغداد.
- **عبد الرزاق ص. 2019،**
- «السـيد السيسـتاني ودوره السـياسي في العراق»، الطبعـة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت.
- **غاتي ر. واخرون 2024،**
- «الصراع والديون في الشرق الأوسط، وشمال افريقيا»، مجموعة البنك الدولي، واشنطن.
- **فتاح بـ. 2018،**
- «الشخصية العراقية في كتابات الاجتماعيين الوردي – الطاهر نموذجاً «، مجلة كلية التربية الأساسـية للعلوم التربوية والإنسـانية، العدد 38، ص: –1244 1263.

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al Rawaq Publishing House

- **فوكوياما ف. 2007،**
- «بنـاء الدولة – النظام العالمي ومشـكلة الحكـم والإدارة في القرن العشرين»، الترجمة: م. الامام، الطبعة الأولى، العبيكان، الرياض.
- **فوكوياما ف. 2015،**
- «الثقة: الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي»، ترجمة معين الامـام ومجـاب الامام، الطبعـة الأولى، منتـدى العلاقات العربيـة والدولية، بيروت.
- **فيبر م.2011،**
- «مفاهيم أساسـية في علم الاجتماع»، ترجمة ص. هلال، الطبعة الأولى، المركز الثقافي الألماني، القاهرة.
- **فيريول جـ. 2011،**
- « معجـم مصطلح علم الاجتماع "، ترجمة وتقديم ا. الاسـعد، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- **الفيلي ل. (أ) 2023،**
- "التشـيع والغـرب، دوافـع وكوابح الحـوار"، (في:) "امة وسـط – الآفاق المسـتقبلية لأتبـاع أهـل البيـت (عليهـم السـلام)، المؤتمـر الأول: الانطلا الاولى»، مؤسسة انكي للدراسات والبحوث، بغداد ص: 168–180.
- **الفيلي ل. (ب) 2023،**
- "البصـيرة الاسـتراتيجية مهـارة ضروريـة للتحول المسـتقبلي»، مركز رواق بغداد، بغداد.
- **الفيلي ل. (جـ) 2023**، خمسة عشر مقال عن «مسيرة المانيا ودروسها للعراق» نشرت في صحيفة «الصباح»:
  - **النظـام السـياسي في المانيـا: دروس لرحلـة العـراق نحـو الاسـتقرار والازدهار–تاريخ النشر 19/ 10/ 2023.**
  - **النمـوذج الاقتصـادي الألمـاني: دروس للتنمية الاقتصاديـة في العراق – تاريخ النشر 26/ 10/ 2023.**
  - **التطـور الأمنـي والعسـكري في المانيـا: دروس للعـراق – تاريـخ النشر 02/ 11/ 2023.**
  - **تطـور السياسـة الخارجيـة الألمانيـة وأثرهـا على العـراق – تاريـخ النشر 09/ 11/ 2023.**

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **سياسة الهجرة الألمانية وانعكاساتها على المهاجرين العراقيين – تاريخ النشر 16/ 11/ 2023.**
- **السياسة البيئية الألمانية... انموذج لمخطط مستقبلي للعراق – تاريخ النشر 23/ 11/ 2023.**
- **التميز التكنولوجي الألماني: تجربة جديرة بالاقتداء لتنمية التكنولوجيا في العراق– تاريخ النشر 30/ 11/ 2023.**
- **استراتيجية ألمانيا متعددة الأطراف: أنموذج الاتحاد الأوربي والدروس للعراق – تاريخ النشر 07/ 12/ 2023.**
- **تعزيز سيادة القانون: رحلة العراق من منظور الإصلاح القضائي في ألمانيا – تاريخ النشر 21/ 12/ 2023.**
- **من برلين إلى بغداد– النجاح التعليمي في المانيا وتطلعات العراق– تاريخ النشر 28/ 12/ 2023.**
- **سياسة الهوية الألمانية: التنمية والدروس– تاريخ النشر 04/ 01/ 2024.**
- **سياسات المانيا الفساد: دروس لرحلة العراق– تاريخ النشر 11/ 01/ 2024.**
- **بناء الجسور .. نحو نهج عراقي في فهم الألمان اجتماعيا– تاريخ النشر 17/ 01/ 2024.**
- **نحور علاقات ثنائية قوية بين العراق وألمانيا– تاريخ النشر 25/ 01/ 2024.**
- **إطلاق الإمكانات مستقبل التعاون الثنائي العراقي الألماني– تاريخ النشر 20/ 01/ 2024.**

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **الفيلي ل. 2016،**
- «الوئام الاجتماعي: منظور عراقي»، مركز الشرق الأوسط، لندن.
- **الفيلي ل. 2022،**
- «جمهورية فايمار الألمانية ودروسها للعراق: من أجل إعادة الحيوية للدولة والمجتمع في العراق»، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، بغداد.
- **الفيلي ل.2021،**
- «بناء العراق– الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية»، الطبعة الثانية، دار الرافدين، بغداد.
- **القمودي س. 1999،**

- «سيكولوجية السلطة- بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة»، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- **لوبون غـ. 2014،**
- «السنن النفسية لتطور الأمم»، ترجمة عـ. زغير، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- **الماجدي خـ. 2016،**
- «علم الأديان – تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله»، الطبعة الأولى، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط.
- **مجموعة باحثين 2022،**
- «الاصلاح الدستوري في العراق المشاكل والمقترحات»، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، بغداد.
- **المولوي عـ. وغـ. المنهلاوي 2024،**
- «إطار لتقييم الاستراتيجيات الوطنية العراقية»، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، بغداد.
- **نظمي ف.كـ. وحسن حـ. (ت) 2020،**
- «الاحتجاجات التشرينية في العراق- احتضار القديم واستعصاء الجديد»، المدى، بغداد.
- **نقاش ا. 1996،**
- «شيعة العراق»، ترجمة: عـ. النعيمي، الطبعة الأولى، منشورات المدى، دمشق.
- **نقاش ا. 2020،**
- «الوصول إلى السلطة دور الشيعة في العالم العربي المعاصر»، ترجمة: ا. الزبيدي، دار المدى، بغداد.
- **نقاش ا. وآخرون 2006،**
- «المجتمع العراقي – حفريات سوسيولوجية في والطبقات»، الطبعة الأولى، الفرات للنشر والتوزيع، بغداد- بيروت.
- **نورث د. سي وآخرون (ت.) 2016،**
- «في ظل العنف... السياسة والاقتصاد ومشكلات التنمية»، ترجمة: كـ. المصري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- **هليل س. 2011،**

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

- «علي الوردي... في النفس والمجتمع»، الطبعة الأولى، مكتبة بساتين المعرفة، بغداد.
- **الوردي ع. (ا) 2007،**
- «وحي الثمانين»، جمع وتعليق سلام الشماع، الطبعة الأولى، مؤسسة البلاغ، بيروت.
- **الوردي ع. (ب) 2007،**
- «الأخلاق – الضائع من الموارد الخلقية»، الطبعة الأولى، دار الورّاق، لندن.
- **الوردي ع. 1966،**
- «دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث»، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد.
- **الوردي ع. 1969،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الأول»، الطبعة الأولى، قم.
- **الوردي ع. 1971،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الثاني»، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- **الوردي ع. 1972،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الثالث»، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- **الوردي ع. 1974،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الرابع»، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- **الوردي ع. 1977،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الخامس»، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- **الوردي ع. 1992،**
- «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء السادس»، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- **الوردي ع. 1994،**
- «مهزلة العقل البشري»، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن.
- **الوردي ع. 1995،**
- « وعاظ السلاطين»، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن.
- **الوردي ع. 1996،**

دار الورّاق للنشر والتوزيع
Al Warraq Publishing House

- «خـوارق اللاشـعور – أو اسرار الشـخصية الناجحـة»، الطبعـة الثانية، دار الورّاق، لندن.
- **وهولبورن هـ. 2010،**
- «سوشـيولوجيا الثقافة والهوية»، ترجمة حـ. محسـن، الطبعة الأولى، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- **ياسين بـ. 2015،**
- «الاجتثاث في التاريخ العراقي احتكار السـلطة والإلغاء والعزل السـياسي»، دمشق.
- **ياسين بـ.2010،**
- «شـخصية الفرد العراقي ثـلاث صفات خطيرة التناقض التسـلط الدموية»، الطبعة الأولى، دار اراس، أربيل.

المصادر العربية (التقارير الاممية والمواقع الالكترونية)

- **ا. العنـبر 2020**، «الشـيعية السياسـية ومحنة السـلطة في العـراق»، مقال على موقع الحرة / لشبكة الشرق الأوسط، حرر بتاريخ (14/ 01/ 2020):

https://www.alhurra.com/different-angle/2020/01/14/الشيعية-السياسـية-ومحنة-السلطة-في-العراق?amp

- **بعثة الاتحاد الأوربي 2021**، «استراتيجية الاتحاد الأوروبي للعراق»:

https://www.eeas.europa.eu/iraq/alathad-alawrwby-walraq_ar?s=199

- **تقريـر منظمة الصحـة العالمية/ مكتب الشرق الأوسـط، 2019**، «الأمراض غير السارية»:

https://www.emro.who.int/ar/iraq/priority-areas/feed/atom.html

- **تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات لعام 2023**، الأمم المتحدة، 2024:

https://unis.unvienna.org/unis/uploads/documents/2024-INCB/2325540A_INCB_Annual_Report.pdf

- **التقريـر الطوعي الأول** حـول أهداف التنمية المسـتدامة – العـراق»، (تاريخ الدخول: 04.03.2024):

https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/23321Iraq_VNR_2019_final_AR_HS.pdf

- **تقرير وزارة التخطيط وصندوق الأمم المتحدة للسـكان 2015 UNDPA،**

دار الرواق للنشر والتوزيع
Al Rewaq Publishing House

«اتجاهات الإنجاب وتنظيم الأسرة في العراق التحديات والتدخلات».

- **المرصد الحكومي**، المنهاج الوزاري للحكومة الثامنة التي يترأسها السيد محمد شياع السوداني رئيس مجلس الوزراء العراقي:

https://www.gop-iraq.org/promise_officials

- **ن. ياسين 2007**، «الشيعة والدولة: التجربة العراقية» مقال على موقع إيلاف، حرر بتاريخ 8/ 6/ 2007:

https://elaph.com/amp/Web/AsdaElaph/2007239240/6/.htm

- **ش. شقير 2009**، «آية الله التسخيري.. الأزمة العراقية من المنظور الشيعي»، مقابلة صحفية نشرت على موقع قناة الجزيرة بتاريخ 01/ 10/ 2009:

- https://www.aljazeera.net/2009/10/01/آية-الله-التسخيري-الأزمة-العراقية-من

- **صندوق الأمم المتحدة للإسكان 2018**، «الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي 2018 – 2030 ":

https://iraq.unfpa.org/sites/default/files/pub-pdf/VAW%20Strategy%20Arabic%20-%20Online%20Version.pdf

- **صندوق النقد الدولي 2024**، «العراق: البيان الختامي لخبراء الصندوق في نهاية بعثة مشاورات المادة الرابعة لعام «، (تاريخ الدخول 9/ 6/ 2024):

https://www.imf.org/ar/News/Articles/202401/03//mcs030324-iraq-staff-concluding-statement-of-the-2024-imf-article-iv-mission

- **عـ. المولوي 2019**، «استراتيجيات التنمية الوطنية في العراق: استكشاف نقاط الضعف في تخطيط السياسات والاستثمار»، مركز البيان للدراسات والتخطيط:

https://www.bayancenter.org/wp-content/uploads/20198978678790/07/.pdf

- **عـ. الربيعي 2022**، «هل يتدخل السيستاني في الأزمة السياسية العراقية؟»، مقال صحفي نشر على موقع (STRATEGIECS think tank) بتاريخ 8/ 10/ 2022:

https://strategiecs.com/ar/analyses/will-al-sistani-intervene-in-the-iraqi-political-crisis

- **مجموعة باحثين 2022**، «اية الله السيد علي السيستاني الواقعية الإسلامية.. السلام والأمن في العراق»، مركز البيدر للدراسات والتخطيط: https://www.baidarcenter.org/wp-content/

Al-Rewaq Publishing House

67yu.pdf /07 /uploads /2022
- **ص. عبد الرزاق 2023**، «الدور السياسي للسيد السيستاني في العراق»، مقال صحفي نشر على موقع (الخنادق) بتاريخ 11/ 9/ 2023:
- 5794/ https: / /alkhanadeq.org.lb /post/ الدور-السياسي-للسيد-السيستاني-في-العراق
- **عـ. الصادق 2023**، «السيستاني المرجعية التي أنقذت شعباً»، مقال صحفي نشر على مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث بتاريخ 3/ 8/ 2023:
- 2023/ https: / /www.csrgulf.com /08/ 03/ رمزية-السيستاني/
- **م. السيد الصياد 2022**، «المرجعية العليا ما بعد السيستاني.. ومستقبل الحوزة»، مقال صحفي نشر على موقع المعهد الدولي للدراسات الإيرانية (رصانة) بتاريخ 31/ 3/ 2022: رصانة - المعهد الدولي للدراسات الإيرانية:
- https: / /rasanah-iiis.org/ المرجعية-العُليا-ما-بعد-السيستاني-ومس/
- «**السيد السيستاني قائد استثنائي يحمل روح الإبداع في مواقفه القيادية**»، مقال نشر على موقع مؤسسة الإمام علي/ لندن، (تاريخ الدخول: 7/ 6/ 2024):

https://najaf.org/arabic/750

- **عـ. عامر 2020**، « مخاطر الزيادة السكانية اجتماعياً واقتصادياً وتنموياً»، مقال صحفي نشر بتاريخ 18/ 2/ 2020 على موقع دنيا الوطن:

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020513878/18/02/.html

- **عـ. المولوي 2023**، «يُقال إنَّ الفصائل الشيعية العراقية «مناهضةٌ للدولة»، لكن سلطة الدولة هي كل ما تبتغيه»، مقال صحفي نشر على موقع (THE CENTURY FOUNDATION) بتاريخ 23/ 10/ 2023:

https://tcf.org/content/commentary/iraqi-shia-factions-are-supposedly-anti-state-but-state-power-is-what-they-want-arabic/ar/

- **وزارة التخطيط والبنك الدولي 2018**، "إستراتيجية التخفيف من الفقر في العراق 2018-2022"، (تاريخ الدخول 22/ 3/ 2024):

https://moen.gov.iq/Portals/0/poor%20strategy.pdf

- **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2012**، «الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق المركز والأقليم للسنوات 2011-2020»:

http://iraqieconomists.net/ar/wp-content/uploads/sites/22012--5-3/07/2013/strategy-1.pdf

- **وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي – الجهاز المركزي للإحصاء**، (تاريخ الدخول: 23/ 6/ 2024): https: / /www.cosit.gov.iq /ar/

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

(المصادر الإنجليزية)

التقارير الاممية والمواقع الالكترونية

- **Bluedorn J. & Koranchelian T. 2023**, "Middle East Conflict Risks Reshaping the Region's Economies", International Monitory Fund - December 1, 2023: https://www.imf.org/en/Blogs/Articles/202301/12//middle-east-conflict-risks-reshaping-the-regions-economies
- **Borshchevskaya A. 2019**, "The Geopolitical Stakes in Iraq", Washington Institute for Near East Policy - Oct 17, 2019: https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/geopolitical-stakes-iraq
- **Climate, Peace and Security Fact Sheet 2023**, "Iraq", SIPRI- Stockholm International Peace Research Institute, April 2023: https://www.sipri.org/sites/default/files/202323/10-_fs_iraq.pdf
- **Cordesman A.H. 2020**, "America's Failed Strategy in the Middle East: Losing Iraq and the Gulf",
Studies (CSIS), pp. 116-: https://csis-website-prod.s3.amazonaws.com/s3fs-public/publication/200122_Chair.Iraq_is_the_Prize.GH_.FinalV.pdf
- **Cordesman A.H. 2023**, "Giving Iraq Stability and Progress: Treat the Causes of Iraq's Governance and Development Disease, Rather Than Focusing on Its Violent Symptoms", The Center for Strategic and International Studies (CSIS), April 11, 2023: https://www.csis.org/analysis/giving-iraq-stability-and-progress-treat-causes-iraqs-governance-and-development-disease
- **Cook S.A. 2021**, "Iraq Is the Middle East's New Power Broker", August 11, 2021 - Foreign Policy Magazine: https://foreignpolicy.com/202111/08//iraq-is-the-middle-easts-new-power-broker/?utm_source=google&utm_medium=cpc&utm_campaign=DSA&tpcc=google_cpc_DSA&gad_source=1&gclid=EAIaIQobChMIlIXJ_frDhgMVWJZQBh11eTvYEAMYASAAEgK9bPD_BwE
- **Fazil S. & Tartir A. 2023**, "Iraq in 2023: Challenges and Prospects for Peace and Human Security", SIPRI Stockholm International Peace

Al-Rewaq Publishing House

Research Institute, May 2023: https://www.sipri.org/commentary/topical-backgrounder/2023/iraq-2023-challenges-and-prospects-peace-and-human-security

- **Foreign Affairs Magazine - April 11, 2024**, Mohammed Shia al-Sudani: "Iraq Needs a New Kind of Partnership with the United States The Path to Sustainable Cooperation": https://www.foreignaffairs.com/iraq/iraq-needs-new-kind-partnership-united-states
- **Feltman J. et al. 2019**, "The New Geopolitics of the Middle East - Americans role in a changing world a Brookings interview", Foreign Policy at BROOKINGS: chrome-extension:
- chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/201901//FP_20190107_new_geopolitics_of_mena_final.pdf
- **Freedom House 2022**, "Freedom in the world report/ Iraq": https://freedomhouse.org/country/iraq/freedom-world/2022
- **French Research Center**, "Iraq", Updated on July 2024. Iraq is on the verge of a deep demographic crisis, 28th August 2023: https://cfri-irak.com/en/article/iraq-is-on-the-verge-of-a-demographic-disaster-202328-08-
- **Gulf International Forum (GIF) 2019**, "Iraq and Its Gulf Neighbours: Transforming Challenges into Opportunities", (Entry date 05.04.2024): https://gulfif.org/iraqs-and-its-gulf-neighbors-transforming-challenges-into-opportunities/
- **Héau,L. et al. 2023**, "Iraq since the invasion: 20 years in SIPRI data", SIPRI Stockholm International Peace Research Institute, March 2023: https://www.sipri.org/commentary/topical-backgrounder/2023/iraq-invasion-20-years-sipri-data
- **Human Right Watch 2023**, "Events in Iraq", (Entry date: 112024/06/): https://www.hrw.org/world-report/2024/country-chapters/iraq
- **International Labour Organization (ILO),** "Iraqi Labour Force Survey 2021", (Entry date: 112024/06/): https://www.ilo.org/sites/default/files/wcmsp5/groups/public/@arabstates/@ro-beirut/documents/publication/wcms_850359.pdf

دار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **International Monetary Fund International Monetary Fund**, "Mission Concluding Statement", March 3, 2024: https://www.imf.org/en/News/Articles/202401/03//mcs030324-iraq-staff-concluding-statement-of-the-2024-imf-article-iv-mission
- **Jiyad S. 2023**, "The Man Who Saved Iraq", The Century Foundation website, (Entry date: 252024/2/): https://tcf.org/content/commentary/the-man-who-saved-iraq/
- **Khalil L. 2019**, "Sistani: The (not-so) Hidden Hand Behind Iraqi Politics", The Interpreter website. (Entry date: 052024/03/): https://www.lowyinstitute.org/the-interpreter/sistani-not-so-hidden-hand-behind-iraqi-politics
- **Mahmoud S. 2022**, "Iraq: corruption and climate change top challenges facing new government", The National, Nov 03, 2022: https://www.thenationalnews.com/mena/iraq/202203/11//iraq-corruption-and-climate-change-top-challenges-facing-new-government/?gad_source=1
- **Mawlawi al- A. Mawlawi al- M. 2024**, "A Framework for Evaluating Iraq's National Strategies", 1001 Iraqi Thoughts: https://1001iraqithoughts.com/202406/05//a-framework-for-evaluating-iraqs-national-strategies/
- **Mamouri A. & Khalaji M. 2019**, "Shia Leadership After Sistani, Sudden Succession", Washington Institute for Near East Policy: https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/shia-leadership-after-sistani-sudden-succession-essay-series
- **Marshall P. 2021**, "Western Media Misunderstand Grand Ayatollah Sistani's Views on Religion and Politics", Hudson Institute: https://www.hudson.org/human-rights/western-media-misunderstand-grand-ayatollah-sistani-s-views-on-religion-and-politics
- **Ministry of planning, Republic of Iraq** "Iraq 2030 Vision", (Entry date: 112024/03/):https://planipolis.iiep.unesco.org/sites/default/files/ressources/iraq_vision_2030_en.pdf
- **North Atlantic Treaty Organization (NATO),** "Mission Iraq", Last updated: 27 May. 2024 10:04, (Entry date: 29.05.2024): https://www.nato.

Al-Rewaq Publishing House

int/cps/en/natohq/topics_166936.htm

- **Pugh C. et al. 2020**, "Iraq Situation Report: August 2020", The Institute for the Study of War, (Entry date: 302024/04/): https://www.understandingwar.org/backgrounder/iraq-situation-report-august-192020-25-
- **Pfaff C.A. et al. 2022**, "IRAQ: Implementing a Way Forward", The Atlantic Council, pp: 516-: https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/202205//IRAQ-TRACK-II-5.pdf
- **RAND research organization 2023**, "Twenty Years After the Iraq War, a Q&A with RAND Experts", published on Mar 21, 2023: https://www.rand.org/pubs/commentary/202303//twenty-years-after-the-iraq-war-a-qa-with-rand-experts.html
- **Relief Web Response (RW Response),** is a specialised digital service of the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA), reports page on "Iraq", (Entry date: 302024/04/): https://response.reliefweb.int/iraq/reports?page=9
- **Strategies (think tank) 2019**, "The Future of Iraq's Stability, The Political, Economic, and Security Levels", published on February 12, 2019: https://strategiecs.com/en/analyses/the-future-of-iraqs-stability
- **Shamary al- M. 2021**, "The pope goes to Najaf: The person and the institution of Sistani", The Brookings Institution: https://www.brookings.edu/articles/the-pope-goes-to-najaf-the-person-and-the-institution-of-sistani/
- **Slavin B. 2019**, "After Sistani and Khamenei: looming successions will shape the Middle East", The Atlantic Council's Iraq Initiative, pp: 111-: https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/201907//After_Sistani_and_Khamenei-Looming_Successions_Will_Shape_the_Middle_East.pdf
- **Sarwar A. 2019**, "What Iraq taught me about identity, community, war and peace", The Economist Oct 14th 2019: https://www.economist.com/open-future/201914/10//what-iraq-taught-me-about-identity-community-war-and-peace

دار ريواق للنشر والتوزيع
Al-Rewaq Publishing House

- **Sheikhlar S. 2019**, "Iraq's Geopolitics, Key Factor for US, EU Energy Security Strategies", Modern Diplomacy - MARCH 23, 2023: https://moderndiplomacy.eu/202323/03//iraqs-geopolitics-key-factor-for-us-eu-energy-security-strategies/
- **Sudani al- E. 2022**, "Geopolitics: Middle East and North Africa", Council on Foreign Relations, February 08, 2022: https://education.cfr.org/learn/learning-journey/middle-east-north-africa-essentials/geopolitics-middle-east-and-north-africa
- **The Associated Press 2021**, "Shiite powerhouse al-Sistani helped shape today's Iraq", published in March 6, 2021: https://apnews.com/article/iraq-ali-al-sistani-pope-francis-saddam-hussein-59818e71b874766877b951f332bfeb8b
- **The Transformation Index 2024**, "Analyses Transformation Processes toward Democracy and a Market Economy in International Comparison and Identifies Successful Strategies for Peaceful Change." Iraq Country Dashboard Report 2024: https://bti-project.org/en/reports/country-report/IRQ
- **The World Bank Group Iraq**, "Country Climate and Development Report", November 2022: https://documents1.worldbank.org/curated/en/099005012092241290/pdf/P1776390cfceae0d908ff8073b7e041bea6.pdf
- **The Amnesty International 2024**, "The State of the World's Human Rights", April 2024 pp. 1416-: https://www.amnesty.org/en/wp-content/uploads/202404//WEBPOL1072002024ENGLISH.pdf#page206
- **The International Commission on Missing Persons (ICMP),** "Iraq Page", (Entry date: 012024/06/: https://www.icmp.int/where-we-work/middle-east-and-north-africa/iraq/
- **The International Crisis Group 2024**, page on "Iraq", (Entry date: 022024/07/): https://www.crisisgroup.org/global-search?text=Iraq
- **International Energy Agency 2019**, "Iraq's Energy Sector, A Roadmap to a Brighter Future", April 2019: https://iea.blob.core.windows.net/assets/fb1f67b94-3515-b5a-bb4006-ca0b83ef70/Iraq_Energy_Outlook.pdf

دار وكتبة الرواق للنشر والتوزيع
Al-Rawaq Publishing House

- **International Committee of the Red Cross,** "Iraq: 19891999-, a decade of sanctions 141999-12- Report", (Entry date 24.04.2024): https://www.icrc.org/en/doc/resources/documents/report/57jqap.htm
- **International Organization for Migration (IOM) Iraq Mission 2016**, "Migration Flows from Iraq to Europe: Reasons Behind Migration", DTM July 2016:https://dtm.iom.int/sites/g/files/tmzbdl1461/files/reports/01_IOM%20DTM%20Migration%20Flows%20from%20Iraq%20to%20Europe%20201607.pdf
- **Iraq National Population Commission (INPC),** Iraq Population Situation / 2012: https://iraq.unfpa.org/sites/default/files/pub-pdf/PSA%20English%202012.pdf
- **The World Bank 2024**, Data on "Iraq", Updated on July 2024: https://data.worldbank.org/indicator/SP.POP.TOTL?locations=IQ
- **The Atlantic Council think tank, Rafik Hariri Center & Middle East Programs**, "Iraq Initiative": https://www.atlanticcouncil.org/programs/middle-east-programs/iraq-initiative/
- **The United States Institute of Peace 2019**, "After ISIS, Stability in Iraq Requires Addressing its Fragility. Unless Iraq can repair its torn social fabric, expect the return of the Islamic State", published on Monday, May 20, 2019: https://www.usip.org/blog/201905//after-isis-stability-iraq-requires-addressing-its-fragility
- **The United States Institute of Peace 2020**, "The Current Situation in Iraq- Fact Sheet", published on August 4, 2020: https://www.usip.org/publications/202008//current-situation-iraq
- **The Centre for Preventive Action 2024,** "Council on Foreign Relations Global Conflict Tracker Instability in Iraq", Updated February 13, 2024: https://www.cfr.org/global-conflict-tracker/conflict/political-instability-iraq
- **TL Publications 2007**, "The Transformational Leadership Report", (Entry date: 05.02.2024): www.transformationalleadership.net, https://iweday.web.unc.edu/wp-content/uploads/sites/921903/2015//TransformationalLeadershipReport.pdf

Al-Rewaq Publishing House

- **UNHCR**, "Iraq situation overview", (Entry date: 092024/03/): https://reporting.unhcr.org/operational/situations/iraq-situation
- **UNFPA**, "The National Strategy to Combat Violence against Women and Girls 20182030-": https://iraq.unfpa.org/sites/default/files/pub-pdf/the_national_strategy_to_combat_violence_against_women_and_girls_20180_2030-.pdf
- **United Nations Security Council Reports on Iraq**, "UN Documents for Iraq: Secretary-General's Reports, (Entry date 01.06.2024): https://www.securitycouncilreport.org/un_documents_type/secretary-generals-reports/?ctype=Iraq&cbtype=iraq
- **United Nations Population Fund, Fact**, page on "Iraq", (Entry date: 062024/04/): https://www.unfpa.org/data/IQ
- **University of Massachusetts Global**, "What is transformational leadership? Understanding the impact of inspirational guidance", (Entry date: 05.05.2024):
- https://www.umassglobal.edu/news-and-events/blog/what-is-transformational-leadership
- **USAID-TARABOT**, "Iraq Administrative Reform Project Annual Report 2013", October 2013, (Entry date: 022024/05/): https://pdf.usaid.gov/pdf_docs/PA00KWWD.pdf
- **US Department of State**, "Iraq - Integrated Country Strategy", March 03, 2022: https://www.state.gov/wp-content/uploads/202210//ICS_NEA_Iraq_Public.pdf
- **WorldData.info** - Population growth in Iraq, Updated on July 2024. https://www.worlddata.info/asia/iraq/populationgrowth.php
- **World Food Programme**, "Iraq country strategic plan (2020–2024)", 22 October 2019, https://executiveboard.wfp.org/document_download/WFP-0000108623
- **World Food Programme, Iraq Annual Country Report 2022**, Country Strategic Plan 2020 – 2024, https://reliefweb.int/attachments/94d982be-eb354-f59-ac00-ca9c8e3389e5/iraq.pdf

Al-Rewaq Publishing House

يتناول هذا الكتاب عمق الشخصية العراقية وتنوعها من خلال استكشاف البيئات المختلفة التي تؤثر على تكوينها، من المقاهي الشعبية «الثقافة» حيث تتبادل الأحاديث والأفكار، إلى القصور وحكامها «الدولة» التي شهدت فصولًا من التاريخ، والمآذن «الدين» التي تظل شاهدة على التقاليد والشعائر المتجذرة، وكيف تفاعلت هذه العناصر عبر العصور في رسم ملامح الشخصية العراقية لتشكيل هوية معقدة ومتشابكة وفريدة ومتميزة. يهدف هذا العمل إلى تحليل الداء المجتمعي واستشراف الدواء الممكن من خلال طرح تصورات وحلول واستراتيجيات إصلاحية تساهم في استعادة التوازن واستشراف طريق للخروج من الأزمات وبناء جسور الثقة والوحدة بين أبناء الشعب الواحد، وتفتح آفاقاً جديدة بهدف بناء مستقبل أكثر استقراراً وتماسكاً.

ISBN: 978-9922-893-05-1

الشخصية العراقية

بين أجواء المقاهي والقصور والمآذن

ISBN: 978-9922-893-05-1
9 789922 893051
دار ومكتبة الرواق